
MOO LAND
أرض مو
هاني فرج

فرج ، هاني
هاني فرج رواية/أرض مو - القاهرة: دار الرسم بالكلمات للنشر والتوزيع /
القاهرة: ٢٠١٩
٤٠٨ ص؛ ١٤×٢٠
تدمك: ٩٧٨-٩٧٧-٦٧٤٠-٥٠-١
رقم الإيداع: ٢٠١٩/٢٠٦٤٦

دار النشر: دار الرسم بالكلمات للنشر والتوزيع
عنوان الكتاب: أرض مو
الكاتب: هاني فرج
تصحيح لغوي: سمية دويفي
تنسيق داخلي: ضياء فريد
تصميم الغلاف: إسلام مجاهد
لوحة الغلاف: إهداء من الدكتور مصطفى مرتجي
إشراف عام: محمد المصري



 elrasm.blkalemaat
 elrsmblklemat@yahoo.com
 ٠١٠٦١٤١٩٥٥٥

أرض مو

رواية

هاني فرج



إهداء

إلى من أفنيت ضلوعي بسهام شمسها الدافئة...

لن أجد بعدك طريقا يخلو من العتمة، فإن لم تتعثر قدماي في قطوف مشاعري الدانية التي كانت يوما أشجارا وارفة، سحقت مقلتي سحابة غائمة رجمتني بالمدامع وتشتت ثنايا روحي تختبئ في أرجاء الطريق، فتسكن مدن الحزن أوصالي.

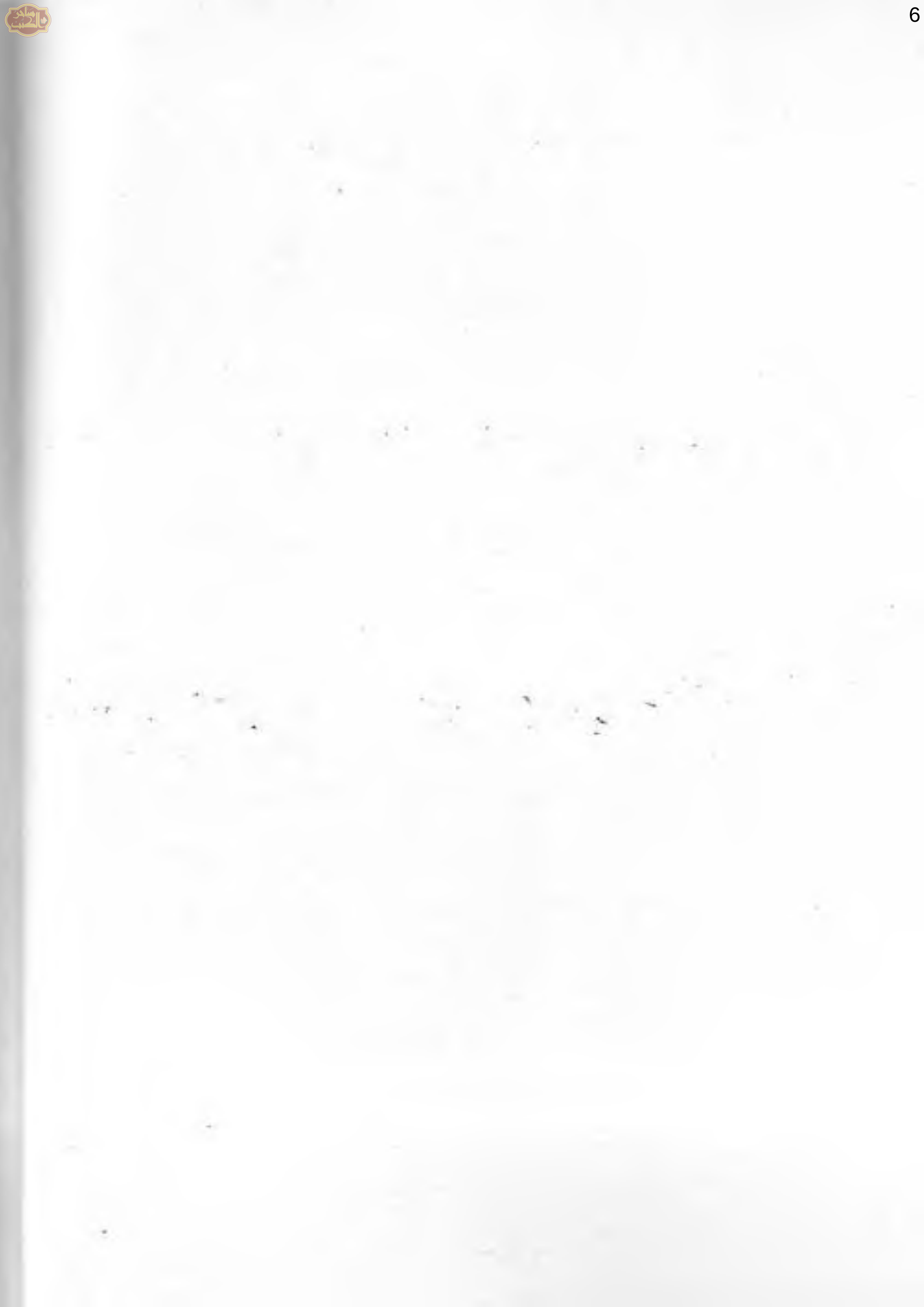
تبعث برسائلها إلى فتات أطلالك

فشعوب هذه المدن مازالت تنتظرك

فالمحيا يبدل حال الرفات بلقائك

جدتي الغالية(فاطمة) جعلك الله مع الأبرار والصديقين وأسكنك الفردوس الأعلى.

أحبك



(من الأزل ووعد الشيطان للإنسان قرآن
وإلى الآن لم يزل يقدم نفسه له قربانا)



بدأ العد التنازلي والدقيقة قاربت على الانتهاء، فلتحسم أمرك!!

الآن وقد نفذ الوقت الذي منحتك إياه فبعد أن وافقت على أن تتحدى نفسك الضعيفة التي لم تستطع مغالبتي وقد واصلت القراءة إلى هذه النقطة فأنت الآن ترى بعيني وتسمع بأذني وتشعر بما شعرت به أنا يومًا ما، فأنت من الآن أنا، أنت من سيكمل الطريق الممهور بأيدي الصعاب، فقط لا تجادلني فأنا أعلم طباع هذه النفس البشرية المُتشدِّقة بالمعرفة وهي خاوية من داخلها لا تعلم سوى سنتيمترات محدودة في هذا العالم المتسع، وأعلم تماما الآن ما يدور في نفسك الملولة من تساؤلات: من أكون؟

لا تتعجل الأمور فقد تكون هذه السويعات من الوقت هي آخر ما تملكه في حياتك، سأسرد لك كل ما يروي ظمأ شغفك بمعرفة أمري وكل ما حدث لي والذي لن أنتقص منه شيئًا سيكون تحت طائلة ذهنك.

أنا فؤاد وصفي، ذلك الشاب صاحب الأربعة وثلاثين عامًا والذي يتكون تركيبه الجسماني من قليل من اللحم والدم والعظام ويبدو كهلاً ولكنه يمتلك بعضًا من الوسامة وكثيرًا جدًّا من عشق النجومية، كثيرا ما تمنى أن يصبح مثل هؤلاء الأساطير الخارقين فهم كالنجوم في كبد السماء أحلامه.

اشرأبَّت عنقك ناظرا إليهم، لا تملك إلا الاعجاب المصحوب بالحسرة لعدم قدرتك على الامساك بإحداهن.

أو كأنما وجب عليك أن تعبر أرضا قاحلة تعج بالضباع لتتسلق أعلى سفح قمة الجبل الوعر، لتكون بينهم وتتساوى الرؤوس، يا لَهُ من

هل أجد لنفسي صورة معلقة على الحائط لديك بين هؤلاء من تزعم أنهم الأساطير العظيمة؟

هل مازلت تذكرني بين الحين والآخر أم تناسيتني؟

ومرت ذكراي إلى غياهب الجُبِّ كأصحاب السِّيَرِ المتعفنة.، لا تنبس ببنت شفة فأنا أعلم ما بداخلك مادمت أمسكت بهذه الرسالة بين يديك وتركت عينيك تغوص بين كلماتي فأدرك تماما أنك لن تستطيع مقاومتي أو معاتبتي عليِ ما سأفعله بك حينما أسلب منك قلبك وعقلك وجوارحك وتكون ملكًا لي وليس لأحد سواي، لن تستطيع مغادرتي، سأسكن بداخلك فإن لم يتسع داخلك لاحتوائي فاعلم أنك ميت لا محالة، وإن لم تستطع معي صبرًا، وأردت مفارقتي في أي وقت سيقترن مصيرك الذي أعلمه بمصيري الذي لا تعلمه بعد، فقط أمامك دقيقة واحدة لتتخذ قرارك، إمَّا أن تبدأ معي وتستكمل مشواري الذي بدأته من آلاف السنين، أو أن تغلق هذه الرسالة فورًا بل وتحرقها كي لا تتعقبك لعناتها، فضميري يحتم علي أن لا أرغمك على أن تكون الأول وستعلم ماذا قصدت فيما بعد.

حلم عصيّ وبعيد المنال، لكني لن أبرح هذه الدنيا قبل أن أحقق ما تمنيت أو على أقل تقدير أن يتم تصنيفي ضمن هؤلاء المشاهير البارزين في الفن والرياضة

كم كرهت أن أعيش وأموت ولم يتذكرني أحد مثل ملايين من الناس لم يؤثر وجودهم في شيء فلم يثن عليهم أحد ولم تقشعر الأبدان لرحيلهم...

لذلك آثرت وأنا أكتب هذه الرسالة لك أن أكتبها كما لو كنت أحد الأدباء يكتب رواية أسطورية عن أحد العظماء فتتمعن فيما كتب عني:

«عاشق للنجومية حيث كان منذ نعومة أظفاره وهو يبحث عن تلك الشهرة وبأي ثمن، حتى ولو كلفه ذلك حياته رافعًا سقف الأماني لمنتهاه، وكأنه ينتظر أن تعبق السماء بالمطر المحمل بالمعجزات وهو يرمق أحلامه التي تتدلى إلى أعماقه وتسر عينيه.

ولد في مدينة دمياط الجميلة الهادئة التي تبعد عن القاهرة بضجيجها وصخبها وروعة فنونها ونوبات جنونها، وتحديدًا في قرية الغوابين بمركز فارسكور، تلك القرية الصغيرة التي تحدها الحقول الخضراء من جوانب عديدة ما يبعث الهواء النقي محملًا بعبق الطبيعة في منظر بديع يكبل قيود الاكتئاب ويشعل في النفس البهجة والسريرة، عاش وترعرع فؤاد في هذه القرية منذ أن وطأت قدماه هذه الأرض.

ودوت أول صرخة له مع آذان مولده ومجيئه للحياة، وكان ذلك في أربعينيات القرن الماضي تحديدا سنة ١٩٤٢ لم يترك مجالا قد يصل به إلى أحلامه ـ التي طالت السماء في عظمتها وملأت البحر من كثرتها ـ

إلا وسلكه وطرق بابه الذي كان موصدا دائما في وجهه، رغم هرولته في عدة اتجاهات يرى أنها قد تؤدي لهدفه المنشود...

فكانت البداية باشتراكه بفريق كرة القدم الذي التحق به في المدرسة في بطولة دوري المدارس، على الرغم من كونه لا يجيد ممارسة هذه الرياضة ولكنه انغمس فيها ربما تحقق له شيئًا، لكنه لم يجن سوى الفشل والخروج بفريقه من الأدوار التمهيدية للبطولة، لكن في الحقيقة كان ما يميز فؤاد ما لديه من إصرار غير طبيعي على تحقيق أهدافه...

وهذا يظهر جليًا في وجهه المستملح النابض بالطموح حيث أنك لن ترى وجهه ممتقعا يوما إلا في لحظات السقوط من أعلى قمة الحلم، وسرعان ما ينهض ليمتطي جواده ويستل سيفه في وجه الفشل، فهو أيضا كان من المتميزين دراسيًا حيث كان يحلم بالالتحاق بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية، فهي كانت بالنسبة له بمثابة بوابة العبور لما كان يتوق إليه شوقاً، حيث الشهرة الواسعة، فكانت نظرته للقادة السياسيين على أنهم نجوم الصف الأول في المجتمع وأصحاب المقام الرفيع، وساورته الأمنيات وراودته الأحلام أن يبلغ أي منصب ولو بسيط كفيل أن يمكنه من مداعبة أحلامه بيده.

تلك الأحلام التي كان لا يراها حتى مع استخدام المجهر تدنو نحوه كأنها متحفزة للبعد عنه في علاقة طرديَّة وكأنها تنفر منه أو أنه لا يليق بها فهي لم تخلق لأمثاله من الفقراء قليلي الحيلة.

وبالرغم من ذلك استمسك بها وكأنها الشمس رغم كونه يعيش في الهزيع من الليل، فلم يبال شيئا سوى وتين قلبه الذي يضخ المشاعر الإيجابية فتمتلئ بها أركان جسده الذي ينتفض بالحيوية وتبرق عينية بانعكاس أحلامه وهي تهتز وتتمايل راقصة في تناغم، فمازالت تلك الأحلام هي سنده الوحيد في هذه الدنيا التي لم يجد فيها مالا أو سلطانا أو من يقف بجانبه.

فقد كان فؤاد من عائلة فقيرة تكاد تكون معدمة، مكونة من أب ينهك يوميا في الحقول مع أول خيط للشمس يكدح في عمله الشاق حتى انصراف الشمس وهي تلملم ما تبقى من سهامها الحمراء، تاركة الأرض ليد الليل لتتراص بها قطعه السوداء على كافة الأرجاء، ليكشف عن جمال أشعة القمر...

وعلى الرغم من هزلان جسده النحيل وشعره الذي انمعط من شدة المرض، وأسنانه التي اختفت وسط فضاء فمه الذي تبرز منه شفتان متشققتان وكأنهما لم تتذوقا المياه منذ عدة سنوات، كان يكتسب حفنة قليلة جدًا من المال كأجر يومي له بالكاد يكفي جزءًا بسيطا من متطلبات الأسرة، فهذا الأب لم يهنأ يوماً بحياة سعيدة، كل مبتغاه يكمن في محاولته أن يستر عورة بيته ويسد القليل من احتياجاته، لكنه كان يؤخذ عليه انشغاله الدائم وتكريس كل وقته للعمل.

فكان ما يتبقى من يومه بعد عناء العمل الطويل يخصصه للراحة مستلقيا في مضجعِه، ولم يعد لديه وقت لرعاية أولاده وزوجته... هذه الأسرة التي مرت بصدمة كبيرة باقتلاع وسقوط أحد أعمدتها بوفاة الأم، التي حزنت حزنا شديدا لا يفوقه حزن حتى داهمتها الأمراض ولم تتركها إلا وهي طريحة الفراش، ثم إلى جثة بعد ذلك، في حادثة بشعة حدثت لها ذات يوم، حيث كانت قد ذهبت للحقل الذي يعمل به زوجها لتقدم له بعض الطعام رغم مرضها الشديد ولكنها لم تعد مرة أخرى حيث عثر على جثتها أحد المارة مذبوحة العنق ومفترشة الأرض ودماؤها تنزف بشدة، وبعد أشهر من البحث لم تجد الشرطة دليلا واحدا على الجاني، لتذهب روحها وتعود لبارئها ويعتصر قلب فؤاد والأب الكادح على فراق الأم والزوجة الحبيبة، فربما اختطفها الموت من حياتها السوداوية لحزنها على فراق ابنها الصغير، وأثقلت الهموم على صدر فؤاد وهو يواسي نفسه مردِّدًا:

- البشر مثل القطارات مهما انتظرت أحدهم وتحملت عناء السفر وحملت حقائب مشاعرك تجاههم حتما سيأتي يوم يتركونك على أحد أرصفة الحياة ويغادرون.

سامر، هذا الطفل الذي لم يكمل عامه الخامس حين اختفي من القرية تماما في واقعة كثرت عليها الأقاويل، هناك من تحدث عن أنه ربما انزلقت قدماه إلى إحدى الترع الموجودة بين الحقول وغرق بها، وهناك من قال ربما اختطف من أحد العصابات الإجرامية، ومن قال أنه قتل، ولكن كل هذه الاجتهادات لم تؤكد كحقيقة مثبتة، فلم يعلم أحد ما كان مصيره حتى اليوم، هل قتل حقا ؟ ولكن أين جثته؟؟ وإن اختُطِفَ

فمن هؤلاء المختطفون ولماذا؟ هل يعتقدون أن هذا الأب الفقير يمتلك من المال ما يدفعه كفدية لإطلاق سراحه؟ هل هرب وابتعد عن القرية من تلقاء نفسه؟ ولماذا يقدم على هذا الفعل وهو كان يلقى رعاية وحنان الأم وحب الأب؟ حقًا لغز محير !!

لكن كان سامر طفلا غريب الأطوار، فذات يوم باح سامر لوالدته بسر عجيب، أنه كان يعيش على المريخ، ولكن ذلك قبل أن يولد من جديد على الأرض، فلم تعر والدته لحديثه اهتماما. ولكنها تأملت طبيعة طفلها الصغير الغريبة والنادرة، حيث أنه كان قادرا على التكلم في المهد بعد أشهر قليلة من ولادته، وهذا أمر نادر ويخالف الطبيعة وأصاب عقلها الذهول حينما تذكرت كيف كان قادرا علي القراءة والكتابة والرسم بينما كان لا يزال لم يبلغ عامه الثاني بعد، والأمر الذي خالج بداخلها الشك اتجاه طفلها الغريب الأطوار، تلك العلامة التي ظهرت لها منه كأمر نادر وفريد، حيث كان قادرا على الوقوف والتماسك دون مساعدة من أحد حين بلغ أسبوعين فقط من ولادته! لكنها على الزغم من عدم قناعتها أن تلك الأمور طبيعية الحدوث إلا أنها أرادت التكتم على الأمر وعدم إحداث ضجة حول صغيرها، ولفتت انتباه سامر إلى عدم التحدث في هذا الأمر مع أحد مجددًا.

كما أن سامر كان طفلا معجزة في نظر الجميع بين أهل قريته لقدراته العجيبة على التنبؤ بالأشياء قبل حدوثها، لدرجة أذهلت الجميع حين تنبأ ذات يوم بموت عمدة قريتهم فوق ظهر جواده، حيث كان يهوى ركوب الخيل، وبالفعل حدث ما توقع بعدها بشهور قليلة مما جعل

الأنظار تتجه إليه بشكل قوي، لكن أغرب ما تنبأ به سامر وفزع له الجميع أن عائلته بالكامل ستقتل... كما تنبأ بشيء غريب، بأنه سيعود إلى أسلافه المريخيين الذين عاش بينهم حياة كاملة من قبل، وأن ذلك سيكون على يد كائن فضائي سيظهر له ويذهب معه ولن يجدوا له أثرا...

وذات يوم اصطحب فؤاد أخاه الصغير سامر إلى إحدى الحدائق العامة للتنزه، كأحد أساليب فؤاد للتخلص من الضغط العصبي لحظة الانكسار أو الفشل، للبعد عن مرارة الاحساس بأنه شخص ليس له أهمية ولم ينجح في شيء مطلقا، وعندما جلسا سويا في الحديقة بادر الصغير سامر أخاه فؤاد بسؤال عجيب قائلا:

- هل وددت أن تعيش في الفضاء ذات يوم؟ فأجابه فؤاد مشدوهًا:

- كيف تأتي تلك الفكرة لي ؟ هل لأستكمل بها مسلسل احباطاتي ويأسي الذي ينهش حياتي وتخر له قواي ؟

فابتسم سامر متسائلا:

- وماذا ستفعل إن وجدت كائنا فضائيا سيخبرك بكل الأسرار التي تدور بعيدا عن سطح هذا الكوكب ؟

فأجاب فؤاد فاغِرًا فاه مشدوها من سؤال الطفل الصغير وأطلق إجابته:

- في الحقيقة لم يخطر ببالي هذا الأمر مطلقا ولكن إن حدث سأكون في قمة سعادتي إن يختصني هذا الفضائي بهذه الأسرار وحدي...



وأتبع ضاحكا:

ـ سيكون لي شأن عظيم وقتها وستتهافت علي وسائل الإعلام.

فصمت سامر قليلا وهو ينظر إلى أعين فؤاد في تردد وحيرة، فانتبه فؤاد لذلك الأمر محدثا سامر:

ـ ما الذي يجول بخاطرك أيها الصغير؟ ولماذا كل هذه الأسئلة عن الأمور الخارقة للطبيعة ؟

أجاب سامر:

ـ أردت أن أطلعك على سر!

فقال فؤاد:

ـ أي سر؟؟ تحدث يا سامر لا تقلق !!

فردّ سامر قائلا:

ـ أنه كانت لي حياة أخرى أعيش فيها على المريخ قبل أن أحيا من جديد وأولد على كوكب الأرض.

فضحك فؤاد كثيرا قائلا:

ـ يا أخي الصغير يبدو أنك أسرفت في القراءة عن الأبطال والمغامرين، لا بأس أن تتعايش لبعض الوقت مع شخصية الفضائي إن أعجبتك، لكن عليك ألا تجهدنا بتحمل نفقات بذلة فضائية أو صاروخ يقلك لعالمك مرة أخرى.

قالها فؤاد بسخرية وعاد مجددا للضحك.

لم يبال سامر من سخرية أخيه قائلا:

- إني قد عشت على المريخ الذي دمرته الحرب وتعرض إلى كارثة نووية في الماضي...

وأتبع:

- إن أقراني من المريخيين تبلغ أطوالهم حوالي المترين تقريبا ولا يزالون يعيشون تحت سطح الكوكب الأحمر ويتنفسون ثاني أكسيد الكربون وهم سرمديون ويتوقفون عن التقدم في السن عند بلوغهم عمر الخامسة والثلاثين، كما أنهم متقدمون تقنيا وقادرون على السفر بين النجوم....

كما أكد سامر لأخيه أنه ذات يوم سيعثر على سر أسرار الكون وأنه سيكون شاهدا على ذلك...

فاندهش فؤاد بشدة مما يتراءى لسمعه من حديث أخيه الصغير، كيف له أن يعلم كل هذه المعلومات؟ ومن أين أتى بها وهو في هذه السن الصغيرة، فيبدو أن لديه مخزونا هائلا من المعلومات الدقيقة القوية بالفضاء الخارجي، ارتاب فؤاد من أمر أخيه قائلا له:

- يجب ألا تعود لهذا الهراء مرة أخرى، وألا تتحدث في هذا الشأن مع أحد قطً !! وإلا سيكون مصيرك إحدى المصحات النفسية!!

وأخذه وانصرف عائدا للمنزل، ولم يفاتح فؤاد والديه في الأمر آنذاك، وأثناء سيرهما سأل سامر أخاه:

- لماذا يخافون عليه ويخشون معرفة الناس بأمره؟



لم يجد ردا مناسبا من فؤاد فأتبع سامر قائلا:

- أطرد الخوف من ذاتك فهو عدوك الأول، فإن استطعت ستكون أنت مصدر خوف الآخرين.

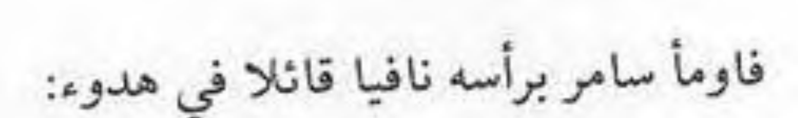
في هذه الأثناء ملأ سامر المنزل بكثير من الرسومات التي تخص الفضاء منها سفن الفضاء الذي برع في رسمها بشكل دقيق ورسومات ادعى أنها لكائنات فضائية غريبة الشكل، والصخور وأشكال وطبقات التربة على كوكب المريخ التي وصفها بشكل مميز وعجيب، الجميع في المنزل كاد يصيبهم الجنون من حال الطفل الغريب الأطوار، الجميع يخافون أن تقوم عليه ضجّة هائلة أذا أكتشف أمره أحد الغرباء، وقرروا ألا يفارق سامر المنزل ولا يختلط بالأطفال بالخارج حتى لا يعلم أحد بسره، وظل فترة طويلة بين جدران المنزل وهم يتمنون أن يعود صغيرهم لصوابه.

والده تحدث في أحد المرات عن طلب سامر له ذات يوم الذهاب برفقته إلى الحقل الذي يعمل به، فرفض والده في بادئ الأمر لخوفه عليه من طبيعة المكان القاسي وأشعة الشمس الحارقة لكن مع إصرار سامر وافق الأب على أن يعود به إلى المنزل بعد وقت قصير، وأثناء قيام الأب بعمله وقف سامر إلى جواره متأمِّلا في ملامحه قائلا:

- أتعلم يا أبي أن ملامحك تبدو قريبة من تلك الملامح التي امتاز بها قدماء المصريين؟

فنظر إليه والده قائلا:

- أتقصد تلك الملامح الخاصة بالفراعنة القدماء الموجودة على جدران المعابد ؟



فاومأ سامر برأسه نافيا قائلا في هدوء:

- بل أقصد من كان يعمل منهم بحرفة الزراعة وأكد على أنه مثل باقي أقرانه من المريخيين كان لهم علاقات قوية مع شعوب المصريين القدماء الذين تواجدوا على الأرض.

متبعا:

- إني قمت بزيارة سابقة للأرض وإلى تلك الشعوب تحديدا في الماضي، وأعلم عنهم الكثير.

فتوقف والده عن العمل وهو ينظر لسامر في دهشة اتضحت من خلال عينيه الجاحظتين دون استطاعته أن ينبس ببنت شفة وأتبع سامر حديثه قائلا:

- وعلمت منهم أن أهم الأسرار على تلك الأرض والتي ستغير شكل الكون وهذه الأرض تحديدا حين اكتشافه تكمن في نصب أبو الهول بالجيزة، ذلك التمثال القابع في مكانه منذ آلاف السنين يشهد بداخله على سر عظيم جدا،مؤكدا أن تقنية فتحه مخفية وراء أذنه.

فلم يستطع والد سامر حينها التحدث أو استكمال عمله وأخذه وأنصرف وعقله يكاد ينفجر مما صرح به هذا الطفل الصغير، فنصحه والده قائلا:

- لا تكتب أو تقل عن نفسك شيئا دع الآخرين يتأملون أعمالك فلن تزيد الحديقة جمالا بلوحة معلقة لوصف ما بداخلها.

فكان يخشى ما قد يلحق بابنه العالم ببواطن الأمور، لم يعد يعلم أين الحقيقة، باتت الرؤية باهتة بالنسبة له، هل يعرض ابنه على طبيب؟ أم يذهب به لأحد الأثريين ليخبره برؤيا ابنه الصغير ؟ أم يخفي تلك الأحداث ويبعد سامر مجددا عن كافة الناس خوفا عليه أن يصبح عرضه للأبحاث والدراسات؟

وهو ما أثر على تنفيذه حتى أتى اليوم المشؤوم الذي اختفى فيه سامر مسدلا الستار عن قصة طفل عاش غريبا واختفى بشكل أغرب عن الوجود.

وكان الأب أكثر حزنا من فؤاد على فقدان سامر فكان هو آخر من يراه عندما كان يلهو في الحقل، ويبدو أنه دار حديث ما بين سامر وأبيه، مازال يتذكره الأب الذي بدا عليه الحزن الذي يعتصر قلبه وعيناه التي يبست من بعد أن هطلت بالدموع فأصبح شاحب الوجه يائس الهوى والطباع يتهته في صوت منخفض كثيرا، ويمتقع وجهه وكأنه يعاتب نفسه بأسى كيف تركه يلهو دون أن يصطحبه معه للعودة إلى المنزل في ذلك اليوم اللعين.

بينما كانت مشاعر فؤاد متضاربة بين الحزن على أخيه الصغير الذي لم يتعرف على ملامح الحياة القاسية بعد فهو مازال في مرحلة مونتاج الصور وبين السعي الدؤوب لتحقيق أحلامه التي تتوارى خلف الجبال الشاهقة، والتي صوب عليها حدقتي عينيه بنظرة شاخصة مرتكزة على طموح يراوده لا يتزحزح أبدا عن مساره الذي قد أعده إليه سلفا في أن يصبح لامعا مشهورا، لكن هناك كما هائلا من اللعنات كانت

رفقته طوال الطريق الذي كان مصحوبا بالرياح العاتية التي لا تشتهيها السفن، بخلاف سواد البخت والحظ العاثر، تستطيع أن تعبِّر بالطريقة التي تناسبك عن هذا الإنسان الذي يمتلك أكثر من نصف جسده طموحا، ولا يمهله القدر مرة واحدة أو سوء حظه ليحقق شيئا بسيطا يرى تحت المجهر من أحلامه.

فعندما أنهى فؤاد دراسته بالمدرسة التوجيهية بتفوق تحقق له أمله بالالتحاق بكلية سادة القوم، لم يجد مكانا بين هؤلاء، فلم تعتد أن تحوي هذه الكلية بين جنباتها ابن مزارع بسيط أو بائعا للخضروات في أحد الأسواق، فما إن علم فؤاد بمصيره واستبعاده من التحليق عاليا، والابقاء عليه في دائرة القفز والركض في نفس المربع الذي اتشحت أضلاعه بالسواد حتى راح يبحث عن حلم جديد يعيد له الشرر لوقود محركات الأمنيات، ولكن بأدوات جديدة لم تصدأ من توالي الاخفاقات، وظل ينظر للطلبة المقبولين بالجامعة من علية القوم بحقد دفين مردِّدًا بصوت خفيض:

- لا تجعل من أكتاف الأخرين سلما لتحقيق أحلامك، فهم لن يتحملوا آلام صعودك ولن تتحمل أنت صدمة السقوط المروع، واعتز بنفسه أكثر.

فهو كان دائم النظر لنفسه في المرآة ليجد عيونا تقترب من الزرقة، تشبه السماء الصافية التي تنصلت من السحاب وهجرتها وشعرا ناعما كثيفا يأخذ من قطع الليل لونا له، ووجها دائريا ينبض بالحمرة، ووجنتين تظهران نضارة الشباب وعذوبته فكان وسيما حقا، ويرى في نفسه أنه

لا يقل عن هؤلاء ممن اعتادوا الوقوف خلف الكاميرات ليسرقوا انتباه المشاهدين من الجماهير الغفيرة، ويلهث وراءهم المصورون لالتقاط صورهم، أو الصحفيون الذين يمني نفسه بعقد لقاء صحفي معهم...

هؤلاء من تطبع صورهم على أفيشات بالحجم الطبيعي، فمن يدري ربما يكون يوما نجما سينمائيا ؟ لكنه سرعان ما يعود من غفوته هذه على كابوس قصر قامته ونحافته الشديدة، فهذا عائق كبير سيضع في طريقه كثيرا من المطبات الصعبة، فعندما كان يلعب صغيرا مع أصدقائه كان فؤاد الوحيد الذي بمقدوره دون عناء أن يختبئ وراء عمود من أعمدة إنارة الشوارع لضآلة جسده الهزيل، ولكن برغم صعوبة الهدف الذي تصبو عيناه إليه لم ييأس أو يكل من السعي، فهو كعادته لم ينظر يوما للمعوقات في جميع الأحيان وكان يعتقد بمقولة يرددها دائما:

ـ لا تدع نفسك خاوية على عروشها فإن لم تنبتها نباتا طيبا سيكسوها العشب الشيطاني.

وهذا ما دفعه دفعا رغم ظروفه الصعبة بالتقدم للارتباط بزينب:

ـ تلك الفتاة الصارخة الجمال التي كانت تشتم رائحتها عن بعد وكأنك في قلب بستان من الورود فهي في مشيتها تطاردها أسراب من الطير الأبابيل ترميها بالورود والياسمين، وتمر بردا وسلاما على الناظرين في اليوم العكيك فيستظلون بها من الحر وأنهار الشمس الحارقة، فلم تسلم من مغازلة أحد، حتى الأرض تبدو لينة تحت قدميها فلا تسمع صوتا لحركة مشيتها فقد أنعمت عليها الطبيعة بأجمل ما لديها،

فتتهافت عليها النظرات لتخطف منها لحظة دلال تتدلى من ابتسامتها التي لم تبدع السماء أرق منها، فهي لم تكن جميلة فقط إنما كانت من عائلة تمتلك الكثير من الأفدنة والأملاك ممن يسمون بالطبقة الراقية، فقد شغفته حبا وشوقا جمًّا، وإن كان لم يعرف حقيقة هذا الحب أو مصدره فهو لم يتحدث معها قط ولم يجمعهما أي لقاء في السابق فقط ينظر إليها وهي تمر كغيره من المتيمين بها، ولكنه لم يأبه لهذه الخواطر ولم تطرأ بباله هذه التساؤلات التي تبحث عن الحقيقة سواء كان ذلك حبا بالفعل أو نوعا من البحث عن الشهرة المستترة في جدران عقله الذي كانف أفكاره دائما، وتمثل هذه المرة في الارتباط بفتاة كانت ومازالت بمثابة فتاة الأحلام التي يتمناها كثير من شباب القرية، فلم يتوان لحظة ليمهل عقله لتدبر الأمر وقرر الذهاب إلى بيتها للتقدم لخطبتها وبالفعل ذهب في المساء.

فوجد والدها يرمقه بنظرات رجل كاشح تضخ في عروقه الدماء بقوة لتظهره غاضبا، فيقابله بفتور واستعلاء وكأنه يرى فيما فعله فؤاد غضاضة، كيف تسنى له فعلها ودار الرجل على كعبيه الخشنين اللذين يطرقان الأرض بصوت تنزعج له الآذان، وقبل أن ينبس ببنت شفة وهو ينظر إلى فؤاد وكانت نظراته تخترق أرجاء جسد فؤاد البالي الذي حاول أن يتماسك وهو يرتجف ذعرا، وكأنه ارتكب حماقة لا تغتفر بالإضافة إلى خوفه من الرفض والفشل، وبعد أن جلس الرجل على مقعده الوثير

وتشي بعلامات وجهه المتعالي، تسمر فؤاد مع أول كلمة ينطق بها الرجل وتجتاز شفتاه بقوة أحد المدافع الكفيلة بدك حصون العدو في لحظات صاح بها بصوت جهوري:

- كيف طاوعتك قدماك وعقلك الرث هذا على اتخاذ قرار طائش أهوج مثل هذا ؟

ولهجة صوته لا تخلو من السخرية وزفراته تكاد تشعل الهواء قائلا:

- أليس من الأفضل لك أن تبحث عن فتاة تناسبك فابنتي زينب لم تخلق لتقتسم الشقاء مع أمثالك ممن يعبدون هذا الصنم الوثني الذي يسمى بالفقر...

مرت هذه الكلمات على فؤاد كجبل من الثلج تهدم فوق رأسه وتخشبت معه جوارحه وتوقفت دمائه عن مجراها ودقات قلبه عن الخفقان، وصردان لسانه لم يقو على تحريكه لنطق الكلمات، فبات صريع مقته لنفسه الفاشلة، وجسده يرتجف كأنما وضع في لهيب في الجبل ليشوى عليه لحمه، فانصرف وقطرب في سيره مسرعا، وهو يتمنى لو كان انتظر ليرشق هذا الرجل البغيض ببعض الكلمات الجارحة لينتصر لكرامته التي افترشت الأرض مكانا لها، وخرج من البيت بوجه مُكفَهِرٍّ اللون بعد ما كانت تعلوه البهجة، ليقضي ليلة طخياء سوادها يحتضن عناءه وبكاءه، والليل الساجي الذي يتوق لوجود عاشقين يكتنفان منه رشفات الحب أصبح عليلا باهتا في أعين فؤاد الغاشية إلا من رؤية الحزن، فتتوالى الصدمات على رأس فؤاد ورغم قساوتها الأشدَّ من الحجارة في بأسها لكنها أكسبته مناعة غير عادية لتلقي المزيد منها، فهو اعتاد على الخسارة

التي لم تمهل له شيئا جديدا ليخسره، ورجع إلى منزله مهموما يجر أذناب الخيبة ليستلقي في مضجعه، وعقله يكاد يقفز نافرا من رأسه كالمأفون من التفكير، وعيناه كمضاجع الغيث تتساقط دموعها فتروي أشجار أحزانه، وعيناه تحلقان بسقف الحُجرة التي يراها في ضيق القبر وفي ظلمته باحثا عن فكرة في مخيلته، أو قد تتطاير أمامه لتغير ما هو فيه من حال الموت أرحم من قسوته، وفجأة وسط السكون تتطاير على مسامعه دقات على الباب تتوالى بتصميم غريب، فمن هذا الطارق؟؟

وبدأ يخطو نحو الباب في سير وشيق بلهفة تغزو أركانه لمعرفة من بالخارج، فهو لم يعتد على استقبال الغرباء منذ زمن بعيد، ومد يده ليواري الباب الذي يحجب عنه الرؤية ليفاجئه شخص طويل القامة، عصلوب البنية رؤء المنظر، وله شعر أسود كثيف طويل يتدلى على وجهه الأبيض المستدير وزأفه باحتضانه وفؤاد مازال صامتا يحاور نفسه في صمت:

- يا لها من مفاجأة غريبة فهمي خيرت ولكن مع بعض التغيرات الجسيمة على ملامحه وعلى مظهره، من أين أتى بهذا الرونق الجذاب؟ يبدو أيضا أن حاله أصبح ميسورا، فهو يرتدي بذلة أكاد لا أراها سوى على أجساد المشاهير، وما الذي أتى به إليَّ الآن؟؟ لم تكن بيننا ثمة أي علاقة يوما ما سوى بعض المناوشات في المدرسة داخل فريق الكشافة أو من يمثل المدرسة في المسابقات العلمية، فكان معروفا عنه أنه ذكي ماهر في أعماله، كما كان عرقالا ماكرا في أحيان كثيرة.

كل هذة التساؤلات وأكثر اخترقت عقله بسهامها في أقل من عشرة ثوان، يحتضنه فيها فهمي ويربت على كتفه زميل الدراسة القديم أو هذا الولد الغمليج الغريب الأطوار الذي لا تعرف له مواقف ثابتة، هنا قاطع فهمي تأملات فؤاد لذاكرته بصوت أجش لا يبدو إطلاقا لشكله الوسيم وهو منفرج الأسارير:

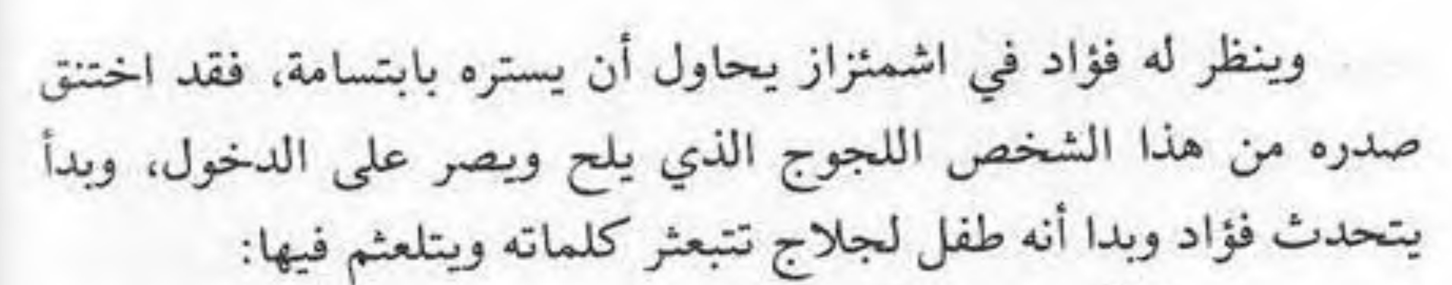
- ألم يتسنى لك السؤال عن صديق عمرك؟؟

وهو يصافحه بحرارة شديدة وسط ذهول يسيطر على ملامح فؤاد الذي أزرد لعابه متوجسا من أمر هذه الزيارة المفاجئة، فرد فؤاد بصوت مبحوح بعد أن طحر متلونا بنبرة يصطنع فيها الود:

- زهاء عقدين من الزمان وأنا أتشوق لرؤيتك، لكن أعبائي الكثيرة كانت تحول دون ذلك.

قالها وهو لا يعلم مدى وقع هذا الحديث على مشاعر فهمي، فهل سيصدقه أم أنه يعرف أنها مجاملة تزينت بكلمات حانية أراد بها فؤاد إكرام ضيفه الذي مازالت عيونه في حالة زيغ تلقي النظرات هنا وهناك إلى الداخل قائلا بصوت مشحون برغبة الفضول:

- ماذا بك يا فؤاد هل سنظل هنا على الباب كثيرا ؟ ألا تود استضافة صديق جاء بعد فينة أم أن هناك من بالداخل ولا تريد أن أزعجك أو أعكر صفو ليلتك؟ ولكني لا أثق في هذا التأويل، فما عهدتك سوى مليح الخلق.



وينظر له فؤاد في اشمئزاز يحاول أن يستره بابتسامة، فقد اختنق صدره من هذا الشخص اللجوج الذي يلح ويصر على الدخول، وبدأ يتحدث فؤاد وبدا أنه طفل لجلاج تتبعثر كلماته ويتلعثم فيها:

ـ لا أبدا ليس هكذا أفكر بالطبع، تفضل هذا أمر يسعدني.

فقال فهمي مبتسما:

ـ الحالمون دائما أشخاص لا يعيشون على الأرض، يفتن بهم الجميع كالنجوم تسر الناظرين في الليل المطبق.

فابتسم فؤاد قائلا:

ـ سأحضر فنجانين من القهوة الساخنة، أظن أنك ستحتسي فنجانا من القهوة لم يصادفك مذاقه يوما.

قالها وهو يريد إزالة عنه الحرج من جراء طول وقفتهم بجانب الباب.

وبدأ فهمي يتحدث عن مفاجأة سارة ستقارع الفشل الذي قبع فيه فؤاد سنوات طويلة، وتنتصر عليه، وأثناء سماع فؤاد لذلك الحديث استدار بجسده ناحية فهمي وعقله مازال شاردا، فيما يرى أمامه بذلة أنيقة تبدو من الماركات المستوردة من الخارج فهي في قمة الأناقة وسيارة فاخرة أمام باب البيت، فقد لمحها وهو يطل من شرفة الغرفة، كل هذا الثراء الفاحش لهذا الرجل الذي من الواضح أنه عاش في سؤدد وذو سيادة، ولكن كيف أصبح هكذا فهو لم يكن يوماً من أصحاب الأطيان والأملاك؟ إنما هناك أمر ما قد حدث بالطبع، وكان عقل فؤاد ينشط ليفكر بقوة كأنما ارتفعت درجة حرارته أو أنه أفؤود تحت الرماد، فهمي:

ـ ما رأيك يا فؤاد؟

انطلقت هذه العبارة من فمه، كأنما أمخط بها رأس فؤاد الذي بدأ يلملم شتات ذهنه الذي تبعثر وهو ينظر لحال فهمي مشدوها مما صار عليه، ليبادر فهمي آسفا لفقدانه تركيزه مطالبا إياه بإعادة ما قاله متعللًا بأنه لم يذق طعما للنوم منذ يومين كاملين، فهمي:

- لا عليك سأتلو عليك ما تاه عنه رشدك

لقد جئتك اليوم مجيرا لما تبقى لك من أحلام فكما ترى بحدقة عينيك الزائغتين أعيش حياة مرفهة، قبل ذلك عانيت كثيرا وتعثرت قدماي لكني كنت شجاعا مقتحما أضرب بسيف الأمل أذناب الصعاب والخيبة التي طالتني أحيانا، إلى أن وصلت إلى هذا المستوى الرغيد من العيش.

وراح يحكي عن معاناته وويلاته التي عبرها ببسالة وتغيرت نبرة صوته كزئير الهصور في وجه الغزلان المنكسرة التي تلوح باستسلامها دون أدنى مقاومة منها في الوقت الذي كان يتأهب فيه فؤاد لسماعه دوي إطلاق النيران من بندقية فهمي تجاه حظه العاثر، والذي وقف حائلا بينه وبين أحلامه التي كانت بينها وبين فؤاد ثقاف دام أمدا طويلا، وتوالت توقعات فؤاد تبادر ذهنه وتباغته بالكثير من القصص، كيف أصبح من الأثرياء ؟ وكيف تبدل به الحال وعرف منه أن هذا الثراء جاء بعد فينة من جمع الأموال من الناس لتوظيفها في مشاريع صغيرة درت عليه أرباحا كبيرة؟ بعد ذلك أستيبس ريق فؤاد من كثرة ما أزرد لعابه وهو يحملق به في ريبة وشك يساورانه وتوالت الظنون في مطاردة عقله، وفي قرارة نفسه: ما هو سر هذا الرجل الغامض؟ لماذا كل هذه الثقة من الناس له ؟ هل

نحن أصبحنا في المدينة الفاضلة أم أنه انملز منهم ومن نواياهم الخبيثة؟ أم أنه صادق فيما يقول وتحلى بحسن الخلق؟

استرسل فهمي في حديثه محاولا استدراج فؤاد لغرض بدأ يكشف عنه النقاب قائلا:

- أريد أن تشاركني بعض أعمالي لأني لا أستطيع أن ألم بكل هذه الأعمال بمفردي.

فقبل أن يقوم فؤاد بفتح فاه أو ينبس ببنت شفة أشار إليه فهمي بالصمت حتى يقوم بعرض كل ما يخبئه له، فتغير لون فؤاد الذي بدا حانقا من هذا الرجل اللكع الذي أتاه بعد عقدين من الزمان يعرض عليه مشاركته، واستكمل فهمي حديثه وهو يدور على كعبيه في الغرفة جيئة وذهابا، ونظر إلى فؤاد الذي وضح عليه التذمر:

- لقد أصبحت وكيلا إعلانيا لشركة سباتس للمشروبات الغازية، وأردت أن تقوم أنت لا أحد غيرك ببطولة الحملة الاعلانية للشركة.

فسمع نشيجه وتردد صوته في صدر فؤاد وكأنما بدأت الاحتفالات تعلق زينتها داخل أرجاء كيانه معلنة عن ميلاد أمل جديد لا يشق له غبار اليأس طرف هذا اليأس الذي لطالما استنشقه حتى زكمت أنفه به طوال حياته.

فابتسم فهمي الذي كان يعلم مدى السعادة التي ستطل من وجه فؤاد، وموافقته التي لم يتردد عنها لحظة واحدة، ورغم خوف فؤاد وارتباكه من الموافقة للعمل مع رجل مجهول بالنسبة له إلا أن شغفه بالشهرة قد يجعله

يلقي بنفسة في اليم بكل رضا وسعادة، مازال فؤاد يتأمل الغد الذي وثب إليه محمولا على آماله التي استفاقت من غفوتها، وهنا بدأ يقاطع فهمي مخيلته قائلا:

- إن تكرار محاولاتك وإن فشلت هي النجاح بعينه، فكل الاكتشافات العظيمة أتت بعد الكثير من التجارب الفاشلة.

وبدأ يعدد لفؤاد أسباب وقوع اختياره عليه بقوله:

- أعلم ما يدور في ذهنك وفي دهاليز أعماقك، لماذا أنت تحديدا؟ لأنني كما عهدتك جذابا مبهرا لم يختلف الأمر حينما صرت شابا، فالإعلانات يا فؤاد تحتاج إلى عنصري الابهار والجذب، وهذا ما حباك الله به وهذا ما أجده فيك بوفرة، كنت ترى في نفسك نجما خافتا لكنه سيظهر ويتلألأ وآن الأوان لذلك، ولتكن هذه نقطة الانطلاق بالنسبة لك.

فارتسمت ابتسامة على وجه فؤاد وصافح فهمي ليبدأ إعلان العمل بينهما، وبعد عدة أيام أستمرت اللقاءات بينهم فيها دون انقطاع، بدأت أفيشات الإعلانات بالأحجام الصغيرة تغطي جدران كثير من الشوارع والنواصي والأزقة، وفؤاد يشعر برضى وسعادة لما بدأ تحقيقه من أحلام/ ودارت في مخيلته كيف أشباه فهمي وأكرم، ه وكم كان هو بطرير في الضلال الذي صور له أن فهمي هذا أراد به سوءًا، وكان يسعد كثيرا حينما بدأ الناس يطلبون التصوير معه مثل نجوم السينما، هذا الشعور الذي كان يتوق إليه بشغف شديد أصبح الآن في متناوله إلى أن وصل به الأمر أن يبدو متعجرفا ويتصرف بغطرسة مع عامة الناس بنظراته التي تنسكب منها شلالات الغرور.

وذات يوم طلب فهمي من فؤاد أن يأتي في المساء إلى منزله ليتناولا العشاء سويا ويتحدثا في أمور العمل، فلم يرفض فؤاد طلبا مثل هذا لفهمي الذي كان سببا في ما وصل إليه من شهرة، ومازال يبحث عن المزيد من خلال التعامل معه، فهو يمتلك الزيت الذي يوضع في مصباح الشهرة والنجومية ليضيء له، وتأيب فؤاد إلى فهمي ذات الليلة، وما إن وصل إلى باب منزله الذي تبدو عليه الفخامة حتى دق الباب فلم ينتظر طويلا خلفه، فتوارى الباب على مهل كاشفا عن لؤلؤة سحرية أو قل جوهرة تشع ضوءا رغم كونها في قاع البحار، تظلمها إن قلت امرأة جذابة وحسب، تفوح منها رائحة العطر لتحتل أركان المكان، تتدلى خصلات شعرها الأسود الداكن الذي يشبه خيوط الليل على جنبات كتفيها اللذين يبدوان كأوراق التوت الملساء التي تنزلق من فوقها حبات الندى في اشتياق للأراضي العطشى، كيف طربت أذناه عندما سمعت تلك الموسيقى التي عزفتها عيناها في تجل واضح لم يستطع مسايرتها أقوى العازفون، فكانت حدقتا عينيها كآلة موسيقية لم يعرفها بنو البشر، ظهرت أمامه بملابس خفيفة تكشف أكثر مما تخفي من حسنها المتمثل في جسدها المتناسق الذي لم تبدعه ريشة أعتى الرسامين ولم يصلوا إلى هذا الحسن بمخيلتهم، فنظرت إليه بعينيها السوداوين، وهناك أشعة قاتلة تخرج من جفونها ليقع في أسرها كل ما تطوله، وتهمس في رفق يكاد صوتها يختفي معه من الرقة والعذوبة لولا لحظة الصمت والسكون ما كان سمع حسيسها تدعوه للدخول، ومازال فؤاد شارد الذهن سابحا في ذلك الملكوت الابداعي المتمثل في مجموعة من الحور على شكل امرأة.



وهنا فاجأه فهمي:

- تفضل يا فؤاد أنك لست بغريب أنت صاحب هذه الدار، أحب أن أخبرك هذه شقيقتي ثريا فهي تعيش معي في هذا المنزل فليس لي غيرها في هذه الدنيا وليس لها سواي، بعد أن تقطعت أوصالنا بفعل هذه الدنيا التي أرادت أن تخلع قلوبنا حزنا بفقداننا والدينا، ودلف فؤاد إلى الداخل ودقات قلبه تنهمر في خفقان لا ينفض ولا يهدأ، وطلب فهمي من ثريا تحضير فنجانين من القهوة وبدأ يمدح في طريقة عمل ثريا للقهوة فأكد له أنه سيتذوق طعما لم يعهده من قبل، فابتسم فؤاد وآثر الصمت وهنا تعالت ضحكة رنانة تحبو فوق بساط من النعومة كخيوط الحرير عندما تنساب من بين أصابعك، انخلع قلب فؤاد من فرط لهفته للنظر إليها، ولكنها مازالت بالداخل.

ثم أتبعت ضحكتها قائلة في دلال:

- بالتأكيد لست أنا من تتحدث عنها يا فهمي، أتمنى فقط أن تنال قهوتي رضى ضيفك.

وكانت كلماتها كطلقات الرصاص التي أصابت قلب فؤاد الذي يبدو وكأنه فريسة أوقعتها الشباك، فهذا القلب لم يتعرف على طعم النساء بعد خصوصا أن تجربته الوحيدة كانت من طرف واحد، وربما كانت لغرض ما بعيدا عن الحب، ولم تكتمل أمام نفوذ أهل زينب التي تزوجت فيما بعد من أحد رجال الأعمال، والآن من يعلم؟ قد يكون خبأ له القدر

نصيبا آخر أكثر روعة سيغير كل معالم حياته، وظهر الارتباك والارتجاف عليه وبدأ يتصبب عرقا عندما جلست ثريا في الكرسي المقابل له، وكأن الأرض كفت عن الدوران والشمس اقتربت لتلامس الرؤوس وذلك بعد أن أحضرت القهوة، وما إن بدأ يأخذ أول رشفة من فنجانه وعبرت شفاهه إلى الحلق مباشرة حتى قال لها:

- لم أر أجمل من هذا في حياتي...

والبسمة تعلن وجودها على وجهه بقوة وأتبع:

- كأنني لأول مرة أعرف طريقا يأخذني للسعادة...

وكأن كلماته المعسولة أرادت أن تصف جمالها كأنثى خلابة لا أن تصف فنجانا من القهوة، فاحمر وجهها، وفي نظرة ساحرة من جانبها له أرادت من خلالها أن تبين مدى شغفها به قالت:

- فهمي قد حدثني عنك كثيرا لدرجة جعلتني أتشوق لرؤيتك.

فارتسمت على وجهه الذي كساه الاحمرار علامات حاول أن يخفيها من الخجل لكن السعادة كادت أن تثب من عينيه وهو يتخوت حديثها ويحفظه بقلبه ويسمع صداه يتردد بداخله، فحاول أن يرد جزءًا من هذا الثناء فقال:

- شرف كبير لي أن أجالس امرأة لا تستطيع كل كتب ألف ليلة وليلة أن تصف حسنها.

فاحمرَّ وجه ثريا مبتسمة وردت في تصنُّع ملحوظٍ للخجل:

- إلى هذا الحد تراني جميلة؟

وهنا اقتحم فهمي الحديث بعد أن تعمد ترك أطراف الحديث سجالا بين فؤاد وثريا قائلا:

ـ القلوب تحتاج لشرايين تضخ بها الدماء لكي تحيا وتستمر، أما العقول تحتاج إلى أرواح واثقة لكي تنتصر.

وابتسم مُتبِعًا:

ـ كنت نويت أن أبادرك بالحديث في موضوع هام ولكن...

قاطعته ثريا وطلبت منه أن يتوقف عن الحديث، لكي تشرح هي بنفسها لفؤاد الذي بدا مرتبكا بعض الشيء ولم يلتفت إليها بنظره، فناغمته طالبة منه أن يراعيها أنتباهه قائلة والجدية بدأت تكسو وجهها الناعم:

ـ لقد أقمنا شركة صغيرة لتوظيف الأموال وبدأت أعمالنا تنمو مؤخرا ونعمل الآن على التوسع أكثر مما نحن عليه.

وكان فهمي قد إحدودب في مشيته واضعا يديه خلف ظهره وهو يقطع الغرفة جيئة وذهابا، متلهفا لسماع ردّ من فؤاد، وأتبعت ثريا بعد أن رشفت من فنجان القهوة التي أعدتها لنفسها:

ـ في الحقيقة كنا نبحث عن شخصية قوية وذات أمانة كبيرة تحافظ على أموالنا وأسرارنا، أعتقد أنك الشخص المناسب لما لك من سمعة طيبة وأمانة وذكاء مما قد علمته من فهمي.

قام فؤاد من ثباته وبدا عليه الوجوم وكأن حلت على رأسه الصاعقة، لا يستطيع أن يرفض ولا أن يقبل عملا لا يعلم عنه شيئا ودفدف بكلمات مسرعة تمتزج بالفخر مما سمعه من عذب الكلام في خصاله والقلق الذي بات ينبت أزهارا بداخله:

- إنني لا أمانع خدمتكم...

وتنجنج في حديثه قائلا:

- لكن ما الذي أستطيع تقديمه لكم وأنا لم أعمل يوما بالتجارة وبالاستيراد وما إلى ذلك من هذه المجالات وهو مجال الشركة الأساسي في استثمار أموال العملاء في استيراد المنتجات وبيعها بالسوق المحلية، ومن ثم يأتي عائد الربح...

زفر فهمي قائلا:

- يبدو أن عقلك مدجج بأسلحة فتاكة تقصف مواقع النجاح.

قالها ساخرا وارتسمت بسمة على وجهه:

- من واش بك أنك سوف تقوم بالأعمال التجارية والتسويقية ؟ هناك أمر أهم من ذلك، أفسح لعينيك المجال للرؤية، لا داعي لهذه الغشاوة التي تحاط بها، نحن نريدك مسؤولا عن الإجراءات وعن التفاوض أثناء إتمام العقود فقط.

هنا قاطعته ثريا على الفور وبدت عليها الجدية وكأنها تعلم إجابته مسبقا:

- مجرد وجودك بجانبنا سيعطينا كثيرا من الثقة، تلك الثقة التي غفقها بالسوط كل خائن وأوهنها حتى سقطت لتطأها الأقدام في هذا الدهر الكالح...

وأتبعت:

ـ كونك أن تبقى مستشارا لنا لتخطط معنا للمستقبل هذا شيء بسيط لما راودتني به ظنوني بالنسبة لرجل عتار وفي مثل كفاءتك...

ومشت الهوينى وهي تقول:

ـ لماذا ترفض أن تضع يدك في أيدينا؟

قالت هذه الجملة وهي تقترب منه بنصفها العلوي حتى كادت أن تصطدم به، فاحمر وجه فؤاد وبدأ يتلعثم في كلماته قائلا وهو يحاول أن يجفف العرق الذي بدأ يتصبب من جبهته مارا بوجنتيه:

ـ لا أستطيع رفض طلبكم لكني فقط أحتاج إلى بعض الوقت لتدارك الأمور...

فقاطعته قائلة:

ـ المخاطرة بشجاعة هي النواة الأولى لمعادن الرجال الحقيقيين فإن لم تكن كذلك فابحث لنفسك عن تصنيف آخر...

وأتبعت:

ـ سنترك لك الفرصة للتفكير، لكن لابد أن تعلم أن الفرص لا تحتاج إلى رجل هياب بل تحتاج إلى رجل مقحام ينفذ في أشد الطرق الوعرة.

وكان فهمي يدخن غليونه وبدا الحنق على وجهه لما يرى من رفض فؤاد الذي خالج شعوره خوف شديد، ونظر فؤاد إلى ساعته التي اقتربت من الثانية عشرة بعد منتصف الليل الذي تقور منه الكثير وهو لم يكن من خصاله السهر أبدا ولم يعتد عليه، قال مبديا أسفه:

- لابد أن أستأذن الآن...

مصاحبا حديثه بابتسامة لم تتوافق مع اضطرابه، وبدأ يمشي في تؤدة متجها إلى الباب فلاحقه فهمي قائلا:

- ألا تود أن تبقى معنا أكثر من ذلك؟ فمازلنا نتشوق للحديث معك، قبل أن تعزف ثريا بصوت تملؤه العذوبة كصوت آلة الكمان وهي تعزف تحت أضواء القمر والنجوم تتمايل حانية:

- أتركه لما تداعبه به نفسه يا فهمي فمازالت الفرصة أمامه، فرصة لا يرفضها سوى من أراد أن يرشف خمر مسطار تهوي به صريعا...

فانصرف فؤاد ولم يتسنى له أن ينام ليلته، فأخذ يصول به الفكر ويجول في منحدرات أعماقه وفي سراديب وجدانه متسائلا:

- كيف لي أن أرفض هذا العرض؟ لابد لي أن أرحب بتلك الفرصة كما قالت ثريا، فهي محقة في ذلك، وما إن جالت ثريا بخاطره انفرجت أساريره وأحس برجفة تملأ قلبه بالحنين إليها، تلك المرأة التي هزت وجدانه ولا يعرف هل وقع حقا في براثن حبها هذه المرة أم هي مجرد جهاز للصدمات

الكهربائية يقوم باستفاقة قلبه من نوبات الترهل وموت المشاعر بداخله، من أين جاءت بجوادها الأبيض الذي تمتطيه مدججة بأقوى أسلحة الحب لتهوي على حصون قلبه البكر الذي لم يقو على مبارزتها، وأعلن استسلامه رافعا الرايات البيضاء، وقلبه الذي كان يمثل الزهد الماثل في طبعه ككاهن، حتى أتت هي إليه في محرابه لتتلو عليه سر الكهنوت وتحل جسده ودمه من الخطايا، لكنه مازال أمام عقل توشز للشر، لا يرى أو يفكر سوى أنه يجمع مؤونته كي يستطع خوض المعارك الحامية الوطيس، في حين قلبه مازال يستكشف أسرارها تارة وعقله يحذره تارة أخرى من المجهول الذي لا يعلمه من العمل مع فهمي الذي أتى من الزمان الغابر ليقتحم حياته بدون مقدمآت ولا سابق إنذار، وخالجت فكره حكمة كان يقتنع بها تماما وهي:

- صوِّب سهام قوسك اتجاه أصدقائك قبل أعدائك،فعدوك لن يخدعك وسيباغت نقاط ضعفك فتنكشف وتعمل على تقويتها، أما صديقك فهو من يتستر على ضعفك لتتمادى فيه.

وظل يفكر حتى وصل إلى غبر الليل وغلبه النعاس، ومع أول خيوط صباح اليوم التالي حدث أمر أضفى كثيرا من الحزن على ملامح فؤاد فبدا وجهه مصفرا مكفهرا متجهما، لما علم من فهمي عن نبأ خاص بشركة سباتس التي يقوم هو بعمل الاعلانات الخاصة بها فقد تكبدت خسائر كبيرة، وسوف يقتصر عملها على بعض القرى الصغيرة إلى أن تقوم

بتصفية باقي أعمالها، وهو ما يعني بطبيعة الحال أنه لن يظهر مرة أخرى على لوحات الاعلانات ولن يستدعيه أحد لأخذ صورة معه مثلما كان ذلك في الوقت السابق، ربما لا يجد أمامه الآن سوى العرض المقدم من فهمي بقبول العمل معه من أجل البقاء على اتصاله بثريا التي أصبحت تمثل له السماء في بهائها، والهواء الذي يملأ رئتيه ليبقيه حيا، والأرض إذ مهدت له الكون بأكمله باتساعه، كيف يتركها وكيف يبصر بدون نورها المتبلج الذي يضيء سماء الدنيا، وأثناء تفكيره الذي لا تنقطع أحباله ناظرا بعنقه التي اشرأبَّت لسقف غرفته متأملا ما يحدث له وماذا يفعل، فاجأه صوت جرس الهاتف وهو يمني نفسه أن تكون هي من تهاتفه، فامتدت يده في لهفة تلقي بالسماعة على أذنه محملا بالأماني ليسمع صوتا حالِمًا مُحمَّلا بالدلال، يرشق قلبه بسهامه الحانية فتبدل حاله وتفرسخ الهم عنه، فقد لبت الأماني مطلبه قائلة:

- أتشوق لأن أعلم هذا الشيء الذي يمنعك من رؤيتنا أو السؤال عنا...

عبارة قالتها ثريا كادت أن تخترق قفصه الصدري لتصل إلى قلبه الذي يرتجف من الفرحة والتي جعلت قلبه ينتفض، لتستطيع سماع نبضاته من على بعد أمتار فتهافتت كلماته مسرعة تجتاز حاجز شفتيه اللتين تشققتا من ارتجافهما:

- ما زلت لا تعلمين مدى احترامي وتقديري لك، فلو كنت تعلمين ما قلت ذلك عني.

فما كان منها إلا أن صمتت قليلا، ربما كانت تنتظر منه جوابا آخر، ثم عادت تستطلعه الرأي فيما يخص أن يحضر اليوم للعشاء معهم بالمنزل، لكنها أرادت أن تغلف هذا االأقتراح بصفة الأمر فقالت له:

- إذا أردت أن أكمل ليلتي هذه ما بين أحزاني ومشاعري المهشمة، عليك أن ترفض دعوتي هذه لمرافقتي على العشاء.

فانتظر قليلا قبل أن تنطلق كلماته معلنة قبوله:

- نعم سوف أفعل، فأنا لا أود أبدا أن أكون سببا في حزن ثريا الجميلة.

فتنهدت بصوت كان قد سمعه وأتى من خلالها عبر أثير الهاتف، وكأنه يستنشقه حين امتلأ صدره بالهواء في سعادة بدت على وجهه الذي كادت أن تغار من إشراقته الشمس وقت الظهيرة، لم يشغل باله كثيرا فؤاد بماهية الأمر الذي ينتظره على مائدة ذلك العشاء، فراودته عدة أمور قد تكون هذه الدعوة بداية لخوض غمارها، وهمَّ مسرعا على الفور بالنزول لشراء بذلة جديدة تناسب بهاء هذا العشاء، الذي ستكون ساحرته الجميلة في انتظاره به كاسرا كل قوانينه البالية التي كان عليها من عدم اهتمامه يوما بمظهره، ربما لعدم قدرته المادية أيضا لذلك، لكنه الآن أصبح لديه بعض من المال مما كسبه من أجر الاعلانات التي قام بالعمل بها.

أثناء وقوفه مبهورا أمام أحد المحلات الكبرى، والحيرة تدب في عقله ما بين عدة موديلات راقت له، وجد بجواره رجلا طويلا نحيفا إلى حد ما، يلبس نظارة سوداء ويبدو عليه الاهتمام وهو يرمقه بنظراته ويقترب منه ويصافحه، محدثًا إياه قائلا:

- أنا سامي سرور ريچيسير.

وبدأ يسأله عن رأيه في القبول بدور صغير في فيلم سينمائي، فملامح وجهه تناسب ذلك الدور، وأتبع أن الفيلم من إخراج إبراهيم الزناتي، وهو مخرج شاب يبحث عن وجوه جديدة ليقدمها للجمهور، دارت الأرض من تحت أقدام فؤاد وبات مشدوها مما طرأ على مسامعه فاغرا فاه وعقله يمطره بكثير من الأحلام، وقلبه ينتفض يريد أن يصرخ فرحا، هل باتت السماء توزع قبلاتها بالمجان أم هي أضغاث أحلام سريعا ما ستزول ويقبع في أمنياته البعيدة؟ كل هذا ولم ينطق أو ينبس ببنت شفة قائلا وهوه ينظر لنفسه نظرة يشوبها التحدي:

- لا يضحي بمنظر الشاطئ الجميل إلا كل مثابر يحلم باكتشاف المحيطات.

لدرجة أن سامي بدأ يحملق به واعتقد أنه أبكم وبدأ يستعد للرحيل، حتى جذبه فؤاد من يديه قائلا:

- أقبل طبعا كم كنت أتمنى أن تباغتني هذه الفرصة التي طال انتظارها عمرا بأكمله، رغم أني مازلت في السادسة والعشرين من عمري، لكن هذه السنوات مرت قرونا كثيرة من وطأة الانتظار الأليم.

مع الحماس الشديد الذي بدا ظاهرا على وجه فؤاد محدثا نفسه قائلا:

- انطلق بقوة الصاروخ إلى سماء المجد، فكوكب العظماء لم يمهل يوما المتكاسلين من اللحاق به.

وتجاهل موعده الذي تمناه مع ثريا على العشاء من أجل الذهاب مع سامي للمخرج ابراهيم الزناتي، ولكن قبل ذلك اللقاء أرسل خطابة الأول إلى ثريا دون أن يكون ممهورا بامضاءه ليبقيه من مجهول، مدرجا به تلك الكلمات:

(أعزف على الناي الحزين تحت سحابة المطر
مطرا يبكي فراقا أدمى قلوب الحجر
كفيفا أحمق الخطى لا تلومنَّ القدر
فلقلبي ألف عين ولا يسعه النظر)

وذهب في الموعد كما طلب منه سامي، وبالفعل تقابلا في المساء على قهوة بالمدينة كانت تعج ببعض الممثلين الصغار والجدد، والمصورين فيما يسمى فريق العمل، واتفقا على موعد التصوير.

في ذلك المساء الهادئ الذي لم يأت مثله في مخيلة فؤاد فكان أكثر بهاء وجمالا مما كان يتصور في أحلامه ومشى رافعا رأسه، وكأنه مس بيافوخه السماء متباهيا بما حققه من أحلام ونسي أو تناسى لقائه مع ملهمته الجميلة على العشاء، ونام ليلته وهو في أوج قمم السعادة لا ينظر لما دون ذلك وفي مساء اليوم التالي كان موعده مع أولى مشاهده وقد استعد للتصوير، لحظات رهيبة مرت عليه ومع وقوفه لأول مرة أمام كاميرات السينما تلعثم في نطق الكلمات وارتبك وبدأ يتصبب العرق خوفا من الفشل حتى أعاد مشهده الأول أكثر من مرة، وهو يسمع ضحكات ساخرة آتية من الكواليس ممن يشاهدون التصوير، بدأ اليأس يتمالك فؤاد عندما رأى المخرج يزمجر بغضب في وجه سامي الذي انتشله من

الشارع ليصنع منه نجما حتى طرقت في أذنيه صفقة قوية مشجعة له شقت هذا الصمت اللعين، فالتفت وأدار رأسه في لهفة لمعرفة من هذا الشخص الذي يسانده ليجد ثريا حبيبته التي تجاهل موعدها بالأمس ولم يشغل بها باله الذي استوقد نشاطا لخوض تجربة التمثيل، فتشجع جدا عندما رآها وابتسم ابتسامة بدلت ملامحه لسعادة كبيرة وأزرد لعابه، وقدم مشهدا رائعا أعجب به المخرج وكل الحضور وانتهت جلسة التصوير وخرج فؤاد مُطَأْطَأَ الرأس يوبِّخ نفسه عن ما بدر منه من تجاهله لمعشوقته، وكم كان أحمقا، والآن تأكد من احساسه بحبه لها بعد وقوفها بجانبه ومسامحته لغيابه عن موعد العشاء، وهرول إليها ينظر إليها في حزن بدا على وجهه متأسفا لها وحمرة وجهه من الخجل تشع كقنديل وضع على جانبي الطريق في ليل دامس، فقالت له بهدوء والابتسامة تعلو وجهها الذي بدا أكثر نضارة وجمالا:

- لا مانع من أن تخسر أحد المعارك في سبيل أن تنتصر بنهاية الحرب، فلا بطولة دون معاناة ولا بطل دون انكسار.

ثم ابتسمت قائلة:

- أعلم ما يدور بذهنك، لا عليك من هذا عليك أن تسعد الآن بنجاحك كما هو حالي، أعلم أنك كنت ستأتي عاجلا أم أجلا.

ووضح عليها الثقة هذه المرة من نفسها، فرد في دهشة حاول أن يلزمها جدران عقله ولا يبديها بسؤال يريد من خلاله أن يكشف ما يدور بعقلها عنه وما تكنه إليه وتضمره بقلبها:

ـ وما أدراك ما كنت أخفيه عنك من اشتياق لم يفارقني قط؟
فنظرت إليه بطرف عينها بابتسامه ساخرة معاتبة إياه قائلة:
ـ هذا لأنك ما زلت لا تعرف الكثير عني مثلما أعرف أنا عنك.

فما أرادت بهذه الاجابة إلا أن تراوغه، فهي تعلم ماذا يريد لكنها ترغب في أن تظل هذه النار الموقدة بداخله مشتعلة، وتزيد هي كثيرا من الحطب عليها لا أن تطفئها، فسألها في خجل بدا على وجهه:

ـ أما زلت تودين أن أحضر على العشاء ؟

فصمتت لبرهة وحاولت أن تبدي الجدية والصرامة على وجهها الناعم وقالت:

ـ ماذا ترى؟

وكأنها تؤنبه على فعلته، رد فؤاد وهو يُناغي فتاته وكأن هناك آلة حادة تطرق رأسه:

ـ كنت غبيا عندما اعتقدت بأن هناك أمرا آخر أهم منك لدي.

وابتسم في وجهها وعيناه تكاد تحتضن عينيها السوداوين التي هربت من نظراته قبل أن تفصح عن أسرارها، فقالت وهي تبتعد:

ـ سأنتظرك غدا

وقبل أن تذهب قالت:

ـ عليك أن تعلم جمهورك هم من يحبطونك ويتجاهلونك ويسخرون منك ويحاربونك فإن صمدت على بلائهم واستكملت مشوارك فستكون بطلهم الأعظم.

و بات فؤاد ليلته لا يشغل باله أو يساوره سوى حبيبته التي جاءت له بها الأقدار لترفع شراع سفينة حياته التي كادت أن تغرق في بحر عميق من الأسى والحزن والوحدة، ومرت الليلة ومرت ساعات النهار في بطء أراد أن يقتله فؤاد ليأتي المساء على تؤدة ويذهب للعشاء، وأتى الليل على مهل وذهب فؤاد في موعده، وكانت في استقباله ثريا التي تزينت بفستان أسود جذاب جعلها تبدو في بهاء القمر وسط الظلام الهادر، وعلى مائدة الطعام التي أعدتها وزينتها بكل ما لذ وطاب كان لا يرى فؤاد سوى أميرته فقط التي بادرته بابتسامة رقيقة زادت من أنوثتها.

وهو ناظرا لها بلهفة استغاثة لغارق في عرض البحر، وهي لا تبالي بجبروتها كفيضان غاشم يدمر كل السدود وعندما انتهي الجميع من العشاء بادر فهمي الذي ظل صامتا لم يبال تلك النظرات المتبادلة بين فؤاد وشقيقته، حتى أخرج من جيبه ورقة أشار بها إلى فؤاد وهنا بدأ يوضح الأمر إلى فؤاد قائلا:

- سأضطر للسفر كثيرا للحصول على صفقات عديدة قادمة، وهذا سوف يجعلني أمكث كثيرا خارج البلاد، ولابد أن يكون هناك من يقوم بسائر الأعمال التي أقوم بها.

فصمت فؤاد قليلا وهو ينظر إلى ثريا وبدأ يتحدث بتؤدة قائلا:

- لا أستطيع أن أتخلى عنكما.

في إشارة منه أنه سوف يقوم برعاية ثريا أيضا، فقام بالتوقيع له على هذا العقد الذي أبرم بينهما، الذي ينص على الشراكة بينهم وذلك لكي يستطيع التصرف في كافة الاجراءات الخاصة بشؤون الشركة، لأنه أعطاه

نسبة تفوق النصف، هذا معناه أنه المسؤول الأول عنها ويتحمل كافة المسؤوليات القانونية، لم تخل الدقائق الباقية على انتهاء هذا اللقاء من الاحتفال الذي ساد وجوه الجميع، إلا أن سعادة فؤاد شابها بعض القلق الذي لم يتوار عن عينه لحظة، يرى هذا جليًا القاصي والداني.

في صباح اليوم التالي قام فهمي بتحويل كافة أمواله إلى البنوك بالخارج دون علم فؤاد، الذي ابتلع الطعم فهو لم يكن إلا مجرد أحد ضحايا هذا الرجل المالق الذي نما إلى علمه أن أمره انكشف، بعد أن وصلته معلومات تؤكد أن بعض عملاء شركته قد علموا أن أمواله مشبوهة من جراء عمليات النصب والاحتيال على العامة، وهم بصدد الإبلاغ عنه، وفي ذلك المساء تمت دعوة فؤاد من قبل فهمي للعشاء الأخير الذي أراد فيه فهمي أن يرمي بشباكه كاملة لتحوي بداخلها هذا الصيد الثمين، وفي تلك الأمسية بدا فهمي باسما حين نظر إلي فؤاد الذي وجده هائما شاردا، فبادره فهمي بالحديث بخصوص رعاية أخته ثريا أثناء غيابه، وكأنه يريد أن يسمع من فؤاد شيئا عن الارتباط بها، فأخذ فؤاد أطراف الحديث والابتسامة المصاحبة لاحمرار وجهه من الخجل لازالت ساكنة به:

- أريد أن أرعى ثريا للأبد ليس فقط وقت غيابك.

فاحمر وجه ثريا التي بدت عليها السعادة، فتجرأ أكثر عندما طلب يدها للزواج لتكمل نصفه الآخر قائلا:

- لن تشفع لك خبراتك العاطفية السابقة عندما يدق قلبك، فتأكد أنه محا كل ذكرياتك وولدت من جديد.

فبارك فهمي ورحب بذلك وأجاب بالقبول، في ظل ابتسامة مصطنعة من ثريا تحاول أن تخفي وراءها كثيرا من الدهاء، لحظات سعادة لم يعشها فؤاد من قبل ولا هذا القلب المُنفَطر من صدماته التي أثقلت كاهله بأحزان لا نهاية لها، واتفقا كلاهما على يوم للزفاف في نهاية الأسبوع، وفي ظل الفرحة العارمة التي كست وجه فؤاد قال له فهمي:

- سأصطحب ثريا إليك بسيارتي ليلة الزفاف، أريد أن أكون بجانبها في هذه اللحظات السعيدة فأنا لها بمثابة الوالدين.

فأومأ برأسه في إشارة منه على الموافقة، وباتت الأيام تتسرب ببطء شديد على قلب فؤاد ذاك القلب الذي يبدو له في الأفق كهل يرتدي زيًا مهترئا ويريد أن يبدله بزي آخر جديد تشع منه السعادة ويفوح منه عنفوان الشباب، وراح يرسل خطابا آخر لثريا من مجهول، ربما لم يستطع لسانه الافصاح عما بقلبه جاءت فيه تلك الكلمات:

- اعتلي صهوة جوادك، سيري الهوينى وتسللي بين أحشائي، فقط لا ترتعدي من وجودك بقلعة قلبي وحدك

لم يفوت فهمي هذه اللحظات تمر دون استغلالها في تنفيذ جزء من خطته الشيطانية، وقام باستخراج جواز سفر مزيف وسافرت به ثريا إلى أوروبا وتحديدا-لندن في نفس يوم الزفاف صباحا، وحل المساء الذي ازدان بكل جميل وتراصت باقات الورود على الجانبين وعلقت الزينات، واجتمع لفيف من المهنئين، وجاء فهمي بسيارته والبهجة ترتسم على وجهه إلى مكان الحفل، وبدا فؤاد مشدوها عندما رآه بمفرده فترجل إليه مسرعا وصاح به قائلا:

ـ أين ثريا؟

فتغيرت ملامح فهمي، وبدا الوجوم يغزو أركان وجهه، فرد فهمي عابسا:

ـ هذا ما كنت سأسألك عنه للتو، يبدو أنك قرأت أفكاري...

تبدلت ملامح فؤاد كليا من حمرة الورد إلى وجه مكفهر، وبدا كقارب صغير تلاطمه الأمواج في عرض البحر، وانتابته ارتجافة لجسده الذي بدا عليه الهذيان، فهو يعلم أن القدر لم يمهله من قبل لينعم بشيء، فقال فهمي الذي انتابته القشعريرة والخوف كان ظاهرا على وجهه:

ـ لقد طلبت من ثريا أن تأتي بسيارتها، لا أعرف لماذا تأخرت إلى هذا الوقت أخشى أن يكون أصابها مكروه.

فزاد الهرج والمرج على وجوه الحاضرين عندما تسلل إليهم خبر اختفاء العروس، وسأله فؤاد في غضب:

ـ لماذا لم تأت معك كما كان متفقا عليه؟

فرد فهمي محاولا إظهار ملامح الدهشة على تعبيرات وجهه:

ـ تواصلت معها منذ ما يقرب من الساعتين، وقالت أنها ستأتي بمفردها، وأنها في طريقها إلى مكان الاحتفال.

محاولا تغيير علامات الدهشة إلى حزن وقلق، وبدت ملامح فؤاد يكسوها الارتعاد، وكان فهمي قد دبر هو بنفسه هذه الحادثة الوهمية حينما أخذ سيارة ثريا وجرفها إلى ترعة السلام وأغرقها بها، تلك الترعة التي تبعد قليلا عن مكان حفل الزفاف، وفي هذه الدقائق أخذ بعض

الحضور في هذا الحفل في البحث عن العروس الغائبة، أو عن أي شيء في الخارج يدل عن مكانها، وفجأة تطاير خبر جاءهم نبأه كالصاعقة بوجود سيارة العروس قابعة في أعماق ترعة السلام، وانطفأت الأنوار وخيم الحزن على المكان وانتقلوا سريعا إلى مكان الحادث، وبكى فهمي بشدة حيث يجب أن يكون كذلك في هذا الظرف القاسي، وأشار لفؤاد أنه سيسافر ليبعد عن ما يذكره بتلك الحادث التي قصمت ظهره وعصفت بحياته، في حين أن فؤاد بدا وجهه شاحبا متسمرا في مكانه ينظر إلى الترعة التي اختطفت منه ما تبقى له من أحلام مجسدة في ثريا وهو جالس بجوارها في صمت وعيونه تذرف دمعا بلل وجنتيه، غير مصدق يحدث نفسه قائلا:

- الجميع يحبون رؤية الحقيقة من زجاج النافذة لكنهم يكرهون سماع نقرها علي أبواب بيوتهم.

و ظل هكذا عدة أيام يصل النهار بالليل في مشهد درامي رهيب، فلم يتمكن من التسلل إلى قلبه حتى اقتلعته أنياب الحزن، واقتلعت معه الأمل من جذوره، ولم يكتف القدر بذلك القدر الكافي من الويلات التي هبت كالإعصار المدمر على قلب فؤاد، بل توالت الصدمات كحبات المطر على رأس فؤاد حيث جاءه الريجيسير سامي سرور إلى مكان جلسته على حافة الترعة ليخبره أن المخرج ابراهيم الزناتي تعاقد على القيام بدور مساعد مخرج كبير في أمريكا ليساعده في إخراج سلسلة من أفلامه، فقام بفسخ التعاقد مع شركة الانتاج القائمة على إنتاج الفيلم، ومن سوء حظه

العاثر أن المخرج كان أيضا صاحب قصة الفيلم، وبذلك لم ير الفيلم النور وكأن ما قام به من تصوير لم يكن...

ليس هذا فحسب حيث لم تمر ثلاثة أيام عن كل هذه الكوارث التي حطت على رأسه ليتم القبض عليه بتهمة النصب والاحتيال من خلال عقود الشركة التي تركها له فهمي، هذا الحتال المحنك وها هو الآن فؤاد يقضي عقوبة عشر سنوات بالسجن المشدد، ماذا فعل ليجني كل هذا الخراب ؟ وهل ستطوي هذه الجدران قصة حياته خلفها؟ أم أنه سيكون للعمر بقية تبعث فيه الأمل من جديد ؟ سنرى إجابات الأسئلة التي دارت بعقل فؤاد وهو يتحداها قائلا:

- ذات يوم سيحدث شرخ بداخلك لا تسع لترميمه، فشعاع النور دائما يأتي من العتمة.

تعلم فؤاد في محبسه أشياء كثيرة لم يكن يعرفها من قبل فهو تعلم أن يعيش بلا أمل ولماذا يتشبث به وكل ما لديه من أحلام تبخر أمام عينيه حتى والده لم يعرف عنه شيئا، فما بقي منه بقايا حطام إنسان لم يطاوعه القدر ولم تبتسم له الأيام ولم يبق معه شيء إلا وفارقه، إلا شيء واحد بقي معه وهو الفشل وخيبة الأمل، ظل يفكر طوال سنوات هل سيقوى على شيء ليفعله بعد أن يرى النور يوما ما؟ فقد أصبح شاحبا هزيلا لا يقوى على حمل جسده فوق أقدامه. وعظامه تكاد تظهر من كثرة نحافته، وأنطفأ بريقه بشكل لافت للنظر، فظل دائما يفكر ويتأمل أن ما يحتاجه ليعود كباقي البشر مرة أخرى هو معجزة محققة على الأرض، وذات يوم طلب

فؤاد من أحد حراس السجن أن يأتي له ببعض الكتب مقابل مال قد دفعه له، وقد أحضر له الحارس ما طلب وكان من بين هذه الكتب كتاب عن الفلك وأسرار الكون، وكتاب آخر يخص الحضارة الهندية القديمة، وآخر عن المصريين القدماء، وظل يتعلم وينهل من تلك العلوم، وعندما ينتهي من كتاب يأتي بغيره، وكان لديه طبشور صغير استخدمه في رسم صورة لثريا على الجدران، كتب بجانبها عدة عبارات منها:

- توضأت من خمر شفاهها ووقفت أمام عينيها قبلتي...

لكنَّ فراقا لاح لنا في الأفق، رافضا لإقامة الصلاة...

وعبارة أخرى جاءت كلماتها كالتالي:

- أخشى السير وحيدا لأسمع لِسرداب هذه الدنيا زئيرا

فأنت من جعل من ظلمة القبر سِراجا منيرا)

ومرت تلك السنوات التي كانت تفصله عن النور وراء الجدران، وذهب إلى منزله فوجده كهفا لم تراوده مراسم الحياة منذ زمن بعيد، وبعد أن طرق باب أقرب جيران منزل والده، وكان لشيخ مسن يدعى عبد الودود، ظل هذا الرجل يتأمل ملامح وجه فؤاد التي طمستها علامات الزمن، وحطام جسده البالي حتى عرفه في النهاية، وأخبره أن والده توفي منذ سنوات مقتولا فقد نحرت عنقه ووجد جثته صاحب الأرض التي كان يعمل بها بالأجرة في الحقل الزراعي عشية أحد الأيام، ولم تكتشف الشرطة الجاني بعد محاولات عديدة في حادث تشابه تماما مع مقتل والدته، فكأنما طعن فؤاد بهذا الخبر بخنجر في صدره آلاف المرات،

فبدا وجه فؤاد متحجرا كالرخام، فلم تعد هناك بقية لمشاعر بداخله كي ترتسم عليه، وقبل أن يرحل أشار إليه جاره بأن ينتظر لحظات، ودلف إلى الداخل وعاد قائلا:

- والدك ترك لك أمانة أحملها لك منذ سنوات طويلة، وإذا به يخرج من جيبه عملة معدنية دائرية الشكل على هيئة قرص الشمس لم تحدد الرسوم عليها لأي زمن تعود أو لأي عصر تكون فدارت عدة تساؤلات في ذهنه، ما هذه العملة المعدنية؟ هل ستعود به للوراء أم ستعوضه عن ما خسره في حياته؟ فلم يجد اجابات فأخذها وابتعد...

وأثناء سيره سمع بعض الناس يتحدثون عن شيخ يدعى سليم الزغبي وإنجازاته وكراماته، وكان فؤاد لا يعتقد في هؤلاء مطلقا ويعتبرهم دجالين مشعوذين وما يفعلونه مجرد خرافات، ولكنه تأمل ما حدث له طيلة حياته في شريط سينمائي مر أمام عينيه، وقال:

- إذن ما هو المعقول والعقلاني؟ ي أن يكون لي بخت يتخذ من قطع الليل المطبق لونا له؟ بل قد يكون ما أدرجته في حساباتي يوما ما هو الخطأ وعلي من الآن إعادة النظر في معتقداتي وفي تلك الأشياء...

كان قد اتخذ قرارا بالذهاب إلى ذلك الشيخ، فلم ينبهر فؤاد بمنزله الذي اتخذ شكل الكهوف، أو تلك المشاعل المثبتة على الجدران، ورسوم الحيوانات والمباخر، فهو يعلم أنها أدوات يستخدمها كل الدجالين،

ولكن حدث أمر غريب بدا فؤاد مشدوها منه بشكل كبير، حيث أنه بمجرد جلوسه أمام الشيخ سليم ظهرت ملامح الرهبة والقلق تطل من عيون الشيخ بشكل لافت، ونبرة صوته يشوبها حشرجة الخوف وهو يقول بصوت هادر:

- كن مستعدا ولا تأمن لغابة البشر من حولك، فكثير منهم يرقص طربا مع الذئب ويبكي بحسرة مع الراعي...

وأتبع بحدة:

- لماذا أتيت إلي هنا وماذا تريد مني؟ فرد فؤاد:

- بالطبع أريد مساعدتك.

فأجابه سليم:

- لا أستطيع مساعدتك، لكن هناك غيري من يستطيع ذلك...

دون تفسير واضح منه وأتبع:

- والآن عليك الذهاب إلى هناك.

فاندهش فؤاد من الطريقة اللطيفة التي طرده بها الشيخ، فقام من مكانه والحيرة تقطع أوصاله، ماذا يعني هذا؟ ومن هم الذين يقصدهم؟ راح يفكر طويلا دون جدوى ودون علامات تريح باله، حتى اهتدى إلى فكرة أن هذا الشيخ المعتوه ربما خاف منه لاعتقاده أنه أحد رجال المباحث، وردد وهو في طريقه للخروج:

- على كل حال لم أخسر شيئا جديدا، أو بمعنى آخر لم يعد لدي شيء لأخسره...

وذهب وهو ينظر إلى السماء، كأن هناك موعدا بينهم، إما أن ترسل إليه شيئا يغير مسار حياته، أو تأخذه إليها في نظرة يأس من الدنيا التي ضاقت به حتى قادته أقدامه إلى ترعة السلام، وجلس في نفس المكان الذي ارتاده مسبقا ينظر إلى الأعماق، وكأنه يناجي ثريا تلك المرأة التي ضربت موعدا مع الموت يوم زفافها عليه، وأخذ يكتب رسالة بخطاب صغير قبل أن يلقيه بالمياه، كأنه أراد إيصاله إليها، جاء نصه كالتالي:

- اتشحت الأعين بالسواد في محاجرها ووقف الدمع في وجه الضياء حراسا.

فلم تبال الأعين ظلمة كان الحبيب فيها يحمل نبراسا

كأنه أتى بعيد بدأت تدق له أجراسا

فأحبت العين الدمع ما أرادت له خلاصا

فلم يجل بخاطره الشك لحظة واحدة أنها كانت تمثل عليه الحب، أو أنها تعرف بإدارة أخيها لشبكة من النصب على الناس وكان هو أحد ضحاياه، ولكنه لم يعد يثق في شيء بعد كل الكوارث التي ألمت به وجاءه شعور غريب يراوده برهبة الغدر، وأراد أن يتأكد من الحقيقة

فذهب إلى القسم التابع للمنطقة وأستأذن الضابط في أن يساعده في معرفة الحقيقة في تلك القضية، فلم يمانع ذلك الضابط الخلوق الذي يدعى رمزي سالم فأخذ فؤاد يحكي له عن نفسه حتى تعاطف معه رمزي ووعده بالتفتيش في الملفات القديمة حتى يعثر على الحقيقة كاملة، وبعد عدة أيام لم تترك فؤاد الظنون فيها طلب الضابط رمزي من فؤاد الحضور

إليه وبالفعل سارع فؤاد بالحضور وطلب له رمزي فنجانا من القهوة، حاول في البداية رمزي أن يظهر هادئا وهو يحكي لفؤاد عن هذه الأحداث من واقع سجلات تلك الحادثة، وفؤاد يرمقه وقلبه ينتفض خوفا من مجهول ينتظره حتى قال رمزي وبدا على وجهه العبوس:

- بعد عدة محاولات لفرق البحث الجنائي لم تظهر أي جثة في هذه الترعة ولمدة طويلة، وبما أنه لا توجد جثة هذا يشير إلى أنه قد يكون عملا مدبرا ومرتكبا بالقصد، وليس حادث سيره القدر، وبانتشال السيارة الغارقة تأكد فريق البحث أنها تابعة لأحد مكاتب إيجار السيارات، لشخص يدعى أنطونيوس، وضع فؤاد رأسه بين يديه من الصدمة التي وقعت على رأسه ونهض من مكانه، وشكر الضابط وانصرف، وذهب مسرعا يستعلم عن هذا المكتب من الأرشيف الإحصائي للشركات والمكاتب التجارية بمبنى المحليات الخاص بالمدينة، والذي يتدون به كافة بيانات تلك المنشآت، وعلم عنوان ذلك المكتب بالفعل، وعندما ذهب إلى هذا المكتب وجد شابا يافعا هو من يدير المكتب فسأله فؤاد عن الماضي وقصة الحادث القديم لسقوط سيارة خاصة بمكتبهم بأحد الترع.

رد الشاب في أسف:

- كنت أود مساعدتك فيما تبحث وجئت إلى هنا من أجله، لكن في الحقيقة والدي قد توفي منذ ثلاث سنوات وأنا

كنت أدرس بالخارج ولا أعرف عن ماذا تتحدث فأنا لم أكن يوما أتابع المكتب أو أعمال والدي لدراستي التي كانت تشغل معظم وقتي منذ الصغر وأنا خارج البلاد، معذرة أني لم أستطع مساعدتك.

وهنا تركه فؤاد بعد أن شكره وعاد مرة أخرى إلى الضابط رمزي يسأله عن السجلات العائلية لفهمي وثريا، فهو مازال يريد أن يتأكد هل كانت ثريا حقيقة حقا ومشاعرها صادقة أم كانت وهما وخداعا من تدبير فهمي الذي بسببه توارى وراء الجدران سنوات طويلة من عمره، وبعد بضعه أيام قليلة من البحث استدعى الضابط فؤاد الذي كان بمثابة صديق له، ليخبره ووجهه بدا عليه الحزن أن فهمي خيرت من واقع السجلات كان وحيدا ولم تكن له أخت مطلقا، صدم فؤاد وخر جاثيا على ركبتيه وكأنه أصابه طلق ناري في قلبه الذي لم يعد يتحمل ذلك الخبر الصادم، وكاد أن يفقد الوعي وأجهش بالبكاء وساعده الضابط في النهوض وربت على كتفه مواسيا قائلا له:

- لا تندم على دموعك التي ذرفت بشدة على رحيل أحدهم فهي تدريب جيد وخير وداع لمن سيرحل عنك مستقبلا،.
فإن ظننت أن هناك شيئا باقيا فهو بلا شك دموعك.

وخرج فؤاد يسير في طريق طويل يراه كالليل المطبق، وعقله شارد يفكر في تلك اللحظات السعيدة التي عاشها مع تلك المرأة، وكيف كان فريسة سهلة بين براثنها تلك المرأة التي تخاف الذئاب من خداعها ومكرها، فلم يعد قادرا على التنفس من هواء هذه الدنيا المليء بقذارة

الخيانة ومرارة الألم فقد قرر أن ينهي مأساته بنفسه وباختياره طريقة الموت التي يعذب بها جسده، وكأنه يعاقب نفسه لأنها تواجدت في هذه الدنيا من الأساس، وبالرغم من ذلك صوت عقله يقول:

- انتحار العاشق لن يزيد محبوبته إلا تكبرا وغرورا

فلن يبقى منه سوى رفات أشواقه تقبل قدميها

فلم ينصت لصوت عقله وذهب بعيدا في الصحراء لمنطقة تحوي الذئاب والثعابين، لعل أن تكون نهايته على مائدة تلك الحيوانات التي برغم قساوتها ربما تكون أكثر حنانا من البشر ليلاحظ أمرا غريبا أشد غرابة من عدم مساعدة الشيخ سليم له، وبدا معه مشدوها مما يرى، فبرغم وجود الكثير من الذئاب في هذا المساء المظلم في تلك الصحراء القاسية لم يقترب منه أي منهم فلماذا هل يخافون منه؟ وظل يسير في الصحراء فبدا منهكا لم تعد قدماه تتحملان السير، ولم تعد عيناه تريان جيدا، وبدت شفتاه مصابة بالتشقق من كثرة العطش، وقبل أن يسقط أرضا حدث أمر رهيب جدًا لم يسمع عنه أو يره من قبل، فكان قد رأي غرابا لكن حجمه كبير ج يرقد أمامه تصدر عنه رائحة عفنة، يتحدث إليه بصوت كفحيح الثعابين قائلا:

- الآن ستنتهي كل مأساتك إن أردت لتبدأ عصرا أسطوريا من الملذات.

رد فؤاد في فزع جعله يرتجف:

- من أنت وكيف لك أن تتكلم؟

رد الغراب:

- أنا ربك.

فقال فؤاد:

- ربي هو الله لم أعهد غيره.

فقال الغراب:

- ولماذا ضقت به وأتيت إلي ؟

فقال فؤاد:

- لم أعرفك ولم آت إليك.

رد الغراب:

- بل تعرفني جيدا وبحثت عني طويلا.

فقال فؤاد:

- لماذا لا تخبرني من تكون؟

رد الغراب:

- كعادة البشر السخفاء يجادلون فيما لا يعلمون ولكني سأخبرك بكل ما تريد.

- أنا خسراف أحد الشياطين الذين عاشوا إبَّان عصر سليمان، وكنا كما تعلم مسخرين لأمره وذات يوم طردت من هذه المملكة إثر رفضي البناء في قصر سليمان الضخم، فطردني كبيرنا خوفا من أن يدمرنا سليمان جميعا، ومن آلاف السنين وأنا أقبع في هذه الصحراء وأستطيع العودة إلى أسلافي في المملكة إذا وافقت أنت.

فرد فؤاد مندهشا:

ـ وما دخلي أنا بهذا؟

رد خسراف:

ـ أنت سيد العالم...

وأشار بجناحه ليظهر كرسي مرصع بالجواهر يشع ضوءا من كثرة الأحجار الكريمة،

وأتبع:

ـ فقط عليك أن توافق لتجلس على عرش العالم لتحكم وتأمر.

رد فؤاد:

ـ أوافق على ماذا؟

قال خسراف:

ـ على أن أكون ربك، وستكون خليفتي التي ستحكم الأرض ولك ما تأمر وتتمنى، كنت على شفى حفرة من الموت وأنا أتيت إليك لأعطي لك قبلة الحياة التي ستحقق لك كل شيء، القوة، الزعامة والأسطورة والشهرة، سأجعل العالم يتحدث عنك كما تمنيت، والآن إن آمنت بي سأعود إلي معشر الشياطين وسيعفو عني ملك عشيرتنا ومملكتنا، وإن رفضت سأتركك تموت دون أن تنعم لحظة في الجنة التي كنت سأتركها لك وأستخلفك فيها، وهنا بدأت عينا فؤاد تتسعان من هول المفاجأة التي يخفيها عنه خسراف وقال:

ـ وماذا تريدني أن أفعل لكي أكتسب ثقتك وتنفذ لي ما وعدتني به ؟ وهل ستظل على هيئة هذا الغراب أم ستجعلني أراك؟

قال خسراف:

ـ لن تستطيع أن تراني الآن فما زلت لم تؤمن بي إيمانا كاملا، ولن تطيق النظر إلي فقلبك الضعيف سيتوقف في الحال، إنما أعدك أن تراني بعد تنفيذ الوصية الثانية عشر، فستكون وقتها مستعدا لرؤية ربك خسراف.

رد فؤاد في ذهول: _ الوصية الثانية عشر!؟؟ هل هذا يعني أن هناك إحدى عشرة وصية قبلها؟

قال خسراف:

ـ رحلة إيمانك بي ستستغرق بعض الوقت لتنفيذ اثنتي عشر وصية لي، بعدها سأجعل منك إعجازا محققا على الأرض، تتحدث عنه الدنيا بأكملها، سأجعلك تبحر في رحلة عبر آلاف السنين، والتي ستخلد ذكراك كما كنت تتمنى.

رد فؤاد في حماس ووجهه كالرخام خال من المشاعر:

ـ فلنبدأ وصاياك...

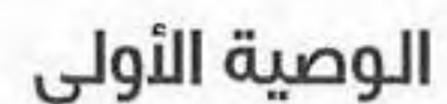
قال خسراف:

ـ يجب أن تعلم أنك ملزم بتنفيذ هذه الوصايا، وإلا سأقتلك في الحال لأنك ستكون قد كفرت بي بعد ثقتي بك، وسيكون اتفاقي معك ملزما لكلينا، فبعد تنفيذ الوصايا سأظهر لك

كما وعدتك، ثم سأجعلك تسطر تاريخا جديدا برحلتك التي ستكتب فيها كل ما تراه قبل أن تسلم لي روحك، فموتك سيكون النهاية المحتومة التي اخترتها لنهاية تلك القصة كقربان أخير لربك.

فانقبض قلب فؤاد وارتجف دون أن ينبس ببنت شفة، وأتبع خسراف:

- تموت بلا تاريخ أم تموت وأنت أسطورة هذا الزمان ؟ وعدتك بأن يخلدك التاريخ ويجب أن تعلم جيدا أن أول شخص سيقرأ قصتك التي سأقوم بتغليفها بأشد أنواع السحر سيكون أمام أمرين أولهما أن يستكملها لنهايتها، ويكون هو المكمل لرحلتك التاريخية، ولزم عليه أن يفعل ذلك أو الأمر الثاني أنه لن يستكملها، وسيكون مصيره نفس مصيرك، وسيموت كما ستموت أنت وبنفس الكيفية، الآن فلتستعد لتحرير روحك التي ستسمو فوق البشر لعبادة ربها خسراف بالتضرع من خلال تنفيذ وصايا الرب...



الوصية الأولى

وهنا قذف خسراف من بين منقاره لفافة جلدية صفراء مهترئة بها ريطة، وأمر فؤاد بالتقاطها، وهنا وجد فؤاد بالخريطة أسهما حمراء في دة أماكن، لكنه لم يفهم شيئا فسأله فؤاد:

ـ ماذا تعني تلك العلامات؟

فقال له خسراف:

ـ هه هي الأماكن التي ستنفذ بها الوصايا الإثنى عشر، وأولها أن تقتل خمسة أطفال رضع، فقط أغمض عينيك لبضع ثوان وافتحها مرة أخرى لتجد نفسك بمكان المهمة، ومع انتهاء تنفيذ المطلوب منك ستعود إلى هنا في تلك الصحراء، اعلم جيدا أني أراقبك في كل مكان.

وبعد أن أغمض فؤاد عينيه وقام بفتح جفونه وجد نفسه يقف على أحد الأشرطة الحدودية ممسكا بسلاح ناري في مكان مقفر لا يمر منه إلا قليل جدا من الناس، بعد تفتيش ذاتي مهين لأشخاص محملين بالهموم والأسى، يظهر هذا جلِيًا على ملامح وجوههم المنكسة من المذلة، ومُطأطئة أعناقهم جراء الشقاء النفسي الذي يرونه من عمليات التهجير، لم يعلم فؤاد أين هو الآن إلا عندما رأى نجمة داوود تزين الخوذ التي يرتديها مع أقرانه من الجنود، لم يعد دانيال لافي_ فؤاد سابقا _إلا أحد جنود الاحتلال الإسرائيلي في القدس، واستدعي دانيال إلى المشاركة مع كتائب الجيش الإسرائيلي في الداخل، وترك الحدود للقيام ببعض المهمات، لم تكن هذه المهمات تقل في دناستها وقذارتها عن هذه الكيانات المسماة بجنود الاحتلال، حيث شارك في قتل المصلين بالمسجد الأقصى واقتحام البيوت الفلسطينية، واغتصاب النساء بشكل جماعي أمام أعين أطفالهن وقتل الشيوخ، أي نوع من البشر هؤلاء كي يتسموا بكل هذا الكم من الهمجية والقبح التي تترفع عنها طبيعة الحيوانات؟

وذات يوم جمعته الصدفة بفتاة تدعى كندة، كانت شديدة الجمال عيونها لها حدقتان تشع جاذبية زرقاء مثل لونها، ينجذب إليها من يراها، ولها قوام ممشوق وشعر أسود طويل وهي ابنة أحد الشيوخ المسلمين، وكان يتلقى العلاج في أحد المستشفيات، وكان دانيال ذاهبا إلى هناك رفقة عدد من جنود الاحتلال لاعتقال المرزوقي، وهو بالمناسبة الشيخ الكبير والد كندة، وبمجرد وقوف دانيال أمام كندة وهي تستعطفه أن يترك والدها فهو مريض حتى رقت جوارحه والتهبت مشاعر قلبه الذي أرتجف

منذ لحظة رؤيتها، فأعجب بها بشدة فأمر الجنود بالانصراف نظرا لظروف الشيخ الصحية، وسط فرحة كبيرة من كندة ودهشة أكبر من الجنود، فهذه الجنود لم تعهد يوما الطيبة والعطف والرأفة، ولم يشمل قاموسهم سوى القتل والتعذيب وسفك الدماء والوحشية، وفي اليوم التالي ذهب مبكرا للشيخ وكانت لازالت ابنته ترافقه، وأمرهم بالذهاب معه فورا، حيث سيقوم بتهريب والدها لأنه مطلوب اعتقاله، وسيأتي الجنود مرة أخرى لتكبيله بالقيود واصطحابه لأي من المعتقلات المنتشرة السرية، وهنا أمرهم بالاسراع وأخذهم إلى غرفة سرية أسفل منزل أعز أصدقائه وأقربهم إليه ويدعى إيلان دورخي، وتعددت اللقاءات السرية بين دانيال وكندة للاطمئنان عليها وعلى والدها، حيث دب الحب في قلبيهما حيث أعلن لها إسلامه وطلب من والدها الزواج منها، والذي وافق على الفور لما رأى فيه من شهامة وأخلاق كريمة، وكانت الجنود بحثت كثيرا عن الشيخ المرزوقي ولم يجدوه، واستدعى أحد قادة الجيش دانيال وقام باتهامه بأنه تسبب في هرب الشيخ عندما امتنع عن القبض عليه، وتعلل دانيال لقائده أنه فضل وقتها أن يترك الشيخ يستكمل علاجه لكي يقوى على التعذيب داخل معتقلاتهم، وبعد عدة أيام انقطع فيها دانيال عن زيارة زوجته والشيخ خوفا من أن يكون هناك من يتتبعه، ذهب للغرفة السرية، وقام ببناء جدار في منتصفها فهي كانت كبيرة لتسمح بذلك أن تكون حجرتين، حجرة له ولزوجته، والأخرى للشيخ الكبير، وبالفعل استطاع فعل ذلك، وكان دانيال يزورهم على فترات متباعدة يزودهم بالمأكولات وما يحتاجونه خوفا من افتضاح الأمر وتستره عليهم، وبعد فترة علم من

كندة أنها تنتظر مولودا، فكانت الفرحة كبيرة على وجه دانيال الذي عبر عنها لكندة قائلا:

سأصلب بصليب حبك

مرتضيا متغزلا في سهامك التي تخترق صدري...

فمع كل قطرة دماء تسقط تزيد معها ابتهالاتي...

لم يبال بما تخبئه له الأيام فهو مازال جنديا اسرائيليا، لم يحاول أن يفتعل أي شيء يفضح أمره، ومازال الشيخ على رأس المطلوبين، واقترب موعد ولادة الطفل وذهب إلى أحد أقارب كندة بناء على طلبها، وهي فتاة تدعى مرام لتساعدها في عملية الولادة، فهي تعمل ممرضة في الأساس، وبالفعل تمت الولادة وظهر للنور طفل جميل وقد أسموه ابراهيم، وفي هذه الأثناء مرت ظروف مادية طاحنة بإيلان صاحب البيت الذي يختبئ أسفله كندة ووالدها والطفل ابراهيم، وحينها ضاق ذرعا بقادة الجيش الاسرائيلي من البحث عن الشيخ المطلوب اعتقاله حتى أعلنت الحكومة عن مكافأة قدرها مليون دولار، لمن يرشد عن مكان المرزوقي، وهنا ظهرت طبيعة الغدر والخيانة في دماء إيلان فهي طبيعة أصيلة في دماء آل صهيون، وقام بالابلاغ عن مكان تواجدهم وأخذ المكافأة، وذهبت الجنود إليهم وكان دانيال ليس من بينهم فقتل الجنود كندة بالرصاص وقاموا باعتقال الشيخ، أما الطفل ابراهيم من حسن حظه أن أعجب به قائد هؤلاء الجنود فأخذه معه ليضعه لدى أحد دور الرعاية الخاصة بالأطفال اليهوديين الرضع لرعايته لحين أن يكبر ويتخذه ابنا له، حيث كان هذا

القائد يعاني من الوحدة، وبعد عدة أيام من تلك الكارثة عاد دانيال إلى البيت فلم يجد فيه أحدا، ليسأل أقرب الجيران عن إيلان ليخبره أنه أرشد عن شيخ هارب كان يختبئ أسفل منزله، وقد قامت الجنود على إثر ذلك بالمجيء وقتل الشيخ ومن معه جميعا، صعق دانيال وانهار عندما سمع ذلك، وجن جنونه من الغضب وأخذ يبحث عن إيلان فلم يجده، وذكر نفسه بمقولة كان يرددها كثيرا وهي:

- لا تتوار من موت عليك اقتحامه، فللجبناء أرواح ماتت في أجسادهم...

وذهب لأكبر دار لرعاية للأطفال الرضع اليهود لينتقم من هذه السلالة القذرة كما قاموا بقتل ابنه وزوجته كما روى له الجار، ودخل بالفعل إلى غرفة الأطفال ليلا في الظلام الدامس وقد سلَّ خنجرا من غمده وهم يذبح طفلا تلو الآخر، حتى وصل الذين ذبحهم خمسة أطفال، وفي نظرة وحشية أراد أن يلقيها عليهم ليتلذذ بمقتلهم أضاء أنوار الغرفة ليرى ابنه ابراهيم أحد الذين قام بذبحهم، ليصرخ صرخة مدوية انخلع معها قلبه من أحشائه، ويسقط أرضا جاثيا على ركبتيه تحاوطه دموع ويلاته، ليظهر أمامه الغراب خسراف وهو يبتسم ابتسامة شيطانية، ليعود به إلى الصحراء مرة أخرى مكان التلاقي، وهنا قال خسراف لفؤاد:

- لقد أتممت مهمتك بنجاح وقد رضيت عنك وسأمنحك مزيدا من الثقة، فأنت عبد مطيع أدهشت ربك بولائك له.

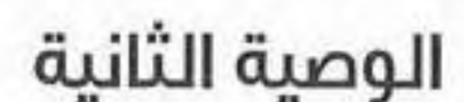


فرد فؤاد:

ـ كيف تعجبك الأيدي والشفاه المخضبتان بالدماء؟؟؟

فبادره خسراف بابتسامه قبل أن يقول:

ـ لأن القوة مصدرها الشر، والشر مصدره الدماء، كيف ستحكم العالم دون قوة؟ دون دماء؟ أنظر إلى مهمتك الأولى هل الخير انتصر فيها ؟ ما ذنب كندة كي تقتل وما ذنب الطفل أن يذبحه والده؟ لا تدع عقلك الصغير يفكر، لا ترهق نفسك فقط آمن بقلبك واقتل هذا المعتوه بداخلك ما تسمونه بالضمير، ولا تجعل هذه الهواجس تدنس سمو إيمانك بي، والآن أنظر إلى تلك الورقة التي بين يديك تحديدا العلامة التالية للسهم الأحمر، اذهب ولا تنظر خلفك، سدد خطاك لتستحق أرفع أوسمة الإيمان..



الوصية الثانية

- هي أن تذبح كلبا أسود كبيرا بعد أن تطعمه هذه اللفافة.

قال وقد قذفها من فمه:

- وهي من الجلد البشري مكتوب عليها آيات قرآنية لا تفتحها ولا تقرأها فقط افعل ما أمرت، وبعد أن يأكلها وتذبحه ارْوِ ظمأك من دمائه.

وعلى الرغم من بشاعة الأمر فقد استسلم فؤاد لأوامر خسراف، وبعد أن ومضت عيناه لثوانٍ فقط رأى أمامه والده ذلك الشيخ الكبير، ويدعى رفيق وحوله بعض الصبية يتتلمذون على يديه تعاليم القرآن، وها هو الآن فؤاد قبل أن يصبح الشاب الجامعي نور الدين الذي يدرس بكلية الطب ويقوم بتشريح كثير من الحيوانات في منزله الصغير الذي يعيش فيه مع والده في مدينة أغادير بالمغرب بعد وفاة والدته إثر مرض نادر أصاب جلدها وبعد معاناة كبيرة مع المرض، وقد تمنى نور الدين

من خلال دراسته أن يتوصل لعلاج هذا المرض الذي راحت ضحيته والدته، وذات يوم كان نور الدين في مكتبة كبيرة يبحث عن بعض الكتب العلمية القديمة التي تخص أبحاثها ذلك المرض، وجد بجانبه رجلا تبدو ملامحه غريبة حيث كان طويلا وله انحناءة في ظهره تظهره أحدبا وله عينان جاحظتان، ووجنتان عظميتان بارزتان، وأنف يبدو كمنخار لأحد الطيور وجسد نحيل، مما أثار قلبه بالانقباض، وتحدث الرجل إليه قائلا بصوت أجش:

- أعلم عن ماذا تبحث، دعني أن أساعدك في أبحاثك الخاصة بعلاج المرض الذي توفت على إثره والدتك، فنظر له نور الدين فاغرا فاه في دهشة كبيرة متسائلا:

- كيف عرفت ذلك الأمر؟

فقال له الرجل ويدعى الشيخ النوراني:

- فقط اتبعني سأبلغك بكل شيء.

فذهب معه إلى منزله، ومازال نور الدين في حيرة من أمر ذلك الرجل الغريب إلى أن وصل إلى منزله وبدأ يتحدث الرجل قائلا:

- لقد تعلمت كثيرا من العلوم مثل الفلك والروحانيات والعلوم الغيبية وأسرار الكون، لذلك استطعت قراءة أفكارك عندما كنت تبحث في المكتبة، لكني أحتاج لمساعدتك في إلمامي ببعض العلوم الخاصة بتشريح الحيوانات، في المقابل سأعلمك أن تتغلب على أي شيء مهما كانت درجة صعوبة تحقيقه، فقط كي نبدأ في التعاون سويا عليك أن

تسدي إلي طلبا صغيرا، فأومأ نور الدين برأسه إيجابا، ومد يده الرجل بورقة قائلا:

- خذها وأقرأ ما بها من تراتيل ثلاثة عشر مرة في الليل كل يوم إلى أن تسمع صوت أنفاس قوية حولك، أعلم أنه بجانبك وقد رضي عن تضرعك إليه، ونم مطمئنا وامنع دخول هؤلاء الصغار الذين يتتلمذون على يد والدك بأي ثمن حتى لا يغضب منك، احرص فقط على إرضائه.

فرد نور الدين:

- لكنك لم تخبرني من يكون هذا؟

فضحك النوراني ووجهه أصبح كقطعة من الرخام قائلا:

- هو من أعطاك اللفافة الجلدية التي تخفيها.

وضحك ثانية قائلا:

- لن تجد في هذه البلاد بأكملها كلبا أَسْوَدًا إلا أذا نفذت أوامري.

وانصرف الرجل إلى خارج المكتبة، ونور الدين ظل متسمرا في مكانه مرتعدا يحاول إخفاء رجفته، وخرج مسرعا وهو يصيح مناديا على النوراني، وعندما دلف من باب المكتبة إلى خارجها جعل عينه تجول بحثا عن الرجل، ولكنه اختفى ولم يجده، فانقبض قلبه وذهب نور الدين إلى منزله، وحضر الأطفال الصغار لأخذ دروس الدين وكان والده مازال بالخارج، فقام نور الدين بإشعال قطعة كبيرة من الشمع وقربها من جلود الأطفال الصغار، بعد أن أمسك بهم واحدا تلو الأخر ليحدث بهم حروق

كبيرة متفرقة على أنحاء أجسادهم في ظل صراخهم وبكائهم الحار الذي لم يعره اهتماما، وهو يصيح فيهم بعدم العودة إلى هنا مرة أخرى وفتح لهم الباب فخرجوا مهرولين هاربين من ذلك الجحيم الذي وضعهم تحت وطأته، وأثناء خروجهم اصطدموا على باب المنزل بالشيخ رفيق، الذي غضب غضبا شديدا، ليسأل نور الدين حانقا:

- لماذا تعنف تلاميذي بهذا الشكل الأَهْوَج هل أصابك الجنون ؟ ما دمت بهذه الوحشية فلن تدخل هذا البيت مرة أخرى واعلم أن:

- الشهامة والاستقامة هي الصفات التي تنقص قاطع الطريق ليكون فارسا.

طأطأ رأسه نور الدين دون أن ينبس ببنت شفة وكأنه لم يدر لماذا فعل ذلك، وخرج من المنزل مطرودا، وذهب في الليل ليجلس في حديقة على بعد مسافة قليلة من المنزل وقد أمسك بالورقة التي أخذها من النوراني وظل يردد التراتيل حتى شعر بأنفاس قوية حوله وصوت مخيف يأتي من بعيد يتردد ويأتي صداه من بعده:

- أقتل رفيق اللعين.

وظل يتهاوى الصوت هادرا ثلاث مرات حتى اختفى، فانقبض قلب نور الدين وهو يَرُجُّ أوصاله، وبدا وجهه مكفهرا من شدة الخوف فنهض من مكانه ولم ينتظر للصباح ذاهبا إلى المكتبة التي وجد بابها مفتوحا على غير العادة فهي تغلق في المساء يبحث عن ذلك الرجل النوراني، فوجده متواجدا فنظر له مبتسما قائلا:

ـ كنت أعلم ستأتي.

ـ فحكى له نور الدين ما حدث له في الحديقة فرد النوراني ووجهه خال من المشاعر كتمثال من الشمع لا يقبل الانصهار:

ـ إفعل ما تؤمر.

وأعطى له الرجل عبوة بها بعض الطعام وقد سكب عليها سائلا له رائحة غريبة تشبه الصدأ، وقال له أنها مخدر وتابع:

ـ اذهب إلى والدك اعتذر له واتركه يأكل من هذا الطعام وسيغيب عن الوعي، وعليك أن تأتي به إلى هنا.

وفعل نور الدين ما طلبه النوراني تماما، وعندما أتى بوالده إليه أعطى النوراني سلاسل حديدية كبيرة بها طوق دائري وأمره أن يكبل به عنق الشيخ رفيق، وعندما فعل ذلك نور الدين الذي بدا كشخص نحت من الرخام لا يتحدث أو ينطق خالي الوجه من المشاعر، تلا النوراني بعض التراتيل بتمتمات خافتة على الشيخ رفيق حتى تحول في هيئته إلى كلب أسود كبير مكبل بالسلاسل له أنياب حادة وعيونه حمراء كأنها قطع من النار وينبح بشراسة ويزمجر فقال النوراني لنور الدين الذي بدا وكأنه مغيب عن الوعي تحت تأثير مخدر سحري:

ـ ألقمه اللفافة الجلدية التي معك ليأكلها.

في إشارة للكلب، ففعل نور الدين ما طلب منه فارتخى الكلب ممددا على الأرض في هدوء كأنما أستراح من شيء يؤرقه، وأعطى النوراني لنور الدين سيفا لامعا وهو يشير لعنق الكلب بذبحه وأخذ نور الدين السيف

وأنقض به علي عنق الكلب ليفصل رأسه عن جسده ليرقد في بركة من الدماء التي سالت بغزارة ولطخت يديه ووجه، ه وقام باحتساء كأس من دماء الكلب وهو ينظر للنوراني، ويتناوبان على الضحكات، ومضت ثوان حتى رأى فؤاد نفسه مرة أخرى في الصحراء مكان التلاقي الموحش الذي تملؤه رائحه العفن ويسوده الظلام المطبق، ليري خسراف هذه المرة في حالة فرح شديدة، فكان يرفرف بجناحيه حوله قائلا:

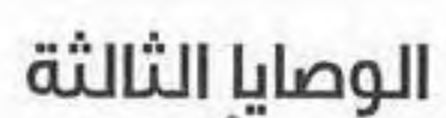
- أعلم أنك بدأت تتخلص من الصفات البشرية العفنة لتسمو عليها بمبادئي التي غرزتها فيك.

فرد عليه فؤاد:

- ولكنك جعلتني سفاحا يستبيح كل شيء.

فقال خسراف ساخرا:

- إن لم ترض بأن تكون سفاحا لا يجب عليك أن تكون يوما ملكا بين شعبه، يوجد كثير من السفاحين العتاه لا ينقصهم وجودك، أتريد أن تكون بين هؤلاء الذين تضع الملوك أقدامها فوق رؤوسهم ؟ لقد اصطفيتك لتكون ملكا متوجا، لا تجعل الضعف يتملكك فهو سمة لا يجب أن يتسم بها العظماء أمثالك، والآن أنظر للنقطة الحمراء التالية في لفافة الوصايا الجلدية فهي:



الوصايا الثالثة

- يبدو أنك ستنجح فإني عقدت عليك كل أمالي، ولا مفر أمامك سوى أن تنجح، الآن عليك أن تشرب الخمر وتزني بفتاة ثم تقتلها، أرى أن هذه المهمة لن تكون عائقا بالنسبة لشخص يقبع بداخله الأيمان الذي لا يرى سوى الطاعة لنيل الرضا وإحراز النصر الذي هو مباركتي لك وطمأنة قلبك، فلن تخذلني...

وبعد أن تسمر مكانه فؤاد من الصدمة، أغمض عينيه لثوان لينتقل لأرض هذه المهمة هو الآن حاتم منذر، الشاب التونسي صاحب الواحد والعشرين عاما، الذي يقطن بمدينة صفاقس ويدرس بكلية الحقوق بالجامعة، ويعيش مع والده الذي يعمل بورشة صغيرة لتصنيع الأحذية، وله أخت وحيدة تسمى نيرة، وكان يكبرها في العمر بثلاث سنوات، فهي لم تكمل عامها الثامن عشر بعد، واكتفت بالدراسة قبل الجامعية فقط نظرا للفقر المدقع الذي تعيش فيه عائلتها، وكانت تعمل في متجر لبيع



الحلويات لمساعدة والدها في تدبير نفقات المنزل، وكانت والدتها طريحة الفراش نظرا لمرض أصاب أعصاب قدميها جعلها لا تستطيع الحركة منذ سنوات. وبخلاف ما تَتكبَّده الأسرة من نفقات العلاج الكبيرة لم تأت بجديد فيما ينذر بتحسن حالتها، وكان حاتم يساعد والده في العمل بورشة الأحذية بعد انتهاء الدراسة، فكان شابا ذو أخلاق عالية ومحط اعجاب الكثيرين، وكانت له صداقات محدودة بالجامعة، وكان على علاقة حب بفتاة تدعى ليلى ولكن الظروف المادية كانت العائق الأكبر في أن تتطور هذه العلاقة إلى الزواج، وكان يرى أن الصبر من الممكن أن يأتي بمستقبل أفضل ويستطيع تحقيق أحلامه، وكان يختار أصدقائه بالجامعة بعناية فكان دائما يرافق كل من كان صاحب أخلاق حميدة ويبتعد عن طبقة الأغنياء، ليس حبا منه في الفقر وإنما كان يخشى أن يستهزئ به أحدهم، ولكن بمرور الوقت ظهر بين مجموعة أصدقائه شاب يدعى باسل، وكان من عائلة ثرية يتملكه كثير من الغرور وكان يغدق بالمال على من حوله، ويتصرف فيه بتبذير شديد ويقوم بدعوة الأصدقاء على وجبات العشاء في المطاعم الكبرى في كثير من المناسبات، لكن كان يرفض حاتم دعواته باستمرار بحجج مختلفة، فكانت الغيرة تحرق قلب باسل من حاتم لكونه محبوبا رغم بساطته وفقره، ولكن الغيرة الأكبر كان سببها تلك الفتاة الجميلة ليلى التي كانت تحب حاتم، وكم كان يتمناها باسل لنفسه فهي فتاة أحلامه بلا منازع، وحاول كثيرا أن يقربها منه لكنها رفضته رغم ثرائه، فهي لا يستهويها هؤلاء الرجال الذين لا يملكون سوى أن يجملوا من أنفسهم القبيحة بالمال فهي تنظر بعمق إلى

الأشخاص حتى ترى الداخل والجوهر الطيب الذي هو وبكل تأكيد لا
تراه في باسل من شدة القتامة بداخله، وذات يوم كان الأصدقاء يلتفون
حول حاتم ومن بينهم ليلى ثم جاء إليهم باسل ليعلن خبر خطوبته في
المساء في أحد الفنادق الكبرى وقام بدعوة الجميع إلى هذا الحفل وقام
بتقديم بذلة جديدة كان يحملها بيده إلى حاتم قائلا له:

- يتحتم عليك ارتداؤها قبل أن تأتي إلى الحفل لأنه لن يسمح لك بالدخول بهذه الملابس الرثة، في إهانة بالغة ومعايرة له بفقره، لم يتمالك حاتم أعصابه التي استشاطت غضبا فانهال عليه ضربت انتقاما لكرامته، وسط محاولة من الأصدقاء لفض الاشتباك وإبعادهم عن بعض، وقبل أن يغادر حاتم نظر لهم حاتم حانقا وقال:

- لكي تكون سكيرا ليس عليك أن تواظب على احتساء الخمر بل أن تجعل عقلك حانة يرتادها المغيبون.

وتوعد باسل أمام الجميع أنه سوف يقطع حاتم إربا، وسينتقم
منه أشد انتقام، وبمرور الوقت تحكم باسل في مقاليد حكم الأصدقاء
المحيطين به بفضل المال، فتغيرت أخلاقياتهم من الاعتدال والوقار
والاحترام إلى شباب مستهتر منحل أخلاقيا فارتادوا كازينوهات الليل
وتعرفوا على بائعات الهوى من الساقطات وكل شيء يحدث تحت وطأة
المال الذي يقوم باسل بإنفاقه عليهم في رغبة منه لكسبهم في صفه،
وهو ما نجح فيه وجعل حاتم في عزلة من أصدقائه وحيدا، ودبر باسل
مكيدة بمعاونة أصدقاء السوء لحاتم وذهبوا إليه يتقدمهم باسل راجيا

نائما في الدور الثالث من الفيلا، وأدخل باسل الأم إلى الدور الأول وأدخلها غرفة وأغلقها عليها من الخارج واضعا شريطا لاصقا حول فمها حتى لا تحدث ضجيجا إن استفاقت، وقام باسل بحقن حاتم الذي مازال غارقا في النوم بمادة منومة حتى لا يفيق هو الآخر وذهب باسل إلى أخت حاتم نيرة في محل عملها بمتجر الحلويات طالبا منها أن تستقل معه سيارته، حيث أن والدتها في المستشفى تخضع لأجهزة دقيقة وفي حالة خطرة، وطلبت أن تراها بعد أن عرفها بنفسه على أنه صديق أخيها حاتم، وبالفعل استقلت معه السيارة وهي تبكي ويعتري وجهها العبوس بعد أن أكد لها أن أخاها بجانب والدته، وهو من طلب منه أن يأتي بها، وأثناء بكاء نيرة وانهمار دموعها أعطى لها منديلا قد أذابه مسبقا في المادة المخدرة لتجفف دموعها، وبمجرد ما أن لامست به وجنتيها وأنفها فقدت الوعي، ودلف بها باسل وهو يحملها إلى غرفة والدتها بالطابق الأول من الفيلا ومازالت فاقدة لوعيها، وهنا قام ثلاثة من أصدقائه بمعاونته أثناء توثيقها بالحبال، وقام أحدهم برفع سكين بالقرب من عنق والدتها والاثنان الآخران أحدهم يحمل عدة زجاجات من الخمر والآخر قام بحقنها في ذراعها بكمية كبيرة من المخدر، وقام باسل بإفاقتها، وحين رأت ذلك المشهد صرخت من الرعب وجسدها يرتجف خوفا على والدتها، وطالب باسل منها الهدوء قائلا ببرود:

- لن نؤذيك ولا نؤذي والدتك ما دمت مطيعة لأوامري فقط، لابد أن تشربي هذه الزجاجات من الخمر.

حاولت أن تعترض، ولكن مع اقتراب السكين من حافه عنق والدتها التي مازالت مغيبة عن الوعي منذ أن اختطفها باسل من بيتها، قبلت على مضض واحتست كأسا تلو الآخر حتى ثملت تماما، وما عادت تدرك شيئا، وكان المساء قد حل والجميع قد تهيأ لبداية الحفل وكان بالطبع أن قام باسل بأمر حاتم بدعوة ليلى في ظل ثقتها به فلم ترفض دعوته، والجميع حضر وقام باسل بوضع قناع لكليوباترا على وجه نيرة التي كانت تتمايل وتتلعثم من شدة تأثير الخمر عليها، وبعد أن جعلها تدلف إلى غرفة في الطابق الثالث بالفيلا وزادت الإضاءة وصخب الموسيقى مع بداية الحفل والجميع يشرب الخمر ويلهو مع الفتيات، جاء هنا باسل ودعا أصدقاءه ليدلفوا إلى غرفه نيره بالطابق الثالث ليستمتعوا بها، وهتك عرضها وفي هذه الأثناء كان حاتم يجلس مع ليلى على كرسيين وثيرين في ركن من قاعة الاحتفال، وهنا دعاه باسل مشيرا له بالمجيء وكان قد وضع على وجهه قناع لأنطونيو مظهرا له كيسا كبير به المخدر الذي يلهث ورائه رواد الحفل من أجله وقبل أن يمد حاتم يده عليه ليأخذه قال له باسل:

- أشرب الخمر وادلف إلى هذه الغرفة لتداعب صاحبة هذا الكيس أولا فهي فعلت ذلك مع كل الموجودين فالجميع استمتع بها وهي راغبة في المتعة وتعطي كل شخص رافقها كيسا كهذا.

مشيرا إليه بيده، وعلى الفور شرب حاتم الخمر ودلف إلى الغرفة ليجد فتاة مجردة من ملابسها غير مدركة لأي شيء تحت تأثير الخمر لكن يبدو عليها التعب والإعياء الشديد، واقترب منها وأقام معها علاقة

محرمة، وفي هذه الأثناء قام باسل بإدخال والدة حاتم بعد أن قام بإفاقتها
وحبيبته ليلى إلى الغرفة لتشاهدا ذلك المشهد المأساوي وسط حشد من
جميع الحضور، حيث ذهب باسل مسرعا ليزيح القناع عن وجه حاتم
وعن وجه نيرة ليري الجميع الأخت بائعة الهوى وأخاها يقوم بمعاشرتها،
صدمة أذابت جبال الخمر وزلزلت الأرض تحت أقدام الحضور، أي مكر
للشيطان هذا؟ فوالدة حاتم قلبها توقف إثر الصدمة فورا وفارقت الحياة
في لحظة هي الأبشع بحياة حاتم الذي استلَّ سيفاً كان على الجدران أعده
خصيصا باسل لهذه اللحظة وقام حاتم بغرسه في صدر أخته نيرة، وليلى
كانت متسمرة في الأرض من هول الصدمة وكأنها فقدت الوعي، لم تشعر
بواقعها سوى وهي تصرخ في وجه حاتم قائلة أنه أحقر إنسان على وجه
الأرض، وسط ضحكات باسل الذي قاد هذه الخطة الشيطانية بنجاح
منقطع النظير، وبعد لحظات عاد فؤاد إلى الصحراء ليرى حوله خسراف
وهو ينحني لفؤاد في شكل غريب قائلا له:

- أنحني لك احتراما فقد أبهرتني هذه المرة، أي رب هذا الذي ينحني لعبيده إجلالا لمجهودهم في إرضائه.

قالها خسراف وهو مازال يثني على فؤاد الذي بدا عليه الضيق
والضجر الشديد من هذه الإشادة المزرية التي تعج بالقبح قائلا في حنقك

- كيف حولتني إلى مستنقع من الحقارة بهذا الشكل؟ كيف لك أن تدنسني إلى هذه الدرجة؟

فرد خسراف في سخط مستنكرا:

- وكيف لعبد أن يسأل ربه عن مصيره في ضجر؟ فلتعلم أن مقادير أمورك ليست بيدك وأنت من جعلتها بيدي فليس لك الآن أن تضجر مني، القذارة والحقارة هذه هي التي سوف تصل بك إلى عرش مملكتي التي سوف أهبها لك، وسوف ألبي لك ما تمنيت ووعدتك به، هذا الضمير الذي يتحدث به لسانك سوف أنتزعه من داخلك وأقتله قتلا ساحقا، فهو عدوي اللدود والحائل بيني وبين بني الإنس، والآن أنظر إلى النقطة الحمراء التالية التي يشير إليها السهم فهي مهمتك الرابعة، أنت تقترب رويدا رويدا من النهاية السعيدة، فقط عليك أن تتفانى في عملك لكي تحقق حلمك، كي تشدو وحدك في عالم لا حدود له ولا نهاية فيه للنِّعم، فقط هذه المرة عليك بقتل عشرة أفراد من عائلة واحدة، وأن تقدم لحومهم لباقي أفراد الأسرة ليتمتعوا بمذاق لحوم إخوانهم في مشهد دموي لطيف سيسعدني كثيرا...

وضحك بصوت كزفير الرعد قائلا:

- أنت الآن داخل الحدث...

وجد فؤاد نفسه هذه المرة في مدينة طرابزون التركية المشتهرة بزراعة البندق، وها هو أصبح كاچين الشاب صاحب الثمانية والعشرين عاما الذي توفي والداه وهو في سن صغيرة لم يبلغ وقتها الثمانية أعوام متأثرين بالسم، ولكن لم يعلم أحد من هو الجاني الذي فعل هذه الفعلة النكراء، وهناك أمر معروف في أوساط عائلته، أن الجد الأكبر قام بترك

وصية له وفيها إشارة أن له كنزا كبيرا لا يُعلم عنه شيء سوى فرد واحد من هذه العائلة، وكان لهذه العائلة حقل زراعي كبير توارثوه عن هذا الجد ويزرعونه بنبات البندق، وكان كاچين له عمّ يدعى روماف، لديه من العمر ستين عاما، كان غليظ القلب حادا في التعامل مع الغير وكان يهابه الجميع، وقيل عنه في العائلة كما صورت لهم أحاسيسهم أنه وراء عملية قتل والدي كاچين، ولكن لم يمتلك أحدهم دليلا قاطعا ليؤكد صحة هذه الظنون، وكان روماف له ابنة تدعى تولاي، لها من العمر خمسة وعشرون عاما، كانت هذه الفتاة في غاية الجمال، شعر ذهبي قصير يصل لأكتافها، عينان زرقاوان، شفتان كحبات الكرز وجنتان صغيرتان حمراوتان تبرزان في وجهها المشرق الذي يطل من قوامها الممشوق، كانت هذه الفتاة تعرف بطيبتها وحسن أخلاقها، هادئة في أغلب الأحيان، تكره هذه النظرة السيئة التي يرى بها الناس والدها، وكانت تتعاطف مع كاچين ذلك الشاب الذي يعيش مأساة كبيرة منذ أن فقد والديه بخلاف طبيعته المسالمة وكانت لهما ذكريات كثيرة منذ الصغر عندما كانا يلعبان بحقل البندق، هي الآن تكن له حبا كبيرا بقلبها، وهناك أيضا بتلك العائلة خالة لكاچين تدعي چيندا، لها من العمر تسعة وأربعون عاما، زوجها توفي منذ عشر سنوات في حادث سيارة، كانت تكره كاچين ظنا منها أن والده كان هو من وقع عليه اختيار الجد ليخبره بمكان الكنز، وأن كاچين قد علم مكانه من أبيه قبل وفاته وهو لا يريد إفشاء ذلك السر أو مشاركتهم معه في هذا الكنز الكبير، وهذه الخالة لها ابن وحيد يدعى أزاد، لديه من العمر تسعة وعشرون عاما، يحب تولاي جدا لكنها لا تبادله نفس الشعور،



وكان هذا الشاب لديه كثيرآمن الغيرة والحقد اللذين يكنهما بداخله لكاچين لعلمه أن تولاي تحبه، فكان غريمه الذي ود كثيرا التخلص منه، وكان هناك عمّ آخر لكاچين يدعى شيرفان، لديه من العمر ثلاثة وخمسون عاما، يعمل بتجارة نصيبه من حقل البندق، هذا ما كان معلنا للعامة من الناس، لكن كان له نشاط سري يعلمه أفراد العائلة، وهو تجارة المخدرات ولديه اثنان من الأبناء أولهما إيڤان صاحب الستة والعشرين عاما، والثاني چوتيار صاحب الأربعة العشرين عاما، يعملان معه في تلك التجارة المحرمة في الخفاء، ولكن تسلل لعلم العائلة أنباء عن تجارتهم تلك، ومنذ ذلك الوقت قرر شيرفان الابتعاد عن العائلة مصطحبا أبناءه لمسكن بعيد، وقطع العلاقات معهم وذلك لنظرة العائلة لهم باحتقار فهم أصبحوا منبوذين ولا يجب التعامل معهم، وكان هناك أيضا بتلك العائلة عمة لكاچين تدعى أرجوان لديها من العمر خمسة وأربعون عاما، انفصلت عن زوجها منذ عدة سنوات لشكه في سلوكها السيء بعد كثير من الخلافات بينهما، ولديها ابنتان أولهما تدعى داملا، لديها اثنان وعشرون عاما والأخرى إلكاي ولديها عشرون عاما، وكن جميعا تعملن في جمع محاصيل البندق مع المزارعين بأجر يومي يكاد يكفي احتياجاتهم، لكن كانت لهم سمعة سيئة وسيرة أسوأ على ألسنة الناس التي كانت تطولهن كثيرا فكان يشار إليهن دائما على أنهن تعملن في الحقول نهارا وتقضين الليالي الحمراء في المساء، وهذا ما جعل العائلة تنبذهم وتغضب عليهم لذلك ابتعدن متخذات مسكنا خاصا بهن وحدهن في النهاية، وكان الجد الأكبر الذي توفي وترك هذه الوصية، كان يعتقد أنه بهذا اللغز سيقوم بلمّ

شمل هذه العائلة المشتتة فيقترب الجميع من بعضهم البعض ويكو
لبعضهم المحبة حيث أنهم لا يعلمون من هو الشخص الذي أخبره الجد
بمكان ذلك الكنز المزعوم، فيكون كل من اقترب من هذا الشخص
الذي خصه الجد وحده بهذه الهديه الكبيرة له نصيب فيه جراء اقترابه
ومحبته، وكان هذا الجد رب هذه العائلة وصاحب تلك الوصية له أخ
يدعى رانكين بلغ من العمر تسعين عاما ولديه زوجة تدعى چانسو، وكان
اقترب بها العمر من الثانية والثمانين، هذان الزوجان كانا فقيرين ويعيشان
بجنوب المدينة في منزل صغير، وليس لهم أولاد ولا يزورهم أحد من
العائلة أو يعطف عليهم، وكان كاچين يعلم بالسر الذي أخفاه الجد عن
الجميع بأنه لا يوجد كنز من الأساس، وجد ذلك مكتوبا في ورقة مطوية
وموضوعة بأحد كتب والده القديمة، وأخذها وأحرقها ولم يعترف لأحد
بشيء وكان هذا الجد شديد الذكاء له مقولة يرددها دائما وربما أستعان
بها في هذا الأمر وهي:

- احمل فكرة ولا تحمل سلاحا أفكارك هي أسلحتك القوية،
فالأفكار هي من تبتكر الأسلحة ولم نسمع عن سلاح ابتكر
فكرة.

يبدو أنه أراد لم شمل العائلة بالذكاء لا بقوة السلاح، وكان كاچين
قد أيقن أنه يتحتم عليه أن يتخلص من هؤلاء جميعا فهم يملؤهم الجشع
والانحلال الأخلاقي، وأحدهم أو جميعهم تسببوا في موت والديه بالسم،
فواتته فكرة تطفئ ناره بالانتقام بكل بقسوة من هؤلاء القتلة ولمعت في
عينيه نظرة انتقامية وردد قائلا:

- العاجز الحقيقي ليس من يحمل جسده عكازين بل من شلت حركة عقله.

وبدأ في حفر سرداب كبير يصل إلى مائة متر في مكان يقبع في آخر حقل البندق الذي ترثه العائلة، وهذا في سرية تامة وكان كل يوم يبدأ في حفر جزء ويقوم بإخفاء ما ترتب على ذلك بأن وضع غطاء تخفيه الحشائش فظل يعمل به لعدة شهور وصلت إلى عشرة شهور، دون أن يدري أحد به، وانتهى من انشائه بالكامل وكان تصميمه من الداخل عبارة من عشرة حجرات صغيرة جدا تكفي لفرد واحد واقف على قدميه فقط، وكل حجرة لها باب حديدي، والحيطان مغلفة بطبقة من مادة عازلة للصوت لا يستطيع من بداخلها سماع من بالخارج والعكس أيضا، وكان قد قام بتزويد هذه بسماعات صغيرة وميكروفونات صغيرة للتحدث وهنا بدأت مهمته باستقطاب العائلة لذلك الفخ، فذهب كاچين إلى عمه روماف قائلا له:

- أردت أن أخبرك بالسر الذي انتظرته سنين طوال.

فرمقه عمه بنظرة اتسعت معها حدقتا عينيه من الفرحة، والابتسامة ارتسمت على وجهه دون أن ينبس ببنت شفة، وأتبع كاچين:

- إني أعلم مكان الكنز، لقد أخبرني به والدي.

فاحتضنه روماف فرحا، قبل أن يتبع كاچين:

- لا يمكنني فتح الكنز إلا في وجودك، فهناك طلاسم غريبة بالمكان لا يستطيع حلها سواك.



وأومأ روماف برأسه قائلا:

ـ لا تخف لن أخذلك...

فرد كاچين:

ـ ميعادنا يوم الأحد القادم في العاشرة مساء، سأترك لك مصباحا ناريا مضاء بحقل البندق فوق فتحة السرداب الخاص بالكنز مباشرة، عليك أن تهبط إلى الأسفل ولا تفتح باب أي غرفة مغلقة فقط أدلف إلى الغرفة المفتوحة فقط، فهي التي بها الكنز، ولا تفكر بشأن باقي الغرف المغلقة فهي تحوي كثيرا من اللعنات، هذا ما علمته من أبي.

وأومأ روماف برأسه إيجابا وانصرف، وكان كاچين ترك بكل غرفة من هذه الغرف ورقة بها طلاسم وزجاجة صغيرة بها مادة تظهر الحبر السري وقطعة من القطن وآلة حادة، وكان قد صمم أبواب الغرف بطريقة الغلق الذاتي بعد أن يدلف أحد للداخل، فهي تعمل بجهاز إشعار إشعاعي سينسور، يعطي إشارة الاغلاق إن دلف أحد للداخل مباشرة، وذهب كاچين لتولاي ابنة عمه روماف التي تحبه ولكنه لا يعيرها اهتمامه، وذهب وأخبرها بأنه يعلم مكان الكنز فقط يريد مساعدتها، ووافقت فورا دون تردد، وأخبرها بالموعد يوم الأحد في العاشرة مساء وعشرة دقائق، أي بعد نزول والدها بعشر دقائق، وانصرف ليدعو باقي المدعوين، فجميع أفراد العائلة مدعوون لحفلة الموت، لن يبقى أحد فقد نزع الرحمة من قلبه، والجميع سيتذوق في هذه الليلة ما تذوقه والداه من طعم الموت، ولكنه أضاف إليه بعض التوابل التي ستجعل له طعما لذيذا، وذهب



العضو الثالث في تلك العائلة وهي خالته چيندا، وعندما أخبرها بأنه يعلم مكان الكنز ويريد مساعدتها فرحت فرحا شديدا كادت أن تفقد وعيها معه، لاعتقادها أنه خصها وحدها بمعرفة مكان الكنز، وطلب منها أن تذهب لمكان المصباح الناري في حقل البندق وتهبط إلى الأسفل ولا تدلف إلا للغرفة المفتوحة ولا تتأخر مطلقا عن الموعد المحدد يوم الأحد في العاشرة مساء وعشرين دقيقة، فأومأت برأسها بالموافقة، وانصرف وكان دائما يخبر كل فرد يذهب إليه من العائلة باحترام الموعد وألا يتقدم عنه أو يتأخر وألا يدلف سوى للغرفة المفتوحة، وألا يخبر أحدا بهذا السر مطلقا حتى أبناءه، توجه كاچين للعضو الرابع بالعائلة ابن خالته أزاد، وعندما أخبره كاچين بالسر الخاص بالكنز وأنه أختاره هو دون غيره كان مشدوها ولكنه فرح كثيرا وذلك على الرغم من كرهه لكاچين، وظل يقبل رأسه ويحتضنه بعد أن تخيل نفسه أنه اقترب من أن يكون أحد الأثرياء، وأكد الموعد كاچين يوم الأحد في العاشرة مساء والنصف بعد أن أخبره عن المكان بالحقل والمصباح الناري الدال عليه، وانصرف متجها للعضو الخامس في العائلة عمه شيرفان، وأخبره كاچين بمكان الكنز وأنه لا يستطيع أحد غيره حل طلاسم الكنز ويريد مساعدته، وبرغم ثروة هذا الرجل الكبيرة التي جمعها من تجارة المخدرات إلا أنه فرح بشدة ولم يكن يتخيل أنه سيكون له نصيب في ذلك الكنز يوما ما، وكان هذا الرجل مفعما بالجشع، فهو يعلم أن الكنوز قد تكون ثرواتها أضعاف مضاعفة لما جمعه من تجارته المحرمة، وحدد له كاچين الموعد يوم الأحد الساعة العاشرة مساء وأربعون دقيقة والمكان أسفل المصباح

الناري في حقل البندق، وذهب ليفاجئ العضو السادس بالعائلة بمكان الكنز وأنه يريد مساعدة وكان هذه المرة هو ابن عمه إيفان الذي يعمل مع والده بتجارة المخدرات الذي تسمر مكانه وصعق من هول المفاجأة فكانت عيناه تكاد تقفز خارج جسده من الفرحة، وأكد له كاچين ضرورة احترام الموعد، وعدم إخبار أحد، وكان موعده يوم الأحد في العاشرة مساء وخمسين دقيقة، أسفل المصباح الناري بحقل البندق، وانصرف متجها للعضو السابع في العائلة وكان ابن عمه الآخر چوتيار، الذي كان يعمل مع والده وأخيه في تجارة المخدرات أيضا، وكان مصدوما غير مصدق لما أخبره به كاچين فيما يخص الكنز في البداية، حتى أكد له أنه سيستعين بشخص آخر لحل طلاسم الكنز مهما كلفه الأمر، فوافق چوتيار في النهاية، وحدد له كاچين الموعد يوم الأحد الساعة الحادية عشرة مساء والمكان أسفل المصباح الناري في حقل البندق، مؤكدا له ضرورة احترام الموعد وانصرف، وذهب إلى العضو الثامن في العائلة وكان هذه المرة عمته أرجوان، وبعد أن أخبرها بالسر الخاص بمكان الكنز وطلب مساعدتها رحبت جدًا وكانت فرحة لاختيارها، ولمعت عيونها بالبكاء مؤكدة لكاچين أنها وبناتها ذات أخلاق عالية رغم أنه كان متأكدا من كذبها، ربَّتَ على كتفها وأومأ برأسه علامة على أنه يصدقها، وأكد له الموعد يوم الأحد الساعة الحادية عشرة مساء وعشرة دقائق أسفل المصباح الناري في حقل البندق، قبل أن يحذرها من إخبار أحد بما دار بينهم، وجاء دور العضو التاسع في العائلة ابنة عمته داملا، فعندما أخبرها كاچين بالسر الخاص بالكنز لم تتمالك نفسها من الفرحة وسقطت

أرضا مغشيا عليها، وبعد أن قام بإفاقتها سرد لها بهدوء أنها من وقع عليها الاختيار ولابد أن تأتي في الموعد يوم الأحد الساعة الحادية عشرة مساء وعشرون دقيقة أسفل المصباح الناري بحقل البندق، وتهبط إلى السرداب الخاص بالكنز وتدلف إلى الغرفة المفتوحة دون غيرها، وانصرف متجها للعضو العاشر والأخير في تلك العائلة وهي ابنة عمته إلكاي، وأخبرها بسر الكنز وما يجب عليه فعله وأنها من وقع عليها الاختيار لكي تساعده في استخراج الكنز بعد حل طلاسمه، وصمتت إلكاي وقتا طويلا قبل أن تنبس ببنت شفة، حتى سألها كاچين عن هذا الصمت، قالت له:

- أفكر في شكل حياتي القادمة بعد أن أمتلك كل هذه الثروات...

فقال كاچين مبتسما:

- ليس هناك وقت للتفكير، عليك أن تنتبهي للموعد الذي سيكون يوم الأحد الساعة الحادية عشرة مساء والنصف تماما.

وأومأت برأسها في سعادة دليلا على الموافقة، وانصرف كاچين وجاء يوم الأحد الموعود، الجميع يتهيأ للموعد الجميع يعلم أنه وحده في هذا المكان في هذا العالم السحري لا أحد غيره يعلم بما يفكر ولا ما سيحدث له بعد قليل، وفي تمام الساعة العاشرة كان اختبأ كاچين أسفل شجرة عالية كانت تغطي أسفلها الحشائش بعد أن وضع مصباحا ناريا أعلى فتحة سرداب الفخ وظل يرمق الجميع وهو يهبط إلى أسفل، وكان أولهم العم روماف وهبط إلى أسفل، وكان هبط كاچين بعده بثلاث

دقائق تقريبا حينما أطمأن أن عمه دلف لداخل الغرفة المحددة له سلفا وأغلق خلفه الباب ليفتح الغرفة التالية التي حددها لابنته، ثم خرج من السرداب واختبأ بالأعلى أسفل الشجرة مرة أخرى، لتهبط تولاي إلى أسفل السرداب وتدلف إلى غرفتها، وهكذا في كل مرة يهبط فيها أحد أفراد العائلة يهبط كاچين ليفتح غرفة أخرى قد حددها له، ويخرج ويختبئ إلى أن هبط الجميع إلى الأسفل واكتمل عددهم العشرة أعضاء المحددين وهبط كاچين إلى سرداب الموت، واقفا في الردهه بين الغرف المغلقة على أصحابها وبدأ يتحدث ممسكا بالميكروفون وأمامه جهاز تحكم صوتي يستطيع من خلاله أن يصل صوته لغرفة محددة فقط أو للجميع إن أراد، وأيضا يستطيع أن يسمع حديث من بداخل الغرفة بمفرده أو يسمعه الجميع، وهنا بدأ بعمه روماف الرجل الأكبر بتلك العائلة التي تدور حوله الشكوك بمقتل أبويه، وخصه بهذا السؤال:

- ما رأيك بباقي أفراد العائلة هل يستحقون أن يتقاسموا معنا الكنز؟

قال عمه وبدا صوته مخنوقا حانقا:

- لا يستحقون شيئا فجميعهم حمقى أغبياء وبلا أخلاق، فمنهم من يتاجر في المخدرات تلك التجارة المحرمة لقتل الناس مقابل الربح، والأخريات تبعن أجسادهن بلا ضمير يقظ كل ليلة لراغبي المتعة مقابل حفنة من المال، لا أحد يستحق...

وكان كاچين قد فتح مخرج الصوت ليسمع الجميع الإهانات الموجهة إليهم من الأخ الأكبر رمز هذه العائلة، وبعد أن انتهى عمه من سبابه تجاه العائلة أغلق صوت غرفة عمه وتحدث له بمفرده قائلا:

- هناك ورقة أمامك بها طلاسم ورموز إن أردت أن تفهم ما بها عليك بهذا الحبر السري في الزجاجة التي ستجدها بجانب الورقة، امسح بقطعة القطن سيظهر ما كان يخفيه الحبر من طلب صغير لتحصل على الكنز، أمامك من الآن ثلاث دقائق ستكون فيها على قيد الحياة، إن لم تفعل ما أمرتك به ستموت حتما أنظر لأعلى...

وهنا قد فتح كاچين صنبورا صغيرا ثبته في سقف كل غرفة لينفذ من خلاله غاز سامٌّ جدا لا يتحمله الانسان سوى تلك الدقائق الثلاث فهو شديد السميَّة، وهنا ارتجف روماف مذعورا عندما رأى سيلا من الغاز يهبط من أعلى، وصرخ متوسلا ولكن لم يجبه كاچين وأمسك، بالورقة وأظهر ما بها ليصعق مصدوما عندما علم أنه مطلوب منه أن يقطع جزءا من جسده يختاره كيفما يشاء بخلاف أصابع يده، بسكين قد ثبته كاچين على لوح معدني بالغرفة، وبدأ صراخ روماف يدوي في المكان قائلا:

- أتركني على قيد الحياة لا أريد أن أموت...

لا يسمعه سوى كاچين فقط دون أن ينبس بكلمة، وبدأ يسعل روماف بشدة والاختناق تمكن منه، يبدو أن الوقت قارب على النفاذ، تشجع وأغمض عينيه وأمسك بالسكين ودوت صرخة كبيرة كان قطع معها كف يده وسقط على الأرض ولفظ أنفاسه الأخيرة، قبل أن يموت قام

كاچين بالسير في توءدة إلى غرفة روماف، وكان عطل جهاز غلق الباب
أوتوماتيكيا وفتح الباب وأمسك بكف يده ووضعه في كيس بلاستيكي
أسود كبير، ونظر لجثة عمه بوجه خال من المشاعر كالرخام وخرج
وتحدث هذه المرة في الميكروفون إلى ابنة عمه تولاي وسألها:

- هل كنت تعلمين أن والدك هو من قتل والدي ؟

ردت تولاي وبدا على صوتها رعشة ارتجاف جسدها قائلة:

- كنت أعلم جزءا من الحقيقة لكني لم أستطع إرغام عقلي على تأكيد فعلته، ولم يطاوعني قلبي على كرهه فهو في النهاية والدي وأكن له مشاعر كبيرة غير قابلة لأي انتقاص.

فطلب منها بعد أن انتهت من مرافعتها عن الجاني الذي دمر حياته بأن تقرأ ما في الورقة الموجودة بأرضية الغرفة وتنفذ ما جاء بها بعد كشفها بإزالة الحبر السري قبل ثلاث دقائق كفيلة أن تنهي حياتها مختنقة بذلك الغاز السام الذي يتسرب من سقف الغرفة، وبدأ الارتعاد والخوف يجعلها ترتعش لدرجة كبيرة استطاعت القراءة معها بصعوبة وكان مطلوبا منها أن تقتلع عينيها الاثنتين، وكأنه عقاب على رؤيتها بهما لظلم أبيها دون أن تحرك ساكنا وآثرت الصمت فصرخت صراخا يقتلع معه القلوب قائلة وهي تتلعثم:

- لا لا تجعلني مسخا أريد أن أخبرك كم كنت أحبك...

لكن كاچين لم تجد معه توسلاتها ولم يشفع لها بكائها بدأت اللحظات الأخيرة للثلاث دقائق على النفاذ وبدا واضحا صوت سعالها واختناقها الذي انتفخت معه عروقها، وصرخت صرخة أطاحت بأحبالها

الصوتية ودفعت بأصبعيها في جفونها بقوة لتتهشم جدران الحدقتين لتفجر عينيها وتفقأهما وتسقط أرضا، ليعلن الموت رحيلها عن هذه الدنيا. ليسير كاچين باتجاه غرفتها ليغلق زر الغلق الاوتوماتيكي للباب ويفتح غرفتها ليأخذ الفتاة المحطمة من انفجار عينيها من الأرض ويضعه في الكيس الأسود الذي يحمله بيده، ويخرج ولم يبال بالنظر إليها ليبدأ دور الضحية الثالثة / وكانت خالته چيندا هذة المرة بدأ حديثه معها قائلا:

ـ خالتي العزيزة، كنت تكرهينني بشدة لأني أعلم مكان الكنز ولم أخبركم به أو مشاركتكم، ولم تكرهي عمي روماف يوماً رغم إجرامه بل كنت تحثينه على التخلص مني كما فعل بأبي وأمي ما حجم دورك في تلك الجريمة ؟

وقام كاچين بفتح الصوت ليسمع الباقون ردها وصوتها لآخر مرة قائلة:

ـ لا لم أشترك أو أساعد في هذه الجريمة أنا فقط كنت أرغب في المال وكنت أحقد عليك فقط لعلمي أنك تعلم مكان الكنز...

وكان كاچين قام بالتنبيه على الجميع أنه لا مجال للكذب فمن يكذب سوف لا يرى النور مرة ثانية، وهنا طلب منها أن تقرأ المطلوب منها بالورقة بعد إظهار الحبر السري ولا تتأخر في التنفيذ عن هذه الدقائق الثلاث التي سيجعل فيها الغاز السام منها جثة تفترش الأرض من جراء الاختناق، فأسرعت وبدأت تقرأ المطلوب فصرخت وبكت بشدة عندما علمت أنه يتوجب عليها أن تأخذ سكينا كان وضعه بجانب الورقة وتغرزه

بالقرب من قلبها وتقطع جزءا منه وتلقيه على الأرض، وبدأت ترتجف وتسعل وتصرخ متوسلة دون جدوى وقبل السقوط أرضا من أثر الاختناق، أمسكت بالسكين واتسعت عيناها وبدأت ترتعش بشدة وصرخت وكان السكين بيدها أخترق قلبها فسقطت قتيلة في بركة من الدماء، وسار بتوءدة حتى وصل إلى باب غرفتها فعطل جهاز الغلق، ودلف إلى الداخل فأمسك بالسكين المخترق قلبها وفصل الجزء العالق من قلبها ووضع في الكيس البلاستيكي الأسود، وكأنه أراد أن يطهر ذلك القلب من الحقد والطمع وخرج وأمسك الميكروفون وتحدث إلى ابن خالته أزاد ذلك الشاب الذي كان يكره كاچين بشدة والذي تحبه تولاي وتبغضه هو، وكان يأمل بالارتباط من تولاي التي أحبها كثيرا لكن كان كاچين عائقا استحال عليه تخطيه، وكان سؤال كاچين:

ـ أريد أن تخبرني برأيك لو علمت أن عمي روماف قام بالتحرش بوالدتك چيندا هل تسامحه إن أعطاك ابنته تولاي وجعلك ترتبط بها ؟

فصمت أزاد لبرهة من الزمن وأجاب بنعم أوافق، وهنا قد سمع إجابته بقية الموجودين وطلب منه كاچين أن يقرأ ما في الورقة وإظهارها من الحبر السري فصرخ قائلا:

ـ لا لا أرجوك...

بعد أن علم أنه يتحتم عليه قطع لسانه،وكأن كاچين عاقبه على موافقته أن يتحرش أحد بأمه ولو لفظا، وبعد أن صرخ كثيرا بدأ يسعل والاختناق من الغاز لا يتوقف، وبدأ يزداد مما صعب من تنفسه، أمسك

بخنجر حاد كان بجانب الورقة وصرخ وأخرج لسانه وقطعه، ثم سقط قتيلا ينزف دما ومختنقا بالغاز السام، وتمهل كاچين في خطواته تجاه باب غرفته وأغلق جهاز الغلق الذاتي وأخذ الجزء المقطوع من لسان أزاد ووضعه بالكيس الأسود، وخرج متوجها لضحية جديدة، كانت هذه المرة عند شيرفان وسأله متحدثاآعبر الميكروفون:

- كيف ترتضي أن تبني سعادتك وجمع ثرواتك الطائلة فوق أنقاض هؤلاء الموتى الأحياء من المتعاطين البلهاء وابتزازهم ؟ رد شيرفان قائلا وهو يحاول تبرئة نفسه:

- إذا لم أفعل أنا ذلك سيأتي غيري ليفعله فهؤلاء من تتحدث عنهم مغيبون ويبحثون عن الموت البطيء...

وأتبع:

- لي نظريتي الخاصة التي أتبعها دائما وهي: «أنشيء قانونك الخاص والتزم به لكن لا تفرضه على الآخرين حتى لا تكون متهما بخروجك عن قوانينهم...»

وكما هو كائن في كل مرة يسمع الجميع إجابة كل ضحية عن سؤال كاچين، وهنا أمره أن يقرأ ما هو مطلوب منه بالورقة بعد إظهارها من الحبر وتنفيذه في مدة لا تتجاوز ثلاث دقائق حتى لا يختنق من الغاز السام، وكان مطلوبا منه أن يتعاطي كيسا كبيرا من مخدر الهيروين قد وضعه كاچين بجانب الورقة، وبعد ذلك يقطع بالسكين الموجود أيضا بجانب الورقة قطعة جلد من معدته بحجم الكف، وبدأ يصرخ بشدة وانهار عندما علم مطلبه وبدأ يختنق بشدة ويترنح من إثر الغاز السام،

وهم مسرعا بتعاطي كيس المخدر، وأمسك بالسكين وقطع جزءا من جلد معدته وسط صرخات كالرصاص سقط معها على الأرض قتيلا، وكان كاچين أراد أن يجعله يتذوق طعم الموت البطيء الذي أذاقه لضحايا المدمنين، وأن يقتطع جلدا من معدته ليعذبه بثرواته التي امتلأت بها بطنه، ودلف كاچين إلى غرفة شيرفان بعد تعطيل جهاز غلق الباب ذاتيا وأخذ قطعة الجلد ووضعها في الكيس الأسود وخرج ليوجه حديثه هذه المرة إلى ابن عمه إيڤان تاجر المخدرات الصغير المعاون الأول لأبيه في تجارته المحرمة، ووجه له سؤالا كان فحواه:

- ما رأيك في قتل والدك شيرفان فهو طلب مني أن أتخلص منك أنت وأخوك كي يتمتع وحده بالكنز والثروة ؟

فرد إيڤان في حماس:

- أوافقك بشدة في قتل هذا الرجل المتعجرف أنا أكرهه جدا فهو من جعلني أدخل إلى وكر المفاسد هذا دون عودة...

وهنا طلب منه كاچين أن يبدأ بقراءة ما هو مطلوب منه بالورقة بعد كشف الحبر، وتنفيذ ما يجده من أوامر وبدأ في الصراخ والنحيب عندما علم أنه مطلوب منه الامساك بمسدس كان وضع بجوار الورقة سلفا وإضرام النار على قدمه فهي تسعى للسير نحو قتل والده والأفضل بترها ولا أن ترتكب تلك المعصية، وبكى وارتجف بشدة وسعل كثيرا من الاختناق الذي بدأ يتملكه من الغاز القاتل، وقبل أن يسقط بلحظات أمسك المسدس وأضرم النار على قدمه وسط صرخة مكتومة سقط بعدها قتيلا واتجه كاچين إلى غرفة إيڤان وهو يسير بتوءدة وعطل جهاز غلق

الباب ودلف للداخل وأخذ أشلاء من لحم القدم المتناثر ووضعه بالكيس الأسود وخرج، وكانت الضحية التالية هو ابن عمه الآخر چوتيار المساعد الثاني لأبيه شيرفان في تجارة المخدرات التي أودت بأرواح كثيرين، وجاء الوقت لتحصد ارواحهم أيضا بسببها وسأله كاچين قائلا:

- أردت أن أقتل والدك لأني كنت أتصور أنه شارك عمي روماف في قتل أبي وكان إذا تم هذا سيكون شنقا، فإذا سمحت لي بفعل هذا بأبيك سأسمح لك بأن تأخذ الكنز وحدك هل توافقني؟

صمت چوتيار قليلا قبل أن يجيب بالموافقة مُبدِيًا أسفه على والده الذي تسبب في موت الكثير من جرَّاء تجارة المخدرات، وبأي حال لن تكون روحه أغلى من أرواح هؤلاء الذين استدرجتهم نفوسهم الضعيفة، واقتادهم أبي لشبكته القاتلة، وهنا أمره كاچين بتنفيذ ما طلب منه بالورقة بعد كشف الحبر وأن يسابق الزمن قبل أن يقتله الغاز مختنقا، ففزع بشدة وبدأ يبكي بكاءا مكتوما ويهذي بهمهات غير مفهومة عندما علم بحتمية فعل الآتي:

أن يصعد على كرسي صغير من الخشب كان موضوعا بالغرفة وتحته لوح رقيق من الثلج، وأن يضع رأسه يمر من حلقة من السلك القاطع الحاد جدا وكانت هذه الحلقة من السلك معلقة في جنش من الحديد في سقف الغرفة زاد بكاءه وصراخه واختناقه وهو يسعل بشدة لم تجد أي توسلات، وبدأ يلفظ أنفاسه الأخيرة وصعد في النهاية على ذلك الكرسي ووضع رأسه داخل حلقة السلك وهو يصارع الموت، فسال هذا اللوح من

الثلج وأنزلق الكرسي وقطع السلك الحاد رأسه وفصلها عن باقي جسده، اتجه كاچين للغرفة بعد تعطيل جهاز غلق الباب ودلف إلى الداخل، وأخذ رأس چوتيار ووضعها في الكيس الأسود وخرج، وكان كاچين قاصدا عقابه بنفس العقاب الذي ارتضى أن يتذوقه والده، واتجه كاچين لضحية جديدة في سلسلة ضحاياه من هذه العائلة، وكانت هذه المرة عمته أرجوان موجها إليها سؤاله قائلا:

- كنت تقبلين على ابنتيك أن تبعن أجسادهن مقابل المال فإذا وافقتي أن أقتلهما سأعطيك الكنز وحدك هل تقبلين هذا العرض؟

فكرت قليلا في صمت واندفعت إجابتها بنعم فقط دون أن تفسر شيا آخر، وكان من تبقى هم ابنتاها فقط فسمعتا إجابتها، وهنا طلب كاچين منها تنفيذ ما بورقتها بعد إظهار الكلمات وأن تصارع الوقت الذي سيكون فيه الغاز القاتل هو عدوها الأول، وصدمت وصرخت كثيرا عندما علمت أنها لابد أن تجلس على كرسي كان وضعه بجانب الورقة تتدلى منه سكاكين بارزة لأعلى، وصاحب بكاؤها نحيبها وهي ترتجف متوسلة إليه لكن اختناقها من الغاز كان أسرع من استجابة لم تأت من كاچين، وقبل أن تختنق تماما في ظل سعالها الشديد صرخت وهي تجلس على الكرسي وأجزاء تلك السكاكين البارزة منه تخترق جسدها وتتساقط منها بعض قطع من لحمها في بحيرة الدماء التي قبعت غارقة فيها، ودلف إلي غرفتها كاچين بعد تعطيل جهاز غلق الباب وأخذ قطعا من لحومها المتناثرة وسط الدماء ووضعها في الكيس الأسود وخرج، وتوجه بسؤاله هذه المرة

العضو التاسع في هذه العائلة وكانت ابنة عمته داملا وسألها:

- كنت تقبلين أن يستمتع بجسدك كثير من الرجال الغرباء هل تقبلين أن أقبلك أنا مقابل كنز كامل لك بمفردك ؟

فردت بكل ثقة وبلا تردد:

- وإن أردت أكثر من القبلة سأوافق أيضا...

فأمرها هنا بأن تنفذ المطلوب منها بالورقة بعد إظهارها من الحبر السري، وأن تسابق الزمن الذي سيفصلها عن الموت بالغاز السام وبدأت بالصراخ ثم الارتجاف عندما علمت أنه مطلوب منها أن تقبل رسمة موجودة بجدار الغرفة لوجه رجل دميم وفمه غائر ومجوف بداخل الجدار وشفتاه عبارة عن شفرتين من سلاح السكين الحاد، وعليها أن تدخل كامل شفتيها بذلك التجويف لفم الرجل فصراخها لم ينتهه من الرعب ولكن اختناقها كان بدأ يقربها من نهايتها حتى اندفعت نحو هذا الرسم الدميم وتقبله لتقطع شفرات السكين شفتيها قبل أن تسقط أرضا، فهو كان وضع هاتين الشفرتين على سوستين صغيرتين تنفلت بمجرد لمسهما لتقطع ما بداخلهم، وسار كاچين باتجاه غرفتها وعطل جهاز غلق الباب ودلف إلى الداخل ووضع أجزاء منثورة من فمها القابع بجوار جثتها على الأرض وسط الدماء، ووضع هذه الأجزاء بالكيس الأسود وخرج ليوجه سؤالا للضحية العاشرة والأخيرة ابنة عمته الأخرى إلكاي وسألها قائلا:

- كنت فتاة جميلة جدا وأظن أنك راوغت بهذا الجمال كثيرا من الرجال في جذبهم إليك، هل إذا كنت دميمة أليس هذا كان سيغير كثيرا من أخلاقك؟

صمتت ولم تنبس ببنت شفة حتى كرر سؤاله فقالت:

- أظن أنه لا يوجد رجل يرغب في فتاة دميمة، لكن ليست كل دميمة ذات أخلاق بطبيعة الحال.

هنا أمرها بأن تكشف الحبر بالورقة، وتنفذ ما بها قبل أن يداهمها الغاز القاتل وما إن علمت ما بها صرخت متوسلة بالدموع لأن يرحمها، فكان مطلوبا منها أن تسكب محتويات زجاجة من ماء النار كانت بجوار الورقة على وجهها، بدأ الوقت يتسرب والاختناق يملأ عنقها وتترنح وهي تعلم أنها على أعتاب سكرات الموت، فأمسكت بالزجاجة وسكبتها على وجهها وهي تصرخ وأجزاء من جلد وجهها تتناثر على الأرض وسقطت مختنقة أرضا، واتجه كاچين نحو غرفتها وعطل جهاز الغلق الذاتي للباب ودلف إلى الداخل وأخذ يلملم بقايا وجهها من لحم مهترء ووضعه في الكيس الأسود، وخرج من هذا المكان المعبأ برائحة الدم والموتى فلم يبق منهم أحد على قيد الحياة، وقام بطهي ما بداخل هذا الكيس في إناء كبيرة بعد أن قام بفرم هذه المكونات البشرية وإضافة بعض التوابل، وأعد بجانبها بعضا من الأرز، وتوجه بهذه الوجبة إلى العجوزين الفقيرين وآخر من تبقى بتلك العائلة، رانكين الأخ الأصغر للجد وزوجته جانسوا ليطعمهما من هذه الوجبة التي تكونت من أشلاء عائلة بأكملها، وبعد أن بدأوا يتناولون الطعام حتى وجد نفسه فؤاد واقفا في الصحراء وأمامه خسراف الذي ظل يقفز فرحا مبتهجا بما حققه فؤاد قائلا:



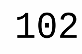
ـ أنت الآن في منزلة قريبة مني، أنت جعلتني أستمتع حقا، فأصبحت تصدر لي السعادة ثق تماما أني سأعطيك مالا تحلم به بعد أن تكمل ما تبقى من وصايا.

رد فؤاد ووجهه تكسوه علامات الغضب:

ـ ماذا تفعل بي ؟ هل أنا ما زلت إنسانا أم كائن دموي لا أعرفه تحديدا؟

رد خسراف:

ـ لا أنت لست إنسانا عاديا، أنت ملك هذا الكوكب، يفصلك عن هذا القليل وسيزول عِدَاؤك للدماء، بل ستصبح متعطشا لها، خطوات قليلة تحدث الآن بالتدريج ستصبح بعدها هكذا، والآن لا تدعنا نضيع كثيرا من الوقت، أنظر إلي:





الوصية الخامسة

بالنقطة الحمراء التالية، وهي أن يسجن خمسة أبرياء، لا تعلم كم يسعدني أنين المظلومين وهذه التمتمات التي تخرج من الشفاه المرتعشة وهي تنتحب، تجعل ضحكاتي تنطلق لتعلن حالة البهجة في ذلك الكون الذي أحدد مصائره، أنت الآن مصدر سعادتي أغمض عينيك كن داخل الأحداث وغيرها لتستطيع تنفيذ مهمتك المبهجة بنجاح، أثق بك تماما...

لحظات بعد أن ومضت عيناه وجد فؤاد نفسه في سويسرا تحديدا بمدينة غيسباخ الهادئة في منزل صغير لكنه رائع، يطل على بحيرة برينز بهدوئها ومنظرها الخلاب، ها هو أصبح سايمون صاحب الستة وثلاثين عاما، موظف سابق بمنظمة ميركاتور الخيرية، يبعد عن منزله بأمتار معدودة منزل فخم لرجل ثري يدعي فلوريان، لديه من العمر خمسة وستون عاما يمتلك إحدى الشركات العالمية في صناعة ساعات اليد الفاخرة، ولديه خمسة أبناء أكبرهم يدعى صامويل، لديه ثمانية وثلاثون

عاما يهوى السهر في الحانات ومرافقة النساء، لا يعمل ودائم الط
للمال من والده، وحدثت بينه وبين والده كثير من المشادات بسبب هذه
المطالبات المالية التي تنفق على نزواته نظرا لسلوكياته السيئة، ثاني هؤلاء
الأبناء يدعى سيدريك لديه من العمر أربعة وثلاثون عاما، يهوى لعب
القمار فهو يُعرف في وسط المقربين منه بلقب المقامر الأعظم، ودائما
على الرغم من خسارته أموالا كثيرة كلفت والده خسائر فادحة، فهو يتولى
منصبا قياديا بإحدى شركات والده لكنه دائم الغياب عن العمل ودائم
التواجد في صالات المقامرة، مما أثر على الشركة بضرر بالغ، وهذا الابن
لا تنتهي مشاكلة مع والده أيضا، ثالث الأبناء يدعي فيليب، وله من العمر
اثنان وثلاثون عاما، هذا الشاب لا يستفيق أبدا من مفعول المخدر الذي
يتعاطاه، فهو مدمن للمخدرات، وكان ذلك نتيجة لتعرفه على أصدقاء سوء
اصطحبوه معهم لذلك الطريق الملعون، وكان قربه من هؤلاء الأصدقاء
ورفضه للابتعاد عن المخدرات والعلاج سبب مشاكله التي لا تنتهي مع
والده، رابع هؤلاء الأبناء هو باير صاحب الثلاثين عاما، هذا الشاب له
سمعه سيئة للغاية حيث أن المقربين منه أكدوا أنه شاذ جنسيا ويهوى
التحرش بالأطفال، وكان والده طلب منه مرارا أن يبتعد عن هذه الأفعال
المشينة لكن دون جدوى، مما سبب العديد من المشكلات مع والده،
خامس هؤلاء الأبناء وأصغرهم يدعى كيڤين له من العمر ستة وعشرون
عاما، له نشاط إجرامي فهو أحد أعضاء تكوين عصابي يقوم بعمليات
خاصة مثل اختطاف الأطفال والسرقة بالاكراه، واقتناص الأرواح بأجر
مادي، فهو يهوى العمل الإجرامي بعيدا عن فكرة جلب الأموال جراء

[illegible]، وكان والده يرفض بشدة هذه الأفعال والأخلاقيات التي دعت ابنه لارتكاب هذه الكوارث الإجرامية وسببت مشاكل مزمنة مع والده، وكان لكل من هؤلاء الأبناء سكن خاص بالمنزل، وكان الأب دائم الخلاف مع أبنائه الذين تسببوا في خيبة أمل كبيرة بالنسبة له فلم يعد بينهم أبن صالح بل كلهم التهمتهم المفاسد بشراسة، وهو يعيش حالة حزن واكتئاب جراء ما وصل إليه أبناؤه، وكان جمع هذا الأب أبناءه ذات مرة ولمح لهم موعدا أنه سوف يتبرع بكامل ثرواته لمنظمة ميركاتور الخيرية نتيجة لاعتقاده أن ما جعل أخلاق أبنائه بهذا السوء هو المال فقط ولا شيء سواه، وهذا ما أثار حفيظتهم ورفضوا قراره بشدة ونعتوه بأفظع الألفاظ البذيئة بخلاف أنهم هددوه بالقتل فقام فلوريان بترك هذا المنزل ليريح أعصابه المحترقة من الغضب من هؤلاء الأبناء الحمقى، واتجه إلى الجانب الآخر من بحيرة برينز حيث فندق غراند غيسباخ، هذه التحفة الفنية المنعزلة التي تقام على تل فوق بحيرة برينز، وتطل على شلال مياه غيسباخ، هذا المكان الرائع الذي يريح النفس من جراء النظر إليه فقط أما العيش فيه فهو المتعة الأكبر التي تراود خيال أي شخص على هذا الكوكب، وهنا بدأ سايمون تنفيذ مخططه بمهارة، وذهب لمقابلة صامويل الابن الأكبر لفلوريان، وأكد له أن والده تحدث معه بشأن تبرعه لجمعية ميركاتور الخيرية بكامل ثرواته وأنه هنا الآن لإخباره أنه يستطيع إفساد مخططه وجعله لا يستطيع التبرع لجمعية ميركاتور أو غيرها، لكن هذا متوقف عليه هو واخوته فرد صامويل في دهشة بدت واضحة من اتساع حدقتي عينيه:

- متوقف علينا كيف هذا ؟

فأجابه سايمون مبتسما:

- تقوم بإرسال طلب عبر البريد الالكتروني للجمعية ترفض فيه هذا الأمر معللا بأن والدكم تنتابه حالة صرع تؤثر على تفكيره وكيفية اتخاذ قراراته وتوقع أدنى هذا الطلب، ولا تندهش آن كنت أعرض خدماتي هذه بشكل شبه مجاني فسوف أتقاضى منك فقط خمسة آلاف فرنك لتسهيل كافة الإجراءات للموافقة على طلبكم.

فأومأ سايمون برأسه بالموافقة، وداعبه قائلا:

- لو كنت أنا بمكان والدك وبالفعل تبرعت بكامل ثروتي للجمعيات الخيرية ماذا ستفعل بي؟

رد صامويل عاقدا حاجبيه بصوت تملؤه الحدة:

- سأقتلك يا فلوريان أيها العجوز الأحمق إن تبرعت بثروتك ولن أبقيك حيا ولو ليوم آخر...

وكان سايمون قام بتسجيل هذه الجملة التي توعد فيها صامويل والده بجهاز تسجيل صوتي صغير كان في جيبه، فابتسم سايمون قائلا:

- لن تجدي القوة نفعا في كل المواقف، فالمطرقة تستطيع طرق المسامير الصلبة لكنها لا تستطيع قص شعرة من شاربك...

وهنا طلب صامويل من سايمون أن يحتسي معه فنجانا من القهوة، فرحب بالأمر وبعد أن غادر صامويل لتحضير القهوة في تلك اللحظات تسلل سايمون ودلف إلى غرفة نوم صامويل ووضع أسفل سرير نومه لفافة

ـــ

من الحبال وخرج مسرعا وجلس مكانه مرة أخرى دون أن يشعر به صامويل، وبعد أن احتسى معه القهوة اتفقا على لقاء آخر ليحضر به صامويل المبلغ المطلوب، وطلب سايمون الانصراف لقضاء بعض الأعمال الخاصة، وفي اليوم التالي ذهب سايمون لمقابلة سيدريك الابن الثاني لفلوريان واتفق معه على نفس الاتفاق السابق الذي تم بينه وبين أخيه صامويل من حيث المبلغ المطلوب مقابل تسهيل إجراء منع والده من التصرف في ثروته، وطلب سيدريك من سايمون أن يحتسي معه فنجانا من القهوة فأبدى موافقته وفي اللحظات التي استهلكها سيدريك في تحضير القهوة كان دلف سايمون إلى غرفة نومه ووضع في إحدى البذلات المعلقه بدولابه ألفين من المارك الخاص بطاولة الروليت، فهو لا يفارق صالات المقامرة إلا قليلا من يومه، وبعد أن انتهى من ذلك عاد إلى مكانه مرة أخرى، وبعد أن احتسى فنجان القهوة، طلب الانصراف مودعا سيدريك قائلا:

ـ سنلتقي مرة أخرى قريبا...

وفي اليوم الثالث لبداية زياراتي سايمون لأبناء فلوريان ذهب هذه المرة إلى فيليب الأبن الأوسط عمرا بين أبناء فلوريان وبعد أن اتفق معه على نفس المخطط الذي سبق وأن وافق عليه إخوته، والخاص برفض طلب والده بالتبرع بثروته، وأخرج سايمون من جيبه حقنة تحمل مادة سامة قاتلة وقال لفيليب:

ـ ما رأيك بهذه وهو يمد يده تجاه فيليب بها وهو يمسكها من غطاء السن البلاستيكي، وأمسكها فيليب قائلا:

ـ ما هذه؟

فابتسم سايمون قائلا:

- هذه المادة ستجعل والدك يبدو كمريض الصرع، ويشبه هياجه وانتفاضه، مما يسهل إثبات مرضه إذا قمنا بحقنه بهذه المادة قبل عرضه على لجنة من الأطباء لتقييم حالته.

وهنا أخذها منه سايمون مرة أخرى عندما ابتسم فيليب مُبديًا موافقته على هذه الفكرة، وقام بعدها فيليب بتحضير مشروب لسايمون الذي لم يمانع، وفي هذه الأثناء تسلل سايمون في صمت ودلف إلى غرفة نومه ووضع في دولابه حقنة شبيهة تماما نفس التي أخذ عليها بصمات فيليب، وبها نفس كمية المادة السامة، وأخفاها بشكل جيد وسط ملابس فيليب، وكانت هذه الحقنة تحتوي على اثنين سنتيمتر فقط من المادة السامة، والتي تستخدم في عمليات الإعدام في بعض الدول رغم تحريمها دوليا، أو في عمليات الانتحار، ومكوناتها عبارة عن ثلاثة من المحاليل الكيماوية، وهي صوديوم البينتوثال، وهو يسبب فقدانا للوعي مضاف إليه كلوريد البوتاسيوم الذي يؤدي إلى توقف القلب، مضاف إليهما بروميد البانكورونيوم لإيقاف عملية التنفس، وأخذ الحقنة القاتلة التي بها بصمات الابن بعد أن أزال عنها غطاء السن الذي كان يحمل بصماته هو، ولازالت السرنجة تحمل بصمات فيليب فقط، ووضعها في كيس بلاستيكي وأخفاها في طيات ملابسه، وخرج بعدها واحتسى مشروبه وانصرف مودعا فيليب، ووعده بلقاء آخر، وفي اليوم التالي ذهب سايمون إلى باير، الابن الرابع من أبناء فلوريان وبعد الاتفاق على ما تم مع إخوته، والموافقة على الخطة الموضوعة من جانبه، قام هنا سايمون بطلب

فنجان من القهوة، فرحب باير بالأمر وقام لتحضيره، واستغل سايمون تلك اللحظات ودلف لغرفته، وفتح دولابه وأخذ منه أحد الاسكارفات الخاصة به، وكان يهوى باير طباعة اسمه عليها، وهم بالخروج سايمون وجلس مكانه واحتسى فنجانه ونهض بعدها في طريقه للانصراف وهو يعد باير بلقاء آخر، وفي اليوم التالي ذهب لآخر الأبناء وأصغرهم كيڤين، واتفق معه على إتمام نفس المخطط الذي اشترك فيه إخوته ضد والده لمنعه من التصرف في أمواله، وكان كيڤين متحمسا لتلك الفكرة بشدة، وقام لتحضير فنجان من القهوة لسايمون، في تلك اللحظات تسلل سايمون في هدوء لغرفة نومه ووضع بدولابه بشكل خفي عدة خناجر نفس الشكل لكن مقاسات مختلفة، لكن كان ينقصهم مقاس واحد لخنجر احتفظ به سايمون في جيبه، وخرج بعدها وجلس مكانه، واحتسي فنجانه وهم بالانصراف قائلا:

- ينتظرنا لقاء آخر عما قريب...

ورغم أن سايمون قام بترك منظمة ميركاتور الخيرية منذ فترة إلا أنه مازال يمتلك الحسابات الالكترونية الخاصة بالمنظمة، وقد قام بنسخ الطلبات الالكترونية الخمسة التي أرسلها أبناء فلوريان لرفضهم تبرعه للمنظمة بثروته، وذلك لوجود خلل عقلي ومرض يعاني منه والدهم يؤثر على تفكيره السليم، وبعد مرور أسبوع واحد على زيارات سايمون لأبناء فلوريان قام سايمون بالاتصال بالأب فلوريان من خلال أحد هواتف كبائن الشوارع، ولم يتحدث سايمون إطلاقا فقط أدار التسجيل الذي كان قد سجله خفية بصوت الإبن صامويل وهو يقول في غضب:

- سأقتلك إن تبرعت بالثروة، سأقتلك ولن أبقيك حيا ولو ليوم آخر...

وأغلق بعدها الهاتف وفي المساء قام سايمون بالاتصال بفلوريان، وقام بتعريف نفسه على أنه مسؤول العلاقات العامة بمنظمة ميركاتو الخيرية، وطلب منه أن يقابله في أحد الأماكن الراقية التي تقدم المشروبات الساخنة وتطل على شلال غيسباخ بعد ساعة من هذا الاتصال لأمر خاص بمعلومات وردته عن تبرعه للجمعية، ورحب فلوريان بالأمر وبالفعل أتى كلاهما في الموعد، وبدأ سايمون الاجتماع بود ملحوظ ترسمه الابتسامة على وجهه قائلا:

- في البداية أحب أن أطلعك على شيء ما...

وأخرج الطلبات المرسلة من أبنائه للمنظمة والتي يرفضون فيها تبرع والدهم بثروته لكونه مريضا بالصرع، فغضب فلوريان بشدة وقال حانقا:

- سأنفذ مخططي، لا يستطيع أحد ليَّ ذراعي، سأنتقم من هؤلاء الخنازير الذين وصل بهم الأمر أن ينعتوني بالجنون...

فبدا سايمون مندهشا وهو يسأله:

- ولماذا لم تكلف الشرطة بحمايتك ؟ فأنا ذهبت إليهم لأعرف سبب رفضهم لتبرعك لمنظمتنا الخيرية قاطعوني قائلين هذه الثروة تخصنا نحن الأبناء فهو مريض ولا نضمن قواه العقلية في اتخاذ القرارات وإن تصرف بأمواله سنقتله...

فشجعه سايمون على الاتصال بالشرطة وهذا ما حدث بالفعل، فقام فلوريان بالاتصال قائلا:

- أبنائي الخمسة يهددونني بالقتل لأني نويت التبرع بكامل ثروتي لجمعية خيرية ويكذبون بقولهم أني مريض بالصرع.

وأنهى الاتصال بعد أن طمأنه الشرطي بأنه سيتخذ اللازم لحمايته، بعدها أخبر سايمون فلوريان بأنه يعمل طبيب تحاليل بجانب عمله التطوعي بمنظمة ميركاتور والمنظمة أوفدته لمقابلته لمعرفة أذا ما كان ينوي التبرع لصالحها، فأومأ فلوريان برأسه موافقا فقال سايمون:

- لكن علي اتخاذ إجراء بسيط يضمن لك الحقوق القانونية في تصرفك بمالك وفقا لقدرتك العقلية السليمة، سنأخذ عينة صغيرة من الدماء لتحليلها لتكون ضمانة أنك لا تعاني من أي أمراض تؤثر على قراراتك كالتي يدَّعي بها أبناؤك كذبا...

فرحب فلوريان بعد اقتناعه قائلا:

- ليس لدي مانع.

وكان على الرغم من موافقته يبدو عليه الغضب الشديد نتيجة لما آلت إليه علاقته بأبنائه فوجه له سايمون اقتراحا قائلا:

- إن الانفعال والغضب اللذان يظهران عليك سيؤثران بشكل أو بآخر على نتيجة التحليل الذي سأقوم به.

وقال له:

- ما رأيك بأن أعطيك جرعة بسيطة من المهدئ أولا.

فتردد فلوريان قليلا ثم أبدى موافقته وكان سايمون يرتدي قفازا أسود من الجلد، حيث كانت هذه الليلة شديدة البرودة ولكن كان هدفه الحقيقي من ارتدائه هو إخفاء أي أثار لبصماته، وأحضر الحقنة القاتلة المماثلة لتلك التي وضعها في دولاب الإبن فيليب، ووخزها في ذراع فلوريان، وبعد دقائق قليلة جدا بدأ يشعر فلوريان بدوار شديد، وقبل أن يغيب عن الوعي كانت السماء بدأت تهطل أمطارها بشدة وسط الظلام الذي حل بالمكان، وترك الزوار المكان ولم يبق منهم أحد، وقام سايمون بخلع حذائه ووضعه في كيس من البلاستيك وارتدى فوق الجوارب القطنية بقدميه كيسين من البلاستيك ونهض من مكانه مسندا فلوريان الذي فقد الوعي تماماً من أثر المادة السامة، وبدأ يتحرك به ناحية المنحدر في اتجاه شلال غيسباخ، وكان المطر الشديد وصوت الرعد الصاعق كفيلا بجعل المكان خاويا من المارة تماما، وجميع نزلاء الفندق يتوجهون إلى غرفهم لسوء حالة الطقس.

وبعد أن اتجه إلى المنحدر باتجاه الشلال بمكان بعيد عن الأعين قام بإخراج حبل كان يخفيه تحت معطفه من نفس لفافة الحبل التي كان أخفاها أسفل سرير الابن صامويل وقام بخنق فلوريان بها الذي كان توفي بالفعل من أثر السم، ثم أخرج من جيب معطفه أثنين من المارك الخاص بطاولات المقامرة وقام بنثره على الأرض أسفل الجثة، نفس نوع المارك الذي كان وضعه في جيب البذلة الخاصة بالابن سيدريك ، ثم قام بترك الحقنة السامة التي تحمل بصمات فيليب فارغة إلا قليل منها على الأرض بجانب الجثة، وهي نفس الحقنة التي يوجد مثيلتها بدولابه. ثم

أخرج الاسكارف الخاص بالابن باير من معطفه ووضع جزءا كبير منه في فم فلوريان، وأخرج من جيب سري بحذائه الذي كان شبيها ببيادة الجنود العسكرية، وكان قام بخلعه ووضعه بكيس بلاستيكي حتى لا توضح أثار أقدامه، الخنجر الأخير الصغير الذي تنقصه مجموعة الخناجر في طاقم واحد والتي كان أخفاها في دولاب الابن كيڤين وكان مازال مرتديا قفازه، قبل أن يطعن به فلوريان بالصدر وترك الخنجر قابعا متصلبا بين ضلوع الجثة ووضع طلبات الأبناء الموقعة بأسمائهم والرافضة لتبرع أبيهم بالثروة، ووصفه بمريض للصرع بجيب معطف فلوريان، ووضع أيضا بجيب معطفه شريطا عليه تسجيل صوتي للابن صامويل في تهديد صريح بقتل والده، وانصرف سايمون من موقع الحادث وهو مازال يرتدي في قدميه أكياسا من البلاستيك، حتى نزل إلى بحيرة برينز، وقام بالسباحة مسافة ليست قليلة إلى أن وصل للبر الآخر منها وقام بالخروج وارتدى حذائه بعد أن خلع الأكياس من قدميه وخلع القفاز من يديه، وقام بإحراقهم حتى يتخلص من أي دليل ينقذ الجناة الخمسة الوهميين أبناء فلوريان، فدليل واحد يدل على الجاني الحقيقي لهذه الجريمة يعني فشله تماما.

وبعد وصول الشرطة لمكان الجثة بعد عدة ساعات من اختفائه حيث كان أبلغهم فلوريان من قبل باتصاله بنية أبنائه لقتله، وجدت الشرطة كل هذه الأدلة بجانب جثة فلوريان، وبقيام فريق البحث الجنائي بالبحث في مسكن الأبناء وجدت الحبل الذي شنق به أسفل سرير صامويل والمارك الخاص بطاولات القمار مثيل المتواجد أسفل الجثة في إحدى بذلات

سيدريك، والحقنة القاتلة وعليها بصمات فيليب بجوار الجثة ومثيلها بدولابه، والاسكارف الخاص بالابن باير في فم الجثة لكتم صوته أثناء شنقه، والخنجر المخترق ضلوع فلوريان هو المقاس الوحيد الذي ينقص طاقم الخناجر بدولاب كيڤين، بالاضافة لطلبات رفضهم لتبرعه وشريط التسجيل الصوتي بصوت صامويل وبه تهديده بالقتل، بعد أن تأكدوا من متخصص أصوات وبتحليل الصوت ومطابقته له لم يبق مجال للشك في ضمير القاضي أمام الأبناء القتلة أثناء محاكمتهم الذين عوقبوا بنهايتها بالسجن المؤبد لكل منهم وهم يضعون رؤوسهم بين أيديهم في بكاء شديد، وصراخ الأبرياء يرج أرجاء المحكمة، وجد نفسه فؤاد في الصحراء أمام خسراف وعيناه كانت تشع لمعانا من الابتهاج والثقة في قدرته بفعل أي شيء يطلب منه وبدأ خسراف الحديث قائلا:

- تلميذي النجيب، أبليت بلاء حسنا، أبهرتني حدة ذكائك ومجهودك الرائع، لم أتخيل أنك ستصل إلى هذه المهارة في وقت قصير، لكن بلا شك قوة إيمانك بي هي من جعلت منك مبدعا في فنون الطاعة والولاء الكامل، الذي يظهر في طريقة تلبية طلباتي، وجعلتني أثق تماما أني اخترت الشخص المناسب الذي يليق به ملك هذا الكون الجميل، الحلم يقترب منك لا تتخل عنه...

ولم ينبس فؤاد ببنت شفة فقط ينظر إليه بوجه خال من المشاعر وأتبع خسراف قائلا الآن:



الوصية السادسة

في النقطة الحمراء القادمة، أريد منك هذه المرة شيئا اشتقت له كثيرا ويعوضني عنه هذه المرة الآن بجريمة خيانة تنتهي بالقتل والسجن، لا تبحث سوى عن إسعاد من يريد إسعادك...

وهنا أغمض فؤاد عينيه وعندما عاود فتحهما ليرى الضياء مرة أخرى وجد نفسه الطبيب خيري شلبي، لديه من العمر خمسة وأربعين عاما يعيش في الإسكندرية، طبيب نفسي ويقدم بالإذاعة برنامجا مسائيا يساعد فيه المرضى أو من لديهم مشكلات نفسية على الخروج من أزماتهم، وذات يوم جاءه اتصال من سيدة تدعى وفاء مكرم، لديها من العمر خمسة وثلاثون عاما متزوجة من محام يدعى رأفت زايد، لديه اثنين وأربعين عاما وليس لديها أبناء، فزوجها يعاني من مشكلات صحية تمنعه من الإنجاب، وكانت تتحدث إليه في رهبة وقلق وهي لم تفصح عن كل ما سبق من خلال الهاتف، إنما عن طريق بريد البرنامج فقط، واشتكت

من قسوة زوجها وتعنيفه لها باستمرار إضافة لشكه في سلوكها الذي لا ينتهي، فهي ملت تلك الحياة بالرغم من أنها كانت تكن في قلبها حبا كبيرا لزوجها، لكن هذا الحب بدأ في الزوال مع تكرار أفعاله المشينة معها وطلبت وفاء من الطبيب خيري شلبي التواصل معها،وتركت رقم هاتفها الشخصي في الرسالة فتحدث معها الطبيب هاتفيا في وقت لاحق قائلا:

- أريد أن أتقابل معكما أنت وزوجك رأفت في عيادتي الخاصة.

فردت وفاء في تسرع اتضح في تلعثم كلماتها:

- لا سيؤذيني إذا علم أني أريد منه أن يذهب إلى طبيب نفسي...

فصمت قليلا ثم أتبع:

- إذن أريد مقابلتك في عيادتي...

فرفضت الفكرة لكنها وافقت عي أن تقابله في أحد المتنزهات لبضع دقائق فقط، وبالفعل تم ذلك اللقاء في صباح اليوم التالي وأعطاها خيري كارت ميموري طلب منها أن تلحقه بجهاز الكمبيوتر الخاص بها، وتقرأ الملفات الموجودة بداخله وتجعلها ظاهرة أمام زوجها حتى يستطيع قراءتها، وكانت هذه الملفات عبارة عن مجموعة كتب عن كيفية معاملة الزوج لزوجته، بالإضافة لكتاب عن تحسين السلوك العدواني عند بعض الرجال وكيفية تغيير ذلك إلى الأفضل وفعلت وفاء ما أمرها به الطبيب، ولاحظت ابتسامة زوجها والإعجاب يلمع في عينيه، عندما قرأ كتابا للطبيب خيري ووجد بنهاية الكتاب رقم هاتف الطبيب، فاحتفظ

وسأل زوجته في دهشة:

- من أين أتيت بهذه الكتب فقالت له بنظرة يبدو منها قليل من القلق:

- وجدتها على شبكة الأنترنت وقمت بحفظها، حيث أنني أعجبت بمضمونها.

وفي صباح اليوم التالي تواصل رأفت مع الطبيب خيري ليبدي إعجابه الشديد بأفكاره وسؤاله إلى أي مدى يستطيع مساعدته، وطلب هنا الطبيب مقابلته ورحب رأفت بالأمر، وكان ذلك الموعد في السادسة مساء وفي الموعد المحدد وصل رأفت وبدأ لقاءهما، وهنا تحدث بصراحة مطلقة كما طلب الطبيب منه عارضا أفكاره السلبية وأفعاله العصبية مع زوجته، وكم أرهقه ذلك الأمر متوسما في الطبيب أن يرسم له خطة الخلاص من كل هذا فهي لا تستحق هذه القسوة، وطالبه خيري ببعض الهدوء وعدم الحديث مع زوجته كثيرا، وأن يتجنبها لبعض الوقت وفي صباح اليوم التالي تواصل الطبيب خيري بوفاء هاتفيا قائلا لها بلهجة يملؤها الخوف أن زوجها قابله ووضح عليه التوتر والقلق وكأنه يدبر لأمر ما، حتى انتابتها القشعريرة قائلة:

- ماذا تقصد؟

قال لها ببرود:

- أود أن تتجنبي الاقتراب من زوجك لبعض الوقت وعدم الاحتكاك به، فلا يعلم أحد إلى ماذا يرتب هذا الشخص الموتور.

وبعد أن مضي أسبوع كان انتشر مقطع فيديو جنسي لرجل وزوجته على الانترنت، كان لوفاء وزوجها رأفت، وقام هنا الطبيب خيري عندما علم بأمر هذا الفيديو بالاتصال بوفاء وطلب مقابلتها وذلك للأهمية وكان قد قام بحفظ ملف هذا الفيديو على كارت للذاكرة وعندما قابلها وأعطاها إياه قائلا:

ـ لابد أن تشاهدي هذا المقطع بمفردك ولتعلمي جيدا أن زوجك من فعل ذلك.

فلم تفهم شيئا أو عن ماذا يتحدث فقال لها وهو يَهِمُّ بالانصراف

ـ سأنتظر منك ردا على ما ستشاهدينه فصدمت وفاء صدمة كبيرة جعلتها تبكي بحرقة عندما رأت هذا الفيديو قائلة في ذهول ينجرف في أنهار من الدموع:

ـ كيف حدث هذا؟

وهاتفت الطبيب خيري قائلة وهي تحاول أن تتمالك انفعالاتها

ـ كيف وصل إليك هذا المقطع ؟

فرد عليها ببرود:

ـ إني وجدته بالصدفة على شبكة الانترنت، وبالتأكيد زوجك هو من دبر لتصوير ونشر هذا الفيديو الفاضح.

فردت وفاء وبدأت عيناها تلمع بالدموع مرة أخرى:

ـ ولماذا يفعل هذا؟



فقال خيري:

ـ هناك استنتاج واحد هو أنه أراد أن يبقيك في هذا المنزل ولا تطلبي الرحيل عنه، ولا يرغب بك شخص آخر إذا افترقتِ عنه، وليجعل من انكسارك قوة أكبر له يستطيع من خلالها السيطرة عليك بكل الطرق، هذا الرجل يكمن بداخله وفي عمق ذاته شخصان أحدهما من جاء لي ليطلب مساعدته في استرجاع علاقته الجيدة بزوجته مرة أخرى، والآخر هو من يعاملك بقسوة ويريد أن يكسرك والتحكم بك، وهي تستمع إليه وقلبها يحترق حزنا وعيناها تمتلئان بالغِلّ والغضب، لا تريد سوى الانتقام من هذا الرجل المأفون الذي أساء لسمعتها وأهانها.

فقالت للطبيب عاقدة حاجبيها بصوت غاضب:

ـ أنا من سأهشم عظامه، حتما سأقتله فلن أتنازل عن حقي...

وجاء المساء الذي يحمل أسرارا كثيرة للجمال، لكن كان يرافقه هذه المرة أسطول من المشاعر الغاشمة تريد الانتقام، الهدوء والصمت يلقدان ألحانهما في أرجاء المنزل، تزينت وفاء بفستان أسود لامع وأضاءت الشموع في كافة الأرجاء فأشاعت بضوئها الخافت كثيرا من الرومانسية وأحضرت عشاء مميزا وأتى الزوج من الخارج، فانبهر كثيرا من ذلك المشهد الذي لم يعتده، وتبادلا النظرات التي يملأها الود والحب، ولكن من الحب ما قتل فبعد أن تناول رأفت قليلا من الطعام سقط مغشيا عليه،



كانت وفاء دسّت له السم في الوعاء الذي تناوله، وقامت بالاستيلاء على سكين كبير من المطبخ وقامت بفصل رأس زوجها عن جسده ووضعها بالفرن، وقامت أيضا بتشويه وجهه بتقطيع الجلد وإزالته لتشوهه، وفصلت ذراعيه عن جسده، ودفعت السكين في صدره، واقتلعت قلبه لتطهوه بجانب رأسه وتأكل منهم بشراسه ودموية، لم تتحول وقتها سوى لوحش مفترس جائع أتى من الصحراء ليبحث عن فريسته، وحاولت الاستعانة بأعز صديقاتها وتدعى سارة للتخلص من باقي الجثة، ومتعلقات الجريمة مقابل سبعين ألف جنيه، كان ذلك المبلغ موجود بخزينة غرفة مكتب زوجها في ذلك الوقت، فصعقت وبكت سارة بشدة عندما علمت أنها قتلت رأفت حيث كانت هذه الصداقة ليست بالبراءة التي كانت تراها وفاء، إنما كان هذا الاقتراب يسهل كثيرا على سارة رؤية حبيبها رأفت الذي كان على علاقة بها ينقصهم فقط التخلص من وفاء، فوافقت سارة على الفور أن تساعد صديقتها لكنها كانت أبلغت الشرطة ليتم القبض على وفاء وقدمت للمحاكمة، لتأمر فيما بعد بسجنها خمسة وعشرين عاما فقط حيث خففت المحكمة هذا الحكم من الاعدام للمؤبد وذلك استنادا لما ذكرته وفاء من وقائع الحالة النفسية السيئة التي تمر بها جراء تعرضها وهي صغيرة لاعتداء جنسي زاد من تذكرها هذا المشهد ذلك الفيديو الذي قام زوجها بنشره على الانترنت، وأنها قتلته بدم بارد تحت تأثير الألم النفسي المصاحب لفكرة الاعتداء عليها، أضافة لمعاملة زوجها القاسية وتعنيفه ومخططه لقتلها، حيث أنها وجدت على بريد زوجها الالكتروني رسالة

خاصة مع أحد الغرباء وهو يقول له سأقتل وفاء في يوم ما لأنها تخونني، وفي حقيقة الأمر أن كل ما حدث ما هو إلا تدبير من النبت الشيطاني أو ما يطلقون عليه الطبيب خيري، فعندما أتم لقائه لأول مرة مع وفاء وأعطاها كارت للذاكرة به بعض ملفات الكتب كان وضع بداخله ملفات التجسس، فهو بالاضافة إلى أنه طبيب ماهر فهو متخصص بارع في علوم الكمبيوتر والهاكر واختراق الحواسب الآلية، ومن سوء حظ وفاء أنه تحكم في جهاز الحاسب الآلي الخاص بها، والتي كانت تضعه في غرفة نومها على مكتب صغير مواجه للسرير الخاص بالنوم، وكان الطبيب خيري أعطى أمرا لتشغيل كاميرا الجهاز لتسجيل مشهد للزوجين في وضع حميم، وهو من أوهمها أن زوجها هو من قام بنشر هذا الفيديو، ولكن في الحقيقة لم يكن هناك من يستطيع أن ينشر مقطع فيديو بهذا الانتشار في يوم واحد سوى هذا الطبيب، وكان أيضا هو من قام بسرقة البريد الخاص بزوجها وقام بمراسلة بريد آخر قد أنشأه ليحكي من خلال بريد رأفت عن زوجته ونيته لقتلها، وكل ما روته أمام المحكمة كان مخططا له بعناية من تدبير الخيانة الوهمية والقتل العمد، أما الخيانة الأخيرة من صديقتها سارة لها عندما أبلغت الشرطة عنها فهذا كان من سوء ما يخبئه عنها قدرها حيث أن سارة سبقت خيري في إبلاغ الشرطة عن جريمة القتل التي علمت بها أولا.

وجد نفسه فؤاد بعد انتهاء مهمته أمام خسراف الذي لم يكن هذه المرة في قمة سعادته كالسابق، ولكنه كان مبتسما قائلا:



- رغم أنك أبليت بلاء حسنا إلا أني أرى تأجيل فرحتي لحين اتمامك باقي الوصايا فلم يعد أمامنا متسع من الوقت هذا العالم الذي نعيشه يحتاج إلى من يعيد ترتيب أوراقه، وأنا أملك كل الأوراق، هؤلاء الناس الأغبياء لا يدركون كيف تسير الأمور، يظنون أنفسهم أنهم يفعلون كل شيء بأيديهم ومن مخزون مخيلتهم، لا يعلمون من المحرك الرئيسي لهم...

وضحك هنا بصوت جهور مخيف ونظر إلى فؤاد في صمت قبل أن يدور حوله قائلا في:



الوصية السابعة

- سأكون رحيما هذه المرة بهؤلاء الفقراء الذين يحيون حياة بائسة، يبدو أن الموت أرحم كثير من مدينة بأكملها يعانقها الشقاء وتعاني من الفقر والتمييز العنصري، يعملون في الزراعة لدى رجال الأعمال الذين يعطونهم من المال نظير عملهم ليوم كامل ما لا يكفي وجبة واحدة، عليك أن تخلص هؤلاء من عذابهم فلا يريحهم سوى الموت فقط الموت، سيسعدون كثيرا بذلك، أقتل كل أهالي هذه القرية...

فأغمض فؤاد عينيه لثوان ليزيح الستار عن مهمته الدموية، هذه المرة هو جيم وارن جونز المولود في مدينة جونز بأمريكا الجنوبية، وقد سميت باسمه فيما بعد ذلك جونز تاون، غيانا ولد في الثالثة عشر من مايو لعام ألف وتسعمائة وواحد وثلاثين ميلادي، ولد في إنديانا بالولايات المتحدة وقد شارك في الحرب العالمية الأولى وكانت أمه من أصول

ويلزية، تدعى ليناتا بوتنام، وكانت تدَّعي أنها ولدت المسيح، وكان
يريد جونز أن يحصل على انضمامه للشيروكي، وطالب الحكومة بذلك
والشيروكي هي قبيلة من قبائل الهنود الحمر التي كانت تستوطن جنوب
شرق الولايات المتحدة، وهي كانت إحدى الخمس، قبائل من السكان
الأصليين لأمريكا، وكان تعدادها وصل إلى ثلاثمائة ألف شخص، ووفقا
لإحصائيات عام ألفين ميلادية في الولايات المتحدة، فهي القبيلة الأكبر
بين خمسمائة وثلاثة وستين قبيلة بالولايات المتحدة، وقد تمت إبادة
جزء كبير من شعب الشيروكي عن طريق الغزاو الإسبان، ثم المستوطنين
الأوروبيين، وذلك عن طريق القتل والتشريد أو بنقل الأمراض معهم
ولم يكن شعب الشيروكي لديه مناعة ضدها، ولكن رفضت السلطات
إعطاءه شرف الانضمام لتلك القبيلة أو للسكان الأصليين لأمريكا، وكان
جميع أصدقاء جونز يعترفون بأنه كان طفلا غريب الأطوار مهووسا بالدين
والموت، وكان يقيم جنائز للحيوانات، وكان متعاطفا مع الأمريكيين
من أصل إفريقي، حيث كان يشعر بنفس شعورهم بأحقيتهم بالانضمام
والاندماج مع الشعب الأمريكي، والاعتراف بهم ضمن مواطنيهم
الأصليين، وحاول أن يدمج كلا من السكان السود الأمريكيين من أصل
أفريقي مع البيض الأصليين في الكنائس والمطاعم وشركات الهاتف
والشرطة والمستشفيات، ووضع صلبانا معقوفة على منازل الأمريكيين
من أصل أفريقي كنوع من الضغط والمطالبة بالمساواة، وبدأ في طمأنة
السكان البيض الأصليين الذين رفضوا هذا الاندماج، وإزالة التمييز
العنصري، وقد تزوج جونز من مارسيلين بولدوين، وقاما بتبني ثلاثة

والى من كوريا الجنوبية بعد أن دمرت الحرب العالمية كوريا، والأبناء
مرلو ويوزان وستيفاني، وكان جونز يعتنق الفكر الشيوعي وأصبح عضوا
في الحزب الشيوعي الأمريكي سنة ألف وتسعمائة وواحد وخمسين،
وكان ينزعج جدا من النبذ العلني للمجتمع الأمريكي للفكر الشيوعي،
وانضم إلى الكنيسة الميثودية سنة ألف وتسعمائة واثنين وخمسين، ولكنه
تركها فيما بعد عندما منع إدماج المصلين السود في تجمعات الكنيسة،
وقد أسس جونز معبد الشعوب في نفس السنة وهو كان يتزعم طائفة دينية
جديدة ذات عناصر مسيحية واشتراكية وصل عددها إلى ثلاثة ملايين من
الأشخاص، وكانت هذه الطائفة تضم كل الأعراق والألوان، وادعى جونز
أنه المسيح ودعا أتباعه فيما بعد بالهجرة من إنديانا بالولايات المتحدة
إلى غيانا في أمريكا اللاتينية وتأسيس كيان منفصل هناك، وأصبحت جونز
تاون مقرا لهم، وتكون أعضاء معبد الشعوب من مجموعة دولية كانت
في الشمال الغربي لغيانا بواسطة طائفة جونز الدينية، وكان يهدف هذا
المعبد إلى تحقيق حلم مجتمع تسوده المحبة والتعاون والإخاء وتزول
فيه الطبقات، ولكن انتشار الفضائح داخل ممارسات معبد الشعوب أدى
إلى تكوين صورة سيئة عنهم مما اضطرهم إلى التنقل إلى أكثر من مكان،
وفي يوم الثامن عشر من نوفمبر لسنة ألف وتسعمائة وثمانية وسبعين جمع
جيم جونز الزعيم الديني أتباعه في قرية جونز داخل معبده في أمريكا
الجنوبية تحديدا في غيانا وأقنع حلفاءه أن يشربوا مادة السيانيد السامة
الممزوجة بعصير العنب مدعيا أن ذلك انتحار ثوري على أعراف ومفاسد
المجتمع، وعلى النظرة التي كان ينظر بها الشعب الأمريكي تجاههم



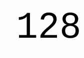
وقامت القيادات الخاصة بطائفة جونز بحقن الأطفال الصغار بمادة
السيانيد، بخلاف باقي الطائفة الذين تجرعوا المادة السامة المخلوطة
بعصير العنب، وراح ضحية هذا الانتحار كل من كان في التجمع الكبير
الذي دعا إليه الزعيم جونز وكل من كان في المدينة في ذلك الوقت، حيث
وصل عدد القتلي جراء الانتحار الجماعي تسعمائة وثلاثة عشر شخصا
من بينهم حوالي مائتي طفل، وقد ترك جونز تسجيلا صوتيا قبل هذا
الانتحار الثوري، ومن بين الذين قتلوا في هذا الانتحار ليو رايان وكان
أحد أعضاء الكونجرس الأمريكي، وهو الوحيد حتى الآن الذي قتل أثناء
تأدية خدمته كعضو بالكونجرس بالإضافة إلى ذلك كان جونز قد أعطى
أوامره إلى قوات الجماعة بقتل أربعة أعضاء سابقين بالكونجرس، وتم
قتلهم بجورج تاون، وقام جونز بعد أن خطب بطائفته الدينية بإخراج
مسدس من جيبه وصوبه تجاه رأسه، حيث قتل نفسه برصاصة اخترقت
رأسه في هذا التجمع للانتحار الثوري، وقد ذكر التاريخ هذه الحادثة على
أنها أكبر حادثة انتحار جماعي في التاريخ الحديث...

وظهرت الكآبة على وجه فؤاد هذه المرة وهو يقابل خسراف في
الصحراء الذي كان مبتسما كعادته بعد كل كارثة دموية تتم على يد فؤاد
وقال له خسراف متعجبا:

- لماذا كل هذا الحزن الذي تبديه ملامح وجهك العابس؟
دورك هذه المرة لم يكن كبيرا عليك أن تعلم ذلك فلقد
كافأتك هذه المرة بأنني قمت باستنساخ تجربة حقيقية
حدثت في الماضي على يد الزعيم جونز، الذي كنت أنا



أيضا من طرح عليه فكرة الانتحار الجماعي لطائفته، فقط جعلتك تعيش داخل أنسان آمن بي وضحى بنفسه في سبيل إرضائي يوما ما، لكن مهلا المكافآت لن تستمر عليك الآن تنفيذ:





الوصية الثامنة

- وهي أن تجعل من شاب ناج في حياته شخصا مجرما قاتلا، أفضل أن يكون هذا العالم في منتهى الفشل إذا كان هذا النجاح المزعوم يقترن بالضعفاء، ولا يجب أن أراك حزينا مرة أخرى، أسعد نفسك هذه المرة فلم يتبق سوى القليل...

وأغمض عينيه فؤاد ليجد نفسه في هذا المشهد الدكتور ادوارد فيكتور كبير الجراحين الإنجليز الذي هاجر لأمريكا صاحب الثلاثة وثلاثين عاما، عرف عنه أنه برغم نجاحه في مجال الطب إلى أنه فاشل اجتماعيا ويميل إلى الانطوائية ولم يكون أسرة أو علاقات ناجحة، وكان هذا له أسباب ألا وهي تأثره البالغ بانتحار أخيه روزفيلد منذ عشرين عاما والذي كان يعمل مصمما للأزياء، وأثناء جولة له لعرض بعض الموديلات الحديثة في أكبر بيوت الموضة في انجلترا التقى بالمصادفة في أحد عروض الأزياء بتايلور سيدور، الكاتبة الروائية وكان من أشد معجبيها وتطور هذا الاعجاب أثناء لقاءاتهما التي تعددت، إلى حب من جانبه

وقرر الارتباط بها لكنه صدم بشكل مروع عندما رفضت الارتباط
وذلك بعد أن تبينت من أصدقائه إدمانه للخمر، وما كان من روزفيلد
الذي أصابه الاحباط واليأس سوى أنه صعد إلى أعلى الأبراج في
أحياء مانشستر، والذي كان يتكون من أربعة وعشرين طابقا،
برج غرينفل، وقفز من الأعلى في مشهد أبكى الكثير لما رأوا الحادث
وكان بالمصادفة يمر أسفل هذا البرج شخص وقام بتصوير الواقعة أثناء
انتحار روزفيلد وقام بنشرها على حسابه الشخصي على مواقع التواصل
الاجتماعي وهو الوحيد الذي قام برصد الواقعة، وكان هذا الفيديو
للجدل والسخرية ممن علقوا على طريقة الأنتحار ووصفهم لروزفيلد
بالدمية المجنونة\ن مما جعل إدوارد الأخ الأكبر لروزفيلد يستشيط
من هؤلاء الذئاب الذين ينهشون في جثة أخيه، وهاجر إدوارد إلى أمريكا
وأصبح أكبر الجراحين هناك لكنه لم ينس صاحب الفيديو المسيء لأخيه
وظل يتابعه عن بعد، رغم مرور السنين وكان هذا الرجل الذي قام بتصوير
واقعة الانتحار هو توماسون الذي كان يبلغ من العمر ثلاثين عاما
هو الآن وللمصادفة العجيبة زوج الكاتبة تايلور صاحبة الثلاثة وأربعين
عاما، والتي كان رفضها لطلب روزفيلد للزواج منها أشد الأثر
قرارا بالانتحار، ولهما أبن يدعى ديفيد لديه من العمر واحد وعشرون
عاما يعيش مع والديه في مدينة مانشستر، ويدرس بكلية الهندسة بجامعة
مانشستر وهو متفوق في دراسته بشكل لافت للنظر، وذو أخلاق رفيعة
المستوى ينظر الجميع إليه بنظرة احترام وتقدير، ومنذ عدة سنوات أصاب
الأم تايلور مرض نادر جعلها مقعدة لا تتحرك، فقد أصاب أعصاب

القدم بالشلل التام وعرضت على كثير من الأطباء ولكن دون ظهور أي تحسن يذكر، وقام توماسون بالتواصل مع الجراح الكبير إدوارد لكي يأتي من أمريكا إلى إنجلترا ليعالج حالة زوجته، ولبى توماسون طلبه وأبدى موافقته بالرغم من مرور كل هذه السنوات إلا أنه لازال يبغضه بسبب ذلك الفيديو المسيء في حق أخيه، وأتى إدوارد إلى مانشستر، وبدأ يتابع حالة تايلور، وأرشدهم بضرورة عمل بعض الفحوصات لها، وأثناء خروجه من المنزل وجد مكتبة كبيرة أثارت انتباهه فظل يتأملها، فكانت تمتلئ بروايات للكاتبة تايلور، بالإضافة للعديد من الأدباء العالميين، ووقع نظره على رواية لتايلور بعنوان: قطار لم يصل بعد، وكان أخيوه روزفيلد يحب هذه الرواية ويقتنيها، فاستأذن توماسون بأن يأخذ هذه الرواية، ورحب توماسون بالأمر قائلا:

- ستسعد زوجتي عندما تعلم أن طبيبها أصبح أحد قرائها...

وانصرف بعدها إدوارد، وعندما وصل إلى منزله قام بتصفح الرواية فوجد بداخلها شيئا التمعت عيناه معه بالدموع، وانتابته رجفة سرت في أركان جسده، وكان بداخل الرواية صورة لأخيه روزفيلد مكتوب في ظهرها، لن أبقى على قيد الحياة لحظة واحدة إذا رفضتي بأن تكوني لي، وقام بالتوقيع بالأسفل بجانب كتابة اسمها تايلور... اشتد الغضب في نظراته المصاحبة للدموع قائلا:

- الآن فقط قد فهمت كيف حدث هذا، من أجل هذه الحقيرة قام أخي بالانتحار، وهذا الخنزير زوجها من قام بتصوير الحادثة ليسخر الجميع من أخي، جن جنون إدوارد وحطم

كل شيء، كان على طاولة يرقد أمامها يفكر في هدوء قبل
أن يفور كالبركان ويقذف بالحمم خارجه وظل يردد حانقا
- ماضيك ينتظر على عتبة مستقبلك، فمهما كان ذلك الماضي
السحيق مات ودفن وتحلل، ستطاردك حتما رائحته وتفوح
وتزكم أنفك.

وذهب إلى منزل توماسون في اليوم التالي ليري الفحوصات التي
طلبها من تايلور، وعندما رآها عقد حاجبيه متحدثا بلهجة يملؤها الخوف
أتقن اصطناعها:

- يا إلهي الأمر أصبح خطيرا لابد من أجراء جراحة عاجلة
لتايلور، وكان توماسون يحب زوجته جدا، وازداد خوفه
بشدة من تلك الجراحة لكن وافق عليها مع أصرار ادوارد
الذي أكد له بعدم وجود حلول أخرى وفي اليوم الذي حدده
ادوارد لإجراء الجراحة، كان يجلس بجوار طبيب التخدير
الذي سيقوم بتخدير تايلور وتجهيزها لإجراء الجراحة بعد
أن قام بتحضير الحقنة المخدرة خارج غرفة العمليات، سعل
هنا ادوارد بشدة وطلب من طبيب التخدير كوبا من الماء
لأنه يشعر بدوار شديد وعدم القدرة على التنفس وخرج
طبيب التخدير مسرعا وفي هذه اللحظات قام ادوارد
بتبديل المادة المخدرة التي كانت بالحقنة بمادة البوتولينوم
شديدة السُّمِّيَّة، حيث أن ملعقة صغيرة من هذه المادة كفيلة
لقتل مليار ومائتي مليون نسمة، وهي لها آثار تظهر على من

يتعاطى جرعة منها، عبارة عن تغبيش بالرؤية وثقل باللسان وضعف العضلات، الأمر الذي ينتهي بالموت فكان ادوارد لا يفكر لحظة سوى في الانتقام لأخيه، وعاد طبيب التخدير بكوب الماء إلى ادوارد وشكره على ذلك، وقام بعدها طبيب التخدير متجها إلى تايلور، وقام بحقنها بالمادة السامة دون علمه بذلك، ومع بداية إجراء الجراحة كانت توفيت تايلور من جراء السم، فاسودت الرؤية وأصبحت قاتمة في عيون توماسون التي انهمرت بالدموع وحزن حزنا شديدا أفقده الوعي لساعات طويلة، وبعد أن استفاق طلب من الطبيب ادوارد طلبت غريبا قائلا:

- إنني عشت حياتي فقط كونها كانت بجانبي، أما الآن فلا أرى سببا لبقائي...

وأتبع ومازالت الدموع تسبح بين جفونه:

- الآن قد كتبت نهايتنا، أريد أن تعلم هي ذلك والعالم بأسره أنني لن أمكث حيا بدونها، فقط أريد منك بتصوير مشهد إخلاصي لها عندما سأقفز من أعلى برج ستوريج السكني اليوم في العاشرة مساء، وترسل هذا الفيلم التصويري لجميع محطات التليفزيون وتضع نسخة منه فوق مدفن تايلور..

وبالفعل تم كل شيء حيث قام توماسون بالانتحار من أعلى برج ستوريج، وقام ادوارد بتصوير ذلك المشهد ولكنه لم يرسل هذا الفيديو إلى محطات التليفزيون، ولم يرسل نسخة منه لمدفن تايلور، فقط قام

بنشر هذا الفيديو على حسابه الشخصي بأحد مواقع التواصل الاجتماعي
وبدأت التعليقات الساخرة على المنتحر تطل على مسامع ادوارد من
جديد، وكأنه يرى نفس المشهد القديم عندما رأى فيديو لأخيه وهو
يقوم بالانتحار والجميع يسخر منه، والذي كان قام بنشره توماسون بنفسه
الذي يتجرع ابنه ديفيد من نفس كأس أبيه، فبعد عدة أيام نشرت إحدى
الصحف الكبرى في انجلترا وهي صحيفة صن صورة لديفيد الذي ذهب
إلى أحد الأشخاص الذين قاموا بالتعليق بسخرية شديدة على فيديو انتحار
أبيه بعد أن تواصل معه وقام بطعنه بسكين في صدره عدة طعنات، ليتحول
بعدها لمجرم قاتل ويتم إيداعه بالسجن ليقضي عقوبة السجن المؤبد.

وجد نفسه فؤاد مجددا أمام خسراف في الصحراء التي كان يمقتها
ويمقت أيضا هذا الغراب الذي لن يستطيع الخلاص منه، ونظر إليه
خسراف بفرحة تملأ عينيه هذه المرة عندما شاهد لمحة الثقة والنصر
في عيون فؤاد، مُبديا إعجابه بالكيفية التي استخدم بها مكره في تنفيذ
مخططه الشيطاني، وقام بتحفيزه مذكرا إياه بأنه لم يتبق سوى القليل من
الوصايا ويقترب بشدة من النهاية، وعليه أن يستمر في العدو نحو الهدف،
وأتبع قائلا:

«أنظر إلى النقطة الحمراء التالية في المخطوطة فهي»



الوصية التاسعة

وهي مهمة لطيفة روعتها تكمن في كيفية تنفيذها، عليك أن تفقد أيضا لقواه العقلية وأن يودع داخل مصحة نفسية، وبعد أن أغلق عينيه فإذا وجد نفسه الآن الصحفي وليامز فورلان، يعمل بجريدة نيويورك تايمز الأمريكية في باب شكاوى القراء، وكان يأتيه يوميا العديد من البريد الخاص بقراء الجريدة، حيث كان هذا الباب يختص بحلول مشكلات القراء الحياتية، وبعد دراسة تلك المشكلات يقوم وليامز بمعاودة إرسال بريد إلكتروني للقارئ بالحل الأمثل لمشكلته من وجهة نظره الشخصية، وذات يوم جاءته رسالة من سيدة تدعى مانيلا ڤاري، في الخمسين من عمرها تقول فيها أن زوجها ميشيل باتريك البالغ من العمر سبعة وخمسين عاما وهو مقعد يجلس على كرسي متحرك، لأنه يعاني من مرض الشلل يحب أخاه الأصغر ڤيرون باتريك، صاحب الخمسة وثلاثين عاما كثيرا جدا، وذلك لأنه ذات يوم من عدة سنوات ماضية حدث بالمنزل شرارة

كهربائية أدت إلى اشتعال المنزل، وكان ڤيرون هو الشخص الوحيد الذي استطاع المغامرة والدخول وسط النيران المندلعة في كافة أرجاء المنزل وأنقذ ميشيل بصعوبة شديدة ومنذ ذلك الوقت وميشيل ينوي كتابة وصية بأن تؤول ثروته بالكامل إلى أخيه ڤيرون، وهذا يفقدني أنا كزوجة له وابني سيلادو صاحب الخمسة وعشرين عاما جميع حقوقنا في تلك الثروة، نحن لا نعلم كيف نتصرف، وأصبحنا لا نحب ميشيل فهو سيسبب لنا أزمات كبيرة جدا لا نعلم مداها بهذا القرار، وأرسل وليامز رسالة طمأنة للسيدة مانيلا صاحبة الشكوى قائلا فيها أنه يريد مقابلتها لبحث حل المشكلة لأنه يريد منها بعض المعلومات، وعندما التقيا في موعد كان محددا من قبل وليامز سلفا بمكتبه بالجريدة قال لها وهو يدور على كعبيه ناظرا إلى الأرض:

- كي تحل هذه المشكلة لابد من إزاحة ڤيرون من طريقنا وإني لدي مخطط يحتاج بعض المال لتنفيذه، فأومأت برأسها بالموافقة، فاقترب من أذنها وهمس فيهما قائلا:

- سأعمل على إنهاء مسيرة ڤيرون في هذه الحياة.

فاتسعت عيناها وبدا الشحوب يكسو وجهها من الخوف، فصمت قليلا وليامز وهو ينظر إليها دون أن ينبس ببنت شفة، قبل أن يتبع قائلا:

- أرى من ملامحك رفضا لاقتراحي، تودين ألا أستكمل حديثي؟

فنطقت مانيلا بصوت واهن:

- لا تبال بمشاعر الخوف التي تنتابني عند الحديث عن القتل، فلا يعني هذا رفضي لاقتراحك...

- فتبسم وليامز وأتبع:

- هناك أمر آخر يجب أن أخبرك به

فنظر إليها في صمت ينظر في عينيها المتلهفة لسماع ماذا يخبئ قبل أن يتبع:

- إذا أستمر ميشيل يتمتع بكامل قواه العقلية، هذا يعني أنه سيبقى حرا في التحكم في ثروته.

فقالت:

- وماذا نستطيع فعله حيال هذا الأمر؟

قال لها:

- شيء وحيد سيجعلك أنت وولدك أصحاب القرار في التحكم في الثروة، وهو أن يفقد ميشيل قواه العقلية ويوضع في مصحة أمراض نفسية...

تعجبت جدا مانيلا من حديث وليامز قائلة:

- أرى أنه من الصعب أن تؤثر على عقل إنسان سليم بالسلب.

فضحك ساخرا قائلا:

- لكني أستطيع أن أجعله يقتنع بنفسه ومن حوله أن عقله أصابه الخلل، هذا دوري لا عليك بالكيفية التي سأنفذ بها هدفي، الآن فقط أريد منك جميع المعلومات والتفاصيل الخاصة عن فيرون...

فقالت له بكلمات متقطعة:

- هو مهندس يعمل في أحد حقول البترول المكتشفة حديثا في ولاية متشيجن، يقضي الأسبوع بكامله هناك ويأتي يوما واحدا إلى هنا حيث نمكث بولاية تكساس ويقوم بزيارة لأخيه كل عشرة أيام، ويعود مرة أخرى بالقطار في المساء بعد الاطمئنان على صحته.

وطلب وليامز منها صورة حديثة لڤيرون فكانت هناك عدة صور صغيرة لأفراد العائلة في حقيبتها من بينها صورة لڤيرون فأعطتها له بالاضافة لوصفها عنه قائلة:

- يتمتع بنفس طولك تقريبا مائة وثمانون سنتيمترا، ويميل إلى النحافة.

وانتظر وليامز لليوم الذي سيأتي فيه ڤيرون لأخيه، وعلم من ماتيلدا أنه سيعود في قطار العاشرة مساء المتجه إلى ميتشجن. واستقل القطار ذاته وليامز ويرفقته جراح للتجميل، وكان يتكون القطار وهو مخصص للنوم من غرف صغيرة للركاب لمزيد من الراحة، واستدعى وليامز ڤيرون لغرفته قائلا له:

- أعلم كل شيء عنك، حيث أن أخيك ميشيل قد أرسل لي رسالة يقول فيها أنه ينوي كتابة كامل ثروته لك، فهو يدين لك بالفضل في بقائه على قيد الحياة.

فنظر ڤيرون إليه متعجبا قبل أن يقول:

- كيف عرفت بتلك المعلومات ومن تكون؟

--

فابتسم ولیامز وقدم له كوبا من الشاي الساخن وقال:

ـ أعرفك بنفسي وليامز فورلان، المحامي الخاص الجديد لأخيك ميشيل، وقام بتفويضي بإتمام هذا الأمر.

ومع الرشفة الثانية من كوب الشاي الذي كان وضع به وليامز مخدرا قوي التأثير سقط ڤيرون أرضا، وهنا قام وليامز باستدعاء جراح التجميل الذي كان حجز له غرفة مجاورة له في القطار، ويدعى ميركو وهو صديق شخصي لوليامز، وعندما أتى للغرفة وحسب اتفاق مسبق بينهما، قام ميركو بنزع جلد وجه ڤيرون بالكامل وإعادة تركيبه لوليامز حيث يبدو وكأنه ڤيرون، وبعد أن قام بنزع وجه ڤيرون الذي لم يشعر بشيء نتيجة للمخدر القوي، قام ويلیامز بالتخلص من جسد ڤيرون بإلقائه من نافذة الغرفة أثناء سير القطار ليسقط قتيلا، ثم قام ميركو بتخدير وليامز وتركيب وجه ڤيرون له والذي استمر في تلك المحاولة لعدة ساعات زمن مدة رحلة القطار ونجح في النهاية ببراعة وإتقان، وفي اليوم التالي اكتشفت احدى دوريات التفتيش جثة ڤيرون بالقرب من أحد قضبان القطارات، فبالرغم من نزع وجه الضحية وتشويهها كي لا يعلم أحد بالأمر، إلا أنه تم التعرف عليه من خلال بطاقة تعريف الهوية التي كان يحملها وبطاقة تصريح دخول العمل الخاص به، كل شيء أثبت أن هذه الجثة لشخص ڤيرون، وبعد أن علم ميشيل بموت أخيه حزن حزنا شديدا وأصبح مكتئبا لا يتحدث مع أحد وأضرب عن الطعام، وبعد مرور أسبوع على واقعة وفاة ڤيرون قام وليامز بالاتصال بمانيلا لتنفيذ باقي مخططه، فذهب ليلا إلى منزل ميشيل، بعد أن التقى بمانيلا، وأخذ منها نسخة لمفاتيح المنزل، وصعد للطابق الثاني

وقام بتحريك مقبض الباب ودلف إلى غرفة ميشيل وسار في تؤدة
اقترب قليلا من سرير ميشيل، وأخذ يهمس ويناديه حتى استفاق
من نومه ورأى ڤيرون أمامه وسط الضوء الخافت، فأطلق صرخة
فخرج بعدها وليامز من الشرفة التي كان وضع أسفلها سلما كبيرا
لأعلى وهرول إلى غرفته، ولكن بعد بضع دقائق من صراخه المستمر
من مانيلا زوجته وابنه سيلادو، ليحدثهما أنه رأى أخاه ڤيرون وتسلل
الغرفة وهو يناديني قبل أن ينصرف من الشرفة، فنظر كلاهما للرجل
ذهول بلهاء، فلم يتقنوا الاصطناع بعد، وقالت مانيلا:

- يبدو أنك مازلت مصدوما من فاجعة موت أخيك، وحالتك
تزداد سوءا وتحتاج مزيدا من الراحة، لا تفكر في الأمر
وحسب، سيكون كل شيء على ما يرام وانصرفت الأم والابن
من الغرفة، وكان ما شجع مانيلا على استكمال مخطط
وليامز هو أن ميشيل قرر بعد موت أخيه ڤيرون أن يضع كل
ثروته في مجمع طبي خيري باسم أخيه ڤيرون، وهو ما يعني
أن موت ڤيرون ليس كافيا للحفاظ على ثرواتهم المهددة
بالضياع على يد هذا الرجل المأفون، وليس أمامها سوى
استكمال مخطط وليامز الذي وضعه للفتك بعقل ميشيل
وإثبات ذلك، وجاء اليوم التالي في المساء أيضا وكانت ليلة
ممطرة ويعم السكون أرجاء المنزل وغط الجميع في النوم

وضع وليامز السلم الكبير الذي استخدمه في السابق وصعد إلى أعلاه حيث وصل إلى غرفة ميشيل لكنه بقي واقفا في الخارج، يظهر فقط من النافذة ممسكا بشمعة أشعلها عندما توقف المطر، وظل ينادي ميشيل في همس وسط ابتسامة كبيرة علت وجهه حتى استفاق ميشيل ليجد ڤيرون أمامه يطل من النافذة ممسكا بشمعة صغيرة، فسعل بشدة من الخوف وتحشرج صوته الذي حاول أن ينطلق صراخه من خلاله حتى استطاعت صرخة أن تعبر حاجز الرعب الذي استوطن فيه، فهبط وليامز مسرعا إلى أسفل وأخفى السلم فدلف كل من مانيلا وسيلادو إلى غرفة ميشيل ليروي لهم وهو يرتجف من الخوف وأصبعه يشير للنافذة قائلا:

- كان هنا ممسكا بشمعة.

فأطلت مانيلا برأسها خارج النافذة قائلة له في سخرية:

- يبدو أن ڤيرون أصبح لديه جناحان يستخدمهما وقت الحاجة.

وبدأ يتناول ميشيل الحبوب المهدئة، وفي اليوم التالي في المساء ذهب ميشيل على كرسيه المتحرك إلى دورة المياه التي تجاور غرفته، وعاد بعد دقائق فوجد ڤيرون ينام في مضجعه، وكان وليامز تسلل من باب المنزل وصعد لأعلى ودلف لغرفته وأختبأ بها، وعندما خرج ميشيل أمام مكانه فاطلق ميشيل صرخة مكتومة من الرهبة تكاد لا تتعدى حدود شفتيه، لكنه حاول جاهدا أن يكرر الأمر حتى نجح وأتت إليه مانيلا ولم يأت سيلادو الذي أعتاد هذه الهلاوس من أبيه فأكمل نومه، وهنا سألته مانيلا:

ـ ماذا جرى

فقال لها في فزع شديد:

ـ أنظري إنه ڤيرون ينام في سريري كيف لا ترينه؟؟؟

فقالت مانيلا وهي تربت على كتفيه:

ـ لا يوجد أحد يا عزيزي...

بنبرة حزينة متبعة:

ـ لابد من عرضك على الأطباء.

وفي هذه الأثناء قام وليامز من مكانه مترجلا في بطء واقترب من ميشيل وهو ينظر له وأطلق ضحكة ساخرة، وخرج من الغرفة وتعمدت مانيلا بعدم تحريك رمش لها تجاهه وميشيل يشير إلى باب الغرفة وهو يقول:

ـ لقد خرج أمامك الآن.

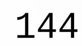
فقالت مانيلا في تعجب شديد:

ـ لا يوجد أحد أمامي أو خلفي.

فقد برعت في تنفيذ دورها هذه المرة وحدث إغماء لميشيل وهاتفت مانيلا دارا للصحة النفسية لتخبرهم أن زوجها يعاني من مرض نفسي منذ وفاة أخيه وعندما أتى فريق من الأطباء لمنزل ميشيل، روت لهم مانيلا ما حدث وأطلعت الطبيب بكامل قصة وفاة أخيه، وسمع الأطباء من ميشيل بعد استفاقته من إغماءه الذي استمر وقتا طويلا قارب العشر ساعات أنه يرى أخاه في أوقات كثيرة، وأحيانا ينام مكانه ويناديه، وأن

هذا لم يكن حلما أو شبحا بل أخاه بالفعل، وقرر الأطباء اصطحاب ديفيد إلى المصحة النفسية، ورفعت زوجته مانيلا بعد ذلك دعوى قضائية بأحقيتها في التصرف في أموال زوجها، كونه مريضا نفسيا ولديه قصور في وظائف العقل بشهادة تقرير الأطباء، لتفوز في النهاية بما أرادت وتنجح وليامز في مخططه باقتدار.

وجد فؤاد نفسه يقف في الصحراء ذات الرائحة الكريهة، رائحة الموت والبطش بالأبرياء، رائحة خسراف الذي أعلن له أنه لم يصبح بشرا فهو لا يختلف عن معشر الجان سوى في الشكل الظاهري، لكنه يكمن بداخله شيطان وهنا أشار إليه خسراف على النقطة الحمراء العاشرة من بين وصاياه التي جعلت فؤاد كأحد المَرَدة الذي يسعى فسادا وتدميرا في الأرض، وقابله خسراف بابتسامته الخبيثة التي لم تفارق وجهه طالبا منه التنفيذ:



الوصية العاشرة

وهي أن يُفقد طفلا بريئا ثقته في نفسه ويجعله طوعا لإشارة من أصبعه، ويسلك طريق الشر رغما عنه، ها هنا وجد فؤاد نفسه مازن طبيبا نفسيا يقوم بجلسة استماع علاجية على طفل صغير، وما إن انتهى الطبيب مازن طبيب العائلة من الكشف على ريڤان الطفل الوسيم ذو الثلاثة عشر عاما، حتي أبدى أسفه لما وصل إليه من حال طالبا من والديه اصطحابه لأحد المنتجعات السياحية بالإسكندرية ليقضي وقتا ممتعا يستعيد به هدوءه... وكان التشخيص المبدئي لحالته إحدى حالات الوسواس القهري المتقدمة، فإن لم تحْظَ بعناية فائقة سيحدث مالا يحمد عقباه، وقام الطبيب بإبراز مفاتيح كانت في جيب سرواله قائلا لوالد ريڤان:

- هذه هدية بسيطة لأجلكم، الشاليه الخاص بأسرتي بالإسكندرية تحت تصرفكم، لكم مطلق الحرية في المكوث والاستمتاع هناك.

شكر الأب الطبيب على ذلك الموقف النبيل... وفي صباح اليو
التالي سافرت الأسرة إلى هناك، وما إن وصل ريڤان وأسرته المكونة من
الأب والأم والأخت الصغرى كارمن إلى الشاليه الخاص بالطبيب، مكث
ريڤان في غرفة خاصة كأنما أعدت خصيصا له... وجد بها جهاز كمبيو
وبعض ألعاب الفيديو وتلفازا صغيرا..قضي ريڤان يومه في مشاهد
الأفلام الأجنبية على الحاسوب، حتى أتى الليل وحل عليه التعب وشعر
بالاحتياج للنوم والراحة، وما إن أطفئت الأنوار وجد صورة كانت معلق
على الحائط لطفل صغير..بدأت تومض إضاءات خفيفة وشاهد كما لو
كان حلما بديعا لحدائق بها أشجار وارفة ويطل عليها منحدر لنهر جا
رائع الجمال. والطفل الصغير الذي كان في الصورة ترافقه فتاة صغير
ذات حسن بهيج تعانق يدا كل منهما الآخر، يلهوان سويا ويتراشقا
بالورود وسط ضحكات كل منهما في سعادة غامرة، وكانت الفتاة تمسك
بدمية عبارة عن دب أسود ذو شعر كثيف ـ وبدأت الإضاءة الخاصة
بالمشهد تنخفض تدريجيا حتى انزلق الدب من يد الفتاة وسقط في النهر
وهي تلهث محاولة اللحاق به لكنها لم تستطع وانجرفت قدماها من على
حافة النهر وسقطت هي الأخرى في مياه النهر، وما لبثت لحظات معدو
حتى اختفت عن أنظار الطفل لترحل عن عالمنا، وتترك نصفها الآخر
يتألم وتحرق قلبه الصغير الحسرة...

ثم يسمع ريڤان طرقات على الباب الخشبي لغرفته لينتبه لتوه وتزول
المشاهد التي لا يعلم إذا كانت حلما من أحلام اليقظة أم حقيقة...فأدار
والده مقبض الباب ودلف إلى الداخل وسأل ابنه:

- ريڤان كيف حاله الآن ؟

فرد ريڤان:

- إني بخير لا تقلق يا أبي سأكون أفضل بتقدم الوقت.

فبادرة الأب بسؤال آخر:

- هل لازلت تتذكر نوران؟

فانحدرت دمعة من أعين ريڤان قائلا:

- وكيف لي أن أنساها ؟ أتذكر كل لحظة عاصرتها مع ابنة عمي نوران وتحديدا المشهد الأخير لها أو قل المشهد اللعين، منذ ثلاثة سنوات عندما كنا نقضي العطلة الصيفية في مصيف العائلة المعتاد الذي تتجمع العائلة به في سعادة كبيرة، ولكن القدر كتب لنا قصة أخيرة أكثر قسوة وسوادا، حين كنا نلهو بالبحر تحت أشعة الشمس اللامعة وفي طرفة عين غابت عن أنظارنا وغابت عن قلوبنا الفرحة

وبكى ريڤان طالبا من والده أن يتركه لأنه يحتاج للراحة، وأمضى ليله حزينا يفكر برفيقته الفقيدة الصغيرة، ومع نهار اليوم الجديد بدأ ريڤان في مشاهدة الافلام الأجنبية التي اعتاد أن يهرب من أحزانه إليها، وقضى يومه كاملا حتى أتى المساء ورقد بمضجعه وأطفأ الأنوار، وجد ظلا خفيا ما يخرج من صورة الطفل المعلقة يقترب منه، وقلبه يكاد ينفجر رعبا واقترب أكثر فأكثر منه ذلك الظل الخفي الذي يبدو كرجل يرتدي ثيابا سوداء فضفاضة ويخفي وجهه بقلنسوة سوداء لكن يظهر منه عينان حمراوتان شديدتا القبح، حتى جثى هذا الظل على صدر ريڤان

يتحسس وجهه، وينظر له في هدوء ويزفر أنفاسا ساخنة في وجه الطفل الذي لم يستطع حتى إطلاق صيحة واحدة تحجرت في صدره من روع المشهد الذي أطاح بقلبه بعيدا، وجلب لجسده انتفاضة رهيبة تصبب معها العرق بغزارة، وفي صوت هامس بدأ الظل يطلق كلماته التي بدت كفحيح الثعابين:

- جئت إليك من العالم الآخر، أنت تحديدا من يستطيع تنفيذ مبتغاي... وكل أطراف ريفان أصابها شلل تام.

وأتبع ذلك الظل الأسود قائلا:

- كلفني صاحب تلك الصورة ذلك الطفل الوسيم قبل أن يسلم لي روحه بأن أجد من يكمل دوره في قصته السوداوية، الحلم الذي رأيته لذلك الطفل ومحبوبته الصغيرة هو ما حدث له بالفعل قبل أن ينتحر تاركآا لي إيجاد من يقوم بذلك الدوربكفاءة - وأنت من قمت باختياره فانت تشعر بنفس المرارة في فقد من تحب، وإليك ما سنقوم به، أسفل تلك الوسادة التي تلقي برأسك عليها، لكن عليك أن تعلم قبل أن أغادر لا تفكر في مراوغتي أو أن تعكر صفو الشكل النهائي للقصة، والتي أعددتها بنفسي حتى لا تفقد أغلى ما لديك، واختفى الظل وقام ريفان من نومه مفزوعا مهرولا ليقلب وسادته ويجد أسفلها أسطوانة قام بوضعها بمحرك الأقراص بجهاز الكمبيوتر ليشاهد فيلما قصيرا جدا لطفل يحمل سكينا كبيرا وأمامه فتاة صغيرة قام بتكبيلها بالحبال،

وشق صدرها من أسفل عنقها حتى أن وصل إلى أعضائها التناسلية، وقام بتفريغ أحشائها ووضع مكانها كمية كبيرة من القطن وقام بحياكتها بخيط من المعدن، قبل أن يضع مادة لاصقة على أطراف جسدها بالكامل قبل أن يضع الكثير من الشعر الأسود وقام بتفريغ عينيها من محجريها ووضع مكانهما عيونا بلاستيكية ورسم علي وجهها ملامح لدب أسود، وأصبحت بعد كل ذلك دمية في شكل دب تماما،وأخذها وقام بإلقائها في النهر، وجاء في آخر المقطع صوت ذلك الظل قائلا:

- لن أكون قاسيا عليك، لن أطلب منك الكثير واحدة فقط من هذه الدمى كل شهر، فقام ريڤان بنزع الأسطوانة من محرك الأقراص وقام بكسرها، في الصباح الباكر طلب ريڤان من والده أن يعود إلى منزله في القاهرة، فتحدث إليه والده:

- لماذا يا بني ؟ نحن لم نمكث هنا سوى ليلتين فلنستمتع ببعض الراحة.

فرد ريڤان غاضبا:

- لا تقل راحة أنا هنا في الجحيم...

فطلب منه والده أن يصبر عليه يوما آخر حتى يجهز لرحلة العودة، وفي اليوم التالي خرج الجميع إلى البحر مودعينه لآخر مرة قبل أن يغادروا، ريڤان الذي ظل متواجدا بالشاليه..وعاد الأب والأم قبيل الغروب..يبكيان بشدة ولم تكن بينهم كارمن، وعندما قام ريڤان بالسؤال عنها، تحدث إليه

والدة منتحبا:

- كانت بجوارنا تلهو وتلعب في المياه ولكنها اختفت
أعيننا للحظات، وبعد رحلة بحث لم تدم طويلا
جثتها تطفو على سطح المياه، ولكن ما أدهش الجميع
كانت مذبوحة العنق.

صعق ريڤان لما سمع من والده نبأ مقتل أخته الصغيرة، ونزلت
دموع ملتهبة وقلبه يعتصر حزنا، وأدرك أنه سبب مقتلها حينما
ذلك الظل اللعين بعدم تنفيذ أوامره، وأبتعد سريعا عن والديه قائلا لوالد

- لن نغادر يا أبي، أنا لا أستطيع السفر بعد الآن.

وملأت عينيه نظرة مرتعدة متحفزة للانتقام، وردد بصوت

- بارز عدوك حتى آخر رمق في ساحة النزال حتى وإن
مدججا بالأسلحة، فأعلم أن الأسلحة صنعت بالإرادة.

وفي المساء ظهر لريڤان الظل الأسود وهو يحدق به بغضب
قائلا:

- جعلتني أتبع أحد أساليبي المحببة التي كنت ابتعدت
منذ زمن بعيد، لكني حذرتك ومازالت أمامك الفرصة
تطيعني أو تخسر غاليا لك مجددا.

في اليوم التالي أتى أحد الجيران صاحب الشاليه المجاور لعائلة
ريڤان ليعزي والد ريڤان في مقتل ابنته كارمن، وكان يصطحب معه ابنته
الصغيرة عبير، وهنا طلب والد ريڤان ابنه أن يصطحبها معه لتأخذ
عبارة عن دمية من غرفة البنت القتيلة كارمن..لأنهما كانت تجمع بينهما

بوقفة قصيرة..فأعطاها ريڤان دمية صغيرة على شكل عروسة وقال لها وهو يهمس في أذنيها:

- سآتيك ليلا لأعطيك هدايا أخرى كثيرة فقط لا تغلقي نافذة غرفتك.

في اليوم التالي استقبل الجميع الصباح على صوت صريخ مدوٍّ، جاء الخبر الصادم أن ابنة الجار الصغيرة عبير لم يعد لها أثر، فقط بقايا قطع من أحشائها والدماء تخضب مضجعها وثيابها متناثرة بكل مكان بالغرفة وتغمرها الدماء، لم يعلم أحد كيف قتلت وأين ذهبت جثتها رغم البحث عنها في كل مكان..كان ريڤان طلب من والده أن يمكثا في المكان شهر آخر، فلازالت جوارحه تتألم من فقدان أخته كارمن فوافق الأب بكل ترحاب، بينما زارهم في تلك الأثناء الطبيب مازن فظل ينظر إلى ريڤان، وفي عينيه لمعة تظهر منها سعادة كبيرة وأثنى على حالته مطمئنا والده وطالبه بالاستمرار في العلاج، وبدا ريڤان سارحا متأملا ملامح الطبيب، حيث ظهر له الطيف الأسود اللعين في الأفق، لم يعلم لماذا أتى إلى ذهنه لكن كأنما هناك هاجس داخلي يربطه بالأحداث التي تدور حوله.. وهنا سأل ريڤان الطبيب عن صورة الطفل المعلقة:

- لمن تكون ؟

فأجابه قائلا:

- إنها لابني الصغير أدهم الذي مات منتحرا منذ ثماني سنوات حزنا على موت صديقته غادة التي غرقت في البحر..

في بداية الشهر الجديد كان ريڤان مطالبا بتقديم أضحية ...
ليحولها إلى دب يقوده إلى البحر كهدية وقربان لروح الطفلة ...
صاحب الصورة ابن الطبيب.. هذه المرة وجد ريڤان في الطفل ...
ابن صاحب محل الماركت المجاور للشاليه غايته، حيث أنه طفل ...
اللعب كثيرا مع ريڤان خصوصا في المرات القليلة التي وافق فيها ...
على مغادرة الشاليه.حيث كانا يلعبان الكرة الشاطئية..وفي هذه ...
عندما التقيا سويا على الشاطئ.طلب منه ريڤان أن يترك نافذة ...
التي كانت ملاصقة للماركت في الدور الأرضي مفتوحة حتى يستطيع
يأتي له ليلا ليعطيه هدية، لا يريد والده أن يعلم بها وهي طاقم ...
كامل حتى يجيد لعب الكرة الشاطئية معه، وفي اليوم التالي تكرر ...
الحادث الأليم بكاء وصراخ من أهل مروان ودماء وأشلاء وأحشاء ...
بقايا جسده في مضجعه، ولا يوجد أثر لجثته..هذه المرة تم القبض
على الطفل ريڤان بتهمة القيام بقتل الطفل مروان ومن قبله الطفلة ...
وذلك بعد القيام بتفريغ الكاميرات المحاطة بالمنتجع السياحي، ...
أن ريڤان هو آخر من اقترب من منازل الضحايا. وعند سؤاله اعترف
ريڤان بقيامه بجرائم القتل، ولكن أتى الطبيب مازن للمحققين بتقرير
يفيد بحالة ريڤان النفسية الخطرة، وأنه خارج السيطرة على عقله..وأن ما
بدر منه نتاج فقدان لصديقته نوران ابنة عمه فوضع ريڤان بمصحة نفسية
ليكون تحت الملاحظة....بعد أسبوع من إلقاء القبض على ريڤان عثر ...
صياد على دميتين لاثنين من الدببة، لكن بحجم كبير يصل كل منهما
إلى حجم طفل تعدي العاشرة من عمره.ولكن ما أثار حفيظته رائحتهما

لم يتحمل الهواء المنبعث منهما..وعلى الفور أبلغ الشرطة التي
الدمى بعناية فوجدت العلامة التجارية مطبوعة على كل دب،
بها جملة إلى صديقة ابني الحبيب أدهم، وبفحص الدميتين من
الطب الجنائي وجد فريق الباحثين هيكلا عظميا كاملا بداخل
وبعض الأحشاء ما تصدر عنها الروائح الكريهة، وبأخذ عينتين
الحامض النووي لوالدي الطفلين المختفيين، عبير ومروان تأكد لهما
تخصان جثث الضحيتين وبسؤال ريڤان القابع بالمصحة النفسية هل
علم عن طفل يدعى أدهم؟ قال إنه الطفل المنتحر أبن الطبيب مازن
الشاليه الذي تقطن به أسرته الفترة الحالية، وبالتوجه للطبيب
وتفتيش منزله وجد لديه العديد من الدببة التي تشبه الدمى التي عثر
عليها من قبل الصياد، وبعض المطبوعات مكتوب عليها:

" إلى صديقة ابني الحبيب أدهم"

بخلاف كثير من الأحشاء وبعض الأطراف البشرية المبتورة، وبسؤاله
لم يستطع الانكار، وأعترف أنه من دبر لكل شيء، عندما ظهر له شبح ابنه
يطالبه بتقديم قرابين بشرية في شكل هدايا لصديقته التي فقدت حياتها
بسبب دب، وأستطاع أن يصل لطفل يمر بنفس الظروف التي مرت على
ابنه ليتمكن من إرغامه على تنفيذ مطالبه.وأنه من قتل أخت ريڤان الطفلة
كارمن حتى يجبر أخاها على تنفيذ مخططه، حيث كان يتجسس عليه في
كل مكان وأخذ سكن مجاور للشاليه ليتتبعه. وهو من كان يظهر له ليلا
في شكل ظل خفي ليرهبه ويجعله ينفذ أوامره مستعينا بمفتاح آخر بديل
الشاليه كان يحتفظ به، حتى الصورة المعلقة لأدهم في غرفة ريڤان كانت

شاشة الكترونية مسجل بها فيلم قصير مرعب ليعتقد ريڤان أنه حلم جاثم
على صدره..وهو من دبر وقتل الطفلين عبير ومروان، وصنع من جثتيهما
دبين وألقاهم في البحر، وعندما تم سؤاله كيف اعترف ريڤان على نفسه
بالقيام بجرائم قتل لم يرتكبها؟

أجاب الطبيب:

ـ كان لا يستطيع سوى فعل ذلك فكان يخاف أن أقتل أحد
أبويه بعد أن قمت بقتل أخته كارمن، هو فقط كان يرى
القتلى ولكن كان يفاجئ بأنهم قد قتلوا بالفعل...وأخيرا
طلب الطبيب من هيئة المحكمة أثناء محاكمته ألا تطيل
سجنه فإنه لا يريد البقاء بعيدا عن ابنه، فهو كان يتواصل
مع روحه بتقديم القرابين لها لعله يعود يوما ما ليلقي الدببة
في البحر...

هنا وجد فؤاد نفسه في الصحراء يقف مجددا أمام مجمع الحضارة
الذي تجمع في هذا الكائن المسمى بخسراف الذي كان يرفرف بشكل
دائري بجناحيه سعيدا بأحراز فؤاد تقدما كبيرا في مشوارهما الذي قطعاه
سويا حيث لم يبق إلا القليل:

ـ الآن أنظر إلي وصيتك الحادية عشرة؟

الوصية الحادية عشرة

وهي أن تجعل من مذنب حرا طليقا، فلما لا من حقك أن تذنب أليس البشر ناقصين فلما نطلب منهم الكمال ؟..وجد فؤاد نفسه هذه المرة الكيميائي سامي شريف الذي أدلى بأقواله في حادثة اغتصاب وقتل ابنته صفية وهو ينتحب بشدة ومرارة كبيرة تكسو نظرات عينيه لدى الضابط عزت مهران الذي تولى التحقيق في تلك القضية، من سوء حظه ليتكرر نفس المشهد الذي شعر به الضابط سابقا حين اختطف أحد القتلة المحترفين ابنته مريم وقام باغتصابها ليحرق قلبه ويدمر حياته حزنا عليها، هذا لكي يثأر المجرم من الضابط الذي استطاع القبض عليه متهما بعدة جرائم للقتل وحكم عليه بالإعدام قبل أن يخفف الحكم للمؤبد ذلك لكونه مختلا عقليا، لكنه أستطاع الهرب بعد قضائه سبع سنوات باحثا عن الانتقام من الضابط عزت، وكان له ما أراد واستطاع الفرار بعد الحادثة ولم يستطع الضابط العثور عليه رغم مرور خمس سنوات، وها هو سامي الذي فقد صفية ابنة العشرين عاما قائلا وهو لا

يتوقف عن النحيب والبكاء:

ـ لم تؤذ أحدا يوما ما، كانت صفية كل شيء أعيش لأجله في تلك الحياة بعد موت والدتها متأثرة بمرض النخاع الشوكي اللعين..ليس لي من بعدها شيء كي أعيش وأنعم بتلك الحياة..

سأله الضابط عزت:

ـ هل تتهم أحدا باغتصاب وقتل ابنتك؟

صمت سامي لبرهة من الزمن ثم قال:

ـ لا.

فأتبع الضابط:

ـ لكن مسرح الجريمة يؤكد لنا أن هناك جريمة مكتملة الأركان، سطح العمارة المكونة من ستة طوابق، وهناك فتاة مذبوحة العنق وبحسب تقرير الطبيب الشرعي وضح أنها اغتصبت قبيل ذبحها بدقائق، مكبلة الأيدي والأقدام لبعض الوقت، حيث يتبين أنها استطاعت تحرير وثاقها، أو يكون المجرم من فعل ذلك لمساومتها، وضح ذلك من الآثار الموجودة على رسغها وقدميها، وكانت مكمَّمَة الفم بشريط لاصق، وكانت هناك جثة أخرى لشاب يدعى مجدي والذي كان يعاني من أمراض نفسية معقدة ويتردد باستمرار على المصحة النفسية لتلقي العلاجات اللازمة لمرض الصرع، وهو ابن الحاج عمران صاحب محل البقالة بأسفل

العمارة، وكان مجدي شابا منطويا دائما، ولا يتعامل مع الزبائن أو العامة ونادر الخروج من البيت لمعاناته الشديدة مع المرض، وصعوبة النطق التي تلازمه لكن هذه المرة لم تكن جثته بجوار صفية أو ذبح مثلها، إنما قد قذف من أعلى السطح إلى المربع الخرساني الخاص بالمصعد الكهربائي ليسقط من أعلى لقاع المصعد جثة هامدة بها خدوش في الوجه واليدين وممزق الملابس، وهو ما يؤكد أنه تمكن من اغتصاب مريم التي حاولت منعه كثيرا، قبل أن يطعنها بسكين غائر في العنق قبل أن تدفعه هي الأخرى ليسقط مقتولا، تنهد سامي قبل أن يرد على تفسير الضابط:

- ربما هذا التفسير منطقي، لكن قلبي ينكر أن يكون مجدي ذلك الشاب الطيب المريض فعل هذا...

فأومأ الضابط برأسه نافيا أن تكون تحقيقات الشرطة تلقي بظنونها الحدث القلبي وتترك براهين قوية ودلائل خصوصا بعد أخذ عينة من الحامض النووي لمجدي، تبين من خلالها وجود علاقة جنسية لهما مع القتيلة، فعاد سامي للنحيب بقوة، فرتب الضابط على كتفه قائلا:

- لا تنزعج عندما تتعثر قدماك بحجر في طريقك، فعليك بجمع تلك الحجارة لتبني بها جسرا يصل بك لقلعة النجاح.

وكان الضابط عزَّت قام بأخذ أقوال كل من يقطن بالعمارة التي كان يشغل سكناتها ثلاثة عائلات فقط حيث أن العمارة حديثة البناء ولم يتم تسكينها بالكامل بعد، أحد الشقق لرجل عجوز قعيد أرمل وله



ابن وحيد يدعى هيثم لديه ثلاثون عاما، يعمل في شركة ملابس والشقة
الأخرى لأخوين أحدهما يدعى هادي، لديه اثنان وثلاثون عاما، والآخر
يدعى رامي لديه ثلاثون عاما، يقطنان هذه الشقة منذ عامان حيث أنهما
يتركان عائلتهم في الاسكندرية ليعملا في القاهرة في مجال الرخام
وتربط الأخوين علاقة صداقة قوية مع هيثم، والشقة الثالثة بالطبع كانت
للكيميائي سامي وابنته صفية، أدلي الجميع بأقواله لدى الضابط عزت
في حضور والد القتيلة، والحاج عمران صاحب محل البقالة والد مجدي
الذي لم يكن ينطق بشيء حزنا على ابنه وربما لثقته في الظلم الواقع عليه
وأبرز الأخوين هادي ورامي ومعهما صديقهما هيثم ثلاث تذاكر لقطار
الاسكندرية رقم مائتان وسبعة عشر المتجه من القاهرة يوم الحادث
وقبيل وقت وقوع الحادث بثلاث ساعات وهو ما يعني عدم تواجدهم
في تلك الأثناء بالقاهرة، وأضاف الأخوان أنها قاما بدعوة صديقهم هيثم
لقضاء يوم معهم في الاسكندرية مسقط رأسهم، وبعد أسابيع قليلة من
الحادث وبعد استيفاء كافة إجراءات البحث والمتابعة للقضية تم غلق
القضية من جانب الضابط عزت مهران بنسب جريمة الاغتصاب والقتل
لمجدي، ذلك المريض النفسي الذي لاقى حتفه بالسقوط من أعلى
على صندوق المصعد الكهربائي، إثر دفعه من قبل المجني عليها صفية.
وزادت الشكوك والتساؤلات في قلب سامي يوما تلو الآخر أين ذهبت
السكين التي قتل بها مجدي ابنته صفية؟ من أين أتت تلك العلامات
حول معصم مجدي المماثلة لآثار توثيق الحبال؟ أليس هو الجاني
إذن من قام بتكبيل يده؟ وذهب سامي في زيارة لوالد مجدي الحاج

عمران فوجد الرجل بائسا حزينا لكنه بالرغم من ذلك قام بالترحيب بسامي بشكل جيد، وسأله سامي عن التقارير الخاصة بمرض ابنه مجدي، وبعد الاطلاع عليها وجد أنه يعاني من عدة أمراض نفسية منها الاكتئاب الحاد، وفي حالات الاكتئاب الحاد يعاني المريض من ضعف كبير في الرغبة الجنسية، ونقص شديدا في الحاجة للجنس، هذا فضلا عن الأدوية التي تساعد أيضا عى زيادة نقص الرغبة الجنسية مثل مضادات الاكتئاب وسأل هنا سامي الحاج عمران:

- بعيدا عن حالة ابنك النفسية هل فكرت سابقا في إتمام زواجه؟

فنظر إليه الحاج في حزن شديد ولمعت في عينيه دمعة مترحمة على الفقيد قائلا:

- ابني كان يعاني عجزا جنسيا تفاقم مع جرعات العلاج النفسي، وكان من الصعب التفكير في ذلك.

صدم سامي بشدة من اعترافات الحاج عمران وربت على كتفه وهم بالانصراف مودعا إياه، حيث حل المساء ولابد له أن يتحصل على بعض الراحة والنوم.

في صباح اليوم التالي ظل سامي يتأمل شكل الجرائد اليومية التي تراكمت أمامه على المنضدة القريبة من النافذة والتي تصل بالبريد إلى شقة سامي، تلك الصحف التي كان يواظب على قراءتها يوميا مع فنجان من القهوة تعده له صفية خصيصا، فمنذ ذلك اليوم المشؤوم لم يقرأ جريدة واحدة أو يحتسي فنجانا من القهوة، وضرب عقله الفضول كيف

تناولت الصحف حادث مقتل واغتصاب ابنته وأخذ يفتش في تلك الجرائد إلى أن وصل للجريدة الصادرة بتاريخ أربعة نوفمبر ألف تسعمائة وستة وتسعون، وهو تاريخ اليوم التالي لتلك الحادثة المشؤومة، وما إن بدأ يتصفح أولى صفحاته صدم بشكل مرعب من قراءته لتنويه في مربع صغير جدا، كتب فيه:

اعتذار واجب، تعتذر هيئة السكك الحديدية لعملائها الكرام من تأخر القطار رقم مائتان وسبعة عشر المتجه من القاهرة إلى الاسكندرية لستة ساعات وذلك إثر عطل فني استوجب استبدال بعض قطع الغيار ونتمنى لكم رحلات سعيدة قادمة معنا.

أطاح سامي بالجورنال في غضب وتسرب لقلبه الشك من شهادة الثلاثة، هادي ورامي وهيثم، وأيقن أنهم أستطاعوا مراوغة الضابط وأنهم من قاموا باغتصاب وقتل ابنته..ذرف كثيرا من الدمع الحار على فقيدته متوعدا بأخذ ثأرها مؤكدا أنه لن يدع الجناة ينعمون بالحياة، فهم من تكفلوا بتدمير حياته ولن تطيب نيران قلبه بردا وسلاما حتى يصنع من هؤلاء الثلاثة وجبة لذيذة بعد أن يقطعهم إربا صغيرة، في صباح اليوم التالي قام سامي بتصنيع حوض زجاجي بحجم كبير وقياسي..حيث أن عرض الحوض بلغ مترا ونصف وطوله متران وارتفاعه متر ونصف ووضعه بالحمام الخاص به، وقام بوضع مادة سميكة من البولي إيثيلين لتبطينه بها وقام بشراء بعض المواد الكيميائية بشكل يومي ولمدة أسبوع كامل، وكان تركيزه على شراء حمض الهيدروفلوريك الممنوع تداوله بين العامة، دون أسباب واضحة لخطورته البالغة، لكنه كيمائي واستطاع



إقناع مسؤول المعمل الذي قام بالشراء منه بأنه يقوم بأبحاث خاصة في عمله لفصل نظائر اليورانيوم، وأتى بكمية من الحمض تصل إلى ستين لترا على أربعة أيام من شرائه للأحماض الكيميائية، ومن خصائص حمض الهيدروفلوريك أنه سائل اللون ذو رائحة مهيجة للجهاز التنفسي والعين أيضا، ويتبخر عند تعرضه للهواء وهو حمض له أيضا صفة التأكل والإتلاف بدرجة عالية ويمكن أن يتسبب في حروق خطرة مؤلمة للجلد والعيون، وهو يعمل على تآكل وإتلاف الزجاج والسيراميك وكثير من الفلزات، لكنه لا يتفاعل مع الزجاج لأنه يحتوي علي مادة السيليكا ولذلك يتم تخزينه في خزانات وأوعية مغطاة بالبولي إيثيلين، ولكمية عشرين لترا من حمض الهيدروفلوريك قدرة خارقة على إذابة جثة إنسان بالكامل، فهو يدمر الأنسجة ويذيب العظام فهو يفتت خمسة وتسعين بالمائة من جسم الانسان ماعدا ما يسمى بعقد الكالسيوم فهي أجزاء بسيطة لكنها شديدة التركيب يصعب إذابتها لكن يسهل طحنها، وقام أيضا سامي بشراء قناع للوجه وقفازات لليدين برغم تآكل معظم أنواع القفازات بمجرد ملامستها للحمض ونظارة وقاية للعين، وقام بشراء أريكة معدنية تسع لثلاثة أفراد ووضعها بصالة الاستقبال بالمنزل، واشترى كمية من سائل اكستازي وهي مادة مخدرة سريعة المفعول، يسهل إذابتها لا يصدر عنها طعم أو رائحة ويصعب على المختبرات اكتشافها، وتكفي نقطتان من السائل ليبدأ مفعول المخدر الجزئي بعد عشرين دقيقة، ويستمر مفعوله حتى ثماني ساعات ويسبب ضيق التنفس وفقدان الوعي ويتسبب أيضا بفقدان جزئي للذاكرة، في صباح اليوم التالي قام سامي بقطع بعض

الوصلات الكهربائية عن المصعد لتعطيله واستدعى طاقما فنيا لإصلاحه
وبعد أن تم ذلك بنجاح كتب جوابا صغيرا واحتفظ به، وقام بدعوة هادي
ورامي وهيثم لمناقشة أمر هام في شقته بالمساء، خاص بأنه وجد جوابا
به اعتراف للقاتل الذي تعدى على ابنته كان أسفل الصندوق المعدني
الخاص بالمصعد، ووجده بالصدفة حين وجود الطاقم الفني لإصلاحه
وهو يدعوهم لمعاينة خط القاتل ربما يتعرف أحد عليه، فكان رد كل
منهم أن القضية قد نسبت لمجديٍ من قبل المحققين وكانت المفاجأة
التي وجهها سامي لهم لتصدم عقولهم، أن مجدي شخص لا يجيد القراءة
والكتابة، وأدرك الجميع أنه لا مفر من ذلك الاجتماع الثلاثي بشقة سامي
فامتناعهم سيثير الشكوك، في المساء قام سامي بالترحيب بهم وجلسوا
على الأريكة المعدنية التي كان اشتراها سامي، وقبل أن ينبس ببنت شفة
بخصوص ذلك الجواب الذي يرتعدون من داخلهم بسببه أتى إليهم سامي
بثلاثة كؤوس من عصير المانجو الطازج، والتي كان أضاف لها قليلا
من سائل اكستازي المخدر لم يبرحا دقائق معدودة حتى فقدوا الوعي
جميعا، قام سامي بشد وثاقهم وكبَّلهم بسلاسل حديدية في الأريكة التي
يجلسون عليها، وقام بتكبيل أقدامهم وأيديهم بإحكام ووضع شريطا
لاصقا على فم كل منهم، وقام بإحضار منضدة خشبية طويلة ومقص حاد
ومنشار كهربائي حديث، ووضع بجانب المنضدة جهازا آخر لطهي الطعام
فوقه مقلاة متوسطة الحجم، انتظر بجانبهم عدة ساعات حتى استفاق
الثلاثة، وهنا بدأ سامي بتوجيه الصدمة الكبرى إليهم قائلا أنه صاحب
هذا الجواب متبعا وهو يشير إليهم بأن ينظروا إلى الخبر البارز بالجريدة

التي وافق صدورها اليوم التالي لجريمتهم الغادرة في حق ابنته، وقام بإظهار الاعتذار التي قدمته هيئة السكك الحديدية لعملائها بسبب تأخر القطار رقم مائتين وسبعة عشر، الذي لم يستقلوه من الأساس، وأتبع مؤكدا لهم أنه تفحص من كشوف العملاء الخاصة بالسكة الحديد بذلك اليوم من عدم وجود أسمائهم ضمن المسافرين، فصعق الثلاثي هادي وسامي وهيثم، ولم يستطع أي منهم الصراخ، وبدا على وجوههم الانفعال والتوتر الشديدان، وقام سامي بنزع الشريط اللاصق من عليى أفواههم.، فانطلق كلمات الانكار والنفي بشدة لمعرفتهم أي شيء عن الحادث، وقاموا بالصراخ محاولين الاستنجاد بأي شخص، في هذه اللحظة ضغط سامي على مقبس كهربائي بجانبه ليقوم بصعق الثلاثة بالكهرباء التي قام بتوصيلها بأرجل الأريكة المعدنية،..وبدأوا في الارتجاف والانتفاض من أثر الصعق الكهربائي من هول الموقف ورعبهم الشديد، وأشار إليهم بألا يعاودوا الصراخ حتى لا يستخدم وسائل أخرى أكثر إثارة، ودار سامي على كعبية ممسكا بالسكين الطويل الحاد وهو يقترب منهم قائلا:

- ضيوفي الكرام حان موعد العشاء، أعتقد أنكم تتضورون جوعا، الآن أريد منكم فقط أن تقصوا علي حكاية مسلية عن ما حدث في تلك الليلة الخاصة بالجريمة، فالطعام له مذاق آخر مع تلك الحكايات عن الجرائم...

فصمت الجميع وأنكروا معرفتهم مرة أخرى بالحادث، فقال لهم سامي:

- يبدو أن ضيوفي يعشقون الإثارة.

فقام بالضغط مرة أخيرة على المقبس لينتفضوا جميعا من قوة
صعق الكهرباء، واشتد بهم الهزلان فقال هادي في ارتجاف شديد نعم أنا
وأخي رامي وهيثم صديقهم من قاموا بقطع تذاكر القطار الذي تعطل بهم
واستغلوا تلك المناسبة وعادوا إلى المنزل وكانوا على علم بعدم وجوده في
تلك الليلة المشؤومة وقاموا بإيهام ابنته صفية بأن أباها كان بأعلى العمارة
وانزلقت قدماه وانكسرت وطلبوا منها استدعاء طبيب فهرولت مسرعة إلى
أعلى، سطح العمارة ليضربها هيثم على رأسها من الخلف بعصا خشبية
أفقدتها الوعي، ثم قام هيثم بتخدير صفية باستخدام بخاخة مخدرة من
مادة فلوريان ثم قاموا بوضع شريط لاصق على فمها وكبلوا يديها وقاموا
بعد ذلك باغتصابها، بالتناوب فيما بينهم، وبدأت الدموع تذرف من
أعين الثلاثة وأتبع هيثم ما بدأه هادي معترفا بأنهم كانوا تحت تأثير
الخمر اللعين ولم يعلموا أنها ستذهب بعقولهم إلى هذا الحد من الجنون
والوقاحة، بكل تأكيد لم تكن النية مُبَيَّتة لفعل تلك الجريمة، فقط كانت
وليدة لحظة شيطانية، وأتبع هنا رامي حديث هادي وهيثم قائلا بعد أن
انتهوا من فعلتهم قاموا باستدراج مجدي ببعض الحلويات والمأكولات
الشهية إلى سطح العمارة وقاموا بتكبيل يديه بالحبال ووضعوا شريطا
لاصقا على فمه وقام هيثم بإشهار السكين بوجهه مطالبا إياه باغتصاب
صفية، ثم قاموا بنزع سرواله حاول الرفض هو لكن مع اقتراب السكين
من عنقه استجاب لمطلبهم، متبعا للحقيقة هذا استغرق وقتا أكبر فلقد
علموا أن مجدي يعاني من ضعف جنسي حاد، وبعد أن انتهي قاموا
بفك وثاق يديه واللاصق من على فمه وقام هادي بدفع مجدي ذلك

الشاب المختل لأسفل قاعدة المصعد الكهربائي، وأتبع رامي قائلا أنه قام باستيلاء السكين من يد هيثم وقام بذبح عنق صفية التي ظلت طيلة الوقت تحت تأثير المخدر القوي، وقاموا بنزع الشريط اللاصق من على فمها ثم أتبعوا ذلك بفك وثاق يديها وسحبوها بالقرب من فتحة المصعد الكهربائي ثم تركوها تنزف بقوة وتخور دمائها وتنتفض لتلفظ أنفاسها الأخيرة، ثم قاموا بعدها بالهرب وقاموا بقضاء ليلتهم بعيدا عن مكان الحادث ليعودوا في اليوم التالي، وانهمرت الدموع المترجية من الثلاثة ترجو العفو من سامي هنا لمعت عيون سامي من القسوة وقام بإعادة الشريط اللاصق على أفواههم قائلا:

- حان وقت الطعام...

وقام باستخدام المقص الذي كان على المنضدة بنزع وتقطيع كل ملابس الثلاثة مجرمين ليجعلهم عراة تماما ثم أتى بالسكين الحاد وقام بقطع اليد اليمنى لهيثم حتى المعصم وألقاها في المقلاة بعد أن أضاف إليها قليلا من زيت الطعام والدماء تفور في كل مكان من موضع اليد المبتورة، ثم أتى إلى رامي وقام بغرز السكين في فخذه وقام بفصل قطعة لحم كبيرة منه ووضعها أيضا بالمقلاة، ثم أتى إلى هادي وغرز السكين في كتفه، وفصل أيضا قطعة كبيرة من اللحم ووضعها في المقلاة، وهو يبتسم في وجوههم قائلا:

- الطعام سيكون جاهزا في دقائق معدودة ضيوفي الكرام ورائحة الشواء بدأت تحيط بالمكان...

وأتى باللحم الذي طهي تماما ووضعه بصحن كبير وقضم قطعة لحم منه متلذذا وبدأ يلوكها بفمه في سعادة قائلا:

ـ طعم فريد للغاية إنه مميز حقا...

ونزع الشريط اللاصق من على أفواه الثلاثة الذين غمرت الدماء أجسادهم العارية قائلا:

ـ أيريد أحدكم أن يتذوق ذلك اللحم الرائع ؟ لا تقلقوا إني كريم مع ضيوفي؟

ولكن في هذه الأثناء كان فقد الثلاثة وعيهم تماما ولم يستطع أحدهم المقاومة وبدأ يقطع سامي أطرافهم وهم ينتفضون وتنهمر الدماء منهم بغزارة، ثم أتى إليى شق بطونهم وفصل قلوبهم من الأحشاء ووضعها بالمقلاة وتذوق من لحومها، ثم استكمل عمله بقطع أعضائهم التناسلية ثم رؤوسهم في النهاية، ثم قام بتقطيع عظامهم بالمنشار الكهربائي إلى قطع صغيرة، وفي هذةه الأثناء قام سامي بملء الحوض الزجاجي بحمض الهيدروفلوريك والذي كان كتب عليه بقلم أحمر من مادة الدوكو:

- (اليوم انتصرت لك يا ابنتي العزيزة صفية، بأكل لحوم الجناة الثلاثة أصحاب قطار مائتين وسبعة عشر الذي أقلهم إلى الجحيم)

وقام بوضع أشلاء اللحم المتناثرة والعظام لجثث الثلاثة رامي وهادي وهيثم في الحمض لم يترك شيئا، رؤوسهم وأطرافهم وأعضائهم وبدأ يستنشق رائحة كريهة صادرة من الحوض نتيجة تأكسد الحمض مع الجثث، وكان سامي أتيى بعدد كبير من أجهزة معطرات الهواء التي تعمل تلقائيا حتى تغير من وطأة تلك الرائحة النتنة، وقام بغسيل السكين



والأدوات التي استخدمها وأعاد المنضدة الخشبية وجهاز طهي الطعام المطبخ، وأزال السلك الكهربائي المثبت بالأريكة المعدنية، وقام بتنظيف أرضية صالة الاستقبال من الدماء وأعاد المكان لهيئته الأولى تماما..وبعد عدة ساعات كان يشاهد فيها جثث الثلاثة مجرمين وهي تتحلل حتى فات يوما تقريبا أو أقل، كان الحمض أذاب الجثث تماما ولم يبق سوى بعض العظام القليلة جدا فقام بطحنها وقام بصرفها في مصرف الحمام بعد أن قام بصرف كافة محتويات الحوض الزجاجي في الصرف أيضا، وقام بغسيل الحوض جيدا جدا ثم قام بقص الحوض الزجاجي بصاروخ كهربائي خاص بتلك المهام إلى قطع صغيرة وقام بوضعها في حقائب وقام بإلقائها في مكب للنفايات بعيد نسبيا عن العمارة التي يقطن بها، وقام بذلك على عدة مرات في ثلاثة أيام متتالية، في هذةه الأثناء قام والد هيثم بإبلاغ الشرطة باختفاء ابنه وأيضا صديقيةه هادي ورامي بتغيبهم ثلاثة أيام، ولم يستطع أحد التوصل إلى أحدهم ويشك أن في الأمر شبهة جنائية أو ربما حدث لهم مكروه، وبعد أن أتى الضابط عزت مهران بنفسه لشقة والد هيثم الرجل المسن المقعد لأخذ أقواله قام بالانصراف وهبط لشقة الكيميائي سامي شريف، الذي كان قام بالتحقيق في قضية ابنه منذ شهور قليلة، فنظر له سامي بارتياب شديد ظهر في عينيه...ووجد الضابط عزت رائحة العطر تعبأ الهواء بالمكان بكثافة شديدة، وبسؤاله عن اختفاء الثلاثة شباب هل يعلم عن الأمر شيئا ؟ أنكر سامي معرفته بأي شيء يخص هؤلاء الشباب، لكن الضابط عزت لم يسترح قلبه من نظرات الخوف المنبعثة من أعين سامي فطلب منه أن يدلف إلى الحمام

فسمح له بالدخول فوجد أبخرة بسيطة جدا تأتي من أسفل البالوعة
رائحة كريهة، ولكن العطر الشديد المنبعث من أجهزة تعطير الجو
بمعادلة الهواء وتنقيته، فوضع الضابط يده على أنفه مشمئزا من الرائحة
فابتسم هنا سامي محاولا إخفاء علامات الخوف قائلا:

- الصرف العمومي للعمارة به بعض الأعطال ويحتاج إلى
صيانة عذرا...

فخرج الضابط مودعا سامي وتساوره الشكوك من غرابة أمر ذلك
الكيميائي، وعند هبوطه السلم الخاص بالعمارة وجد رجلا موتورا
مهرولا وهو يتمتم سأقطعه إربا إن وجدته قام بإيذاء ابني الصغير، فاستوقفه
الضابط قائلا:

- عمن تتحدث ؟

فأجاب الرجل:

- دعني وشأني وإلا جعلتك ترافقه إلى الجحيم...

فأبرز الضابط عزت بطاقة هويته قائلا:

- لا تخف أنا هنا لمساعدتك عمن كنت تتحدث؟

فأجاب الرجل:

- ذلك الكيميائي اللعين الذي يقطن بهذه العمارة...

فسأله الضابط مجددا _ماذا فعل لك؟ قال الرجل:

- أتى إلى مكب النفايات القريب من منزلي بعد أن
في تنظيفه أسبوعا متواصلا وألقى بقطع كثيرة وكبيرة من
الزجاج على عدة مرات، كما شاهده أحد الجيران،

هذا فحسب فقد تأذى ابني الصغير عامر عندما كان يلعب بالكرة وعندما ابتعدت عنه قليلا ذهب ليأتي بها فقطع لوح زجاجي كبير وترا بقدمه اليمني وهو طريح الفراش الآن.

فطلب منه الضابط أن يقتاده إلى مكب النفايات ليعاين الموقف بنفسه، وبالفعل اتبعه للمكان فوجد ألواحا زجاجية كبيرة وبعضها عليه كلمات مكتوبة، فأمر الضابط الرجل بالانصراف وأنه سيتولى أمر الكيمياني بل ومعاقبته وظل ينظر الضابط للكلمات: ابنتي، انتصرت لك، الثلاثة.، الجحيم وغيرها...حاول عزت تجميعها بعد قيامه بلصقها بجوار بعض وأتى بالجملة التي كان كتبها سامي على الحوض الزجاجي، جحظت عينا الضابط من هول المفاجأة، وتأكد أن سامي هو من قتل الثلاثي المفقود، وقام باصطحاب اللوح الزجاجي الذي قام بتجميعه وعليه الجملة بالكامل:

- اليوم انتصرت لك ابنتي العزيزة صفية بأكل لحوم الجناة الثلاثة أصحاب قطار مائتين وسبعة عشر الذي أقلهم إلى الجحيم

وقام بعمل إطار خشبي له وغلفه بورق الهدايا وفي المساء ذهب الضابط عزت إلى سامي فرحب به، ولكن مازالت نظرة الارتياب لم تفارقه، وقال له الضابط بعد أن دلف إلى الداخل:

- ذات يوم اغتصبت أبنتي مريم من مجرم جبان لم يستطع مواجهتي، فأنا من قمت بالقبض عليه وأراد الثأر مني في

شخص ابنتي، وظل هاربا لم أستطع إلى الآن الفتك به

وبدأت تلمع دمعة هادرة من عيون الضابط قائلا لسامي:

- هذه هدية مني لروح ابنتك فأنا مررت بنفس تجربتك، وربما ليست بنفس القسوة فأنا ابنتي مازالت على قيد الحياة...

أمسك سامي بالإطار الزجاجي وأزال عنه الأغلفة ليقرأ الجملة التي كان قد كتبها على الحوض الزجاجي: وانهمرت دموعه بشدة وخر على الأرض منهارا منخرطا بالبكاء، وهنا ربت الضابط عزت مهران على كتف سامي برفق قائلا:

- صفية هي ابنتي أيضا، ودارت بينهما من خلال نظرة واحدة مشاهد عديدة لانكسارات وانتصارات وضمائر تموت ومشاعر عصفت بكل جوارحهما. وتركه الضابط وانصرف...

وجد نفسه فؤاد في الصحراء أمام خسراف الذي كان يطير في الهواء عاليا ويهبط في سعادة كبيرة وهو يتمايل كأنما حقق انتصارا مذهلا لما وصل إليه فؤاد من قوة، ونظر له قائلا:

- لقد كنت عبدا بارا بربك ولن أوفيك جزاء ذلك الآن، لكني أعدك بأن تكون أسطورة لن تتكرر، لن يفرق بيني وبينك سوى الوصية الأخيرة كي تستطيع بعدها أن تراني كما وعدتك، وأن أذهب بك إلى أبعد نقطة في هذا العالم المليء بالأسرار، الآن عليك أن تقوي قلبك



الوصية الثانية عشر

أريدك أن تمكث ثلاث ليال في أحد المقابر، تذهب في اليوم الأول وتنبش قبر طفل وترقص معه قبل أن تفصل رأسه عن جسده، وتقوم بدفن باقي الجسد في القبر الخاص به وتترك رأسه فوق الأرض، وفي اليوم الثاني تذهب لقبر امرأة وتنبشه ثم تقوم بمعاشرتها ثم تقوم بفصل رأسها عن جسدها الذي ستقوم بدفنه أيضا، وتترك رأسها فوق الأرض بالخارج، وفي اليوم الثالث ستقوم بنبش قبر رجل عجوز وتثبت جسده في عمود حديدي ثم تقوم بجلده مائة جلدة، وتأتي برأس الطفل والمرأة اللذين فصلتهما وتعلقهما في يدي الرجل العجوز، بعد أن تفصل نصف جسده السفلي عن باقي جسده، وجد فؤاد نفسه بعد ومضة من جفونه عبد الله فيراس هذه المرة في أحد المناطق النائية بشبه الجزيرة العربية في صحراء قاحلة، والنهار يسحب آخر خيوطه ويتسلل الليل ببطء، وهو لا يجد مأوى سوى مكان يراه على بعد عشرات الأمتار، يبدو من بعيد وكأنه أثار لمكان ما تم هدمه، فهو يحوي بعض الأسوار قليلة الارتفاع

وقريبة من الأرض، ظل يسير نحوه في تؤده اقترب شيئا فشيئا مع دخول
الليل، ليجد مجموعة من البوم تنظر إليه في حدة وترقب كأنها تحذره
من مصير مجهول ينتظره بداخل هذا المكان، لكنه لم يبال واقترب أكثر
ليجد بعد أن دلف من باب حديدي صغير أغلق من تلقاء نفسه وأسوار
المكان زاد ارتفاعها عشرات الأمتار، مما أثار القلق بقلبه ولكنه حاول
التماسك فشروط هذه المهمة أن يواجه الخوف بالثبات، مجموعة من
النسور الجارحة العملاقة تحوم بالقرب منه فهي كانت تتغذى على أ
الجيف التي كانت في المكان وتلفت بنظراته لم يجد أحدا ولكن بأذنه
صوت نحيب رجل ينازع بصوت هادر فالتفت ثانية فوجد شبه جسد
لجثة رجل راقد على الأرض مشوه الوجه يصارع الموت، مزقت الصقور
أرجله عن جسده وهناك بعض النقرات في رأسه تنزف دماء، يغطي وجهه
وتتساقط قطراته على جسده العاري ليتلون جلده بلون الدماء وذراعاه
مخضبتان بالدماء إثر نزع الصقور أصابعه من كفيه، منظره في قمة القبح
ورائحة تصيب من يقترب منه بالغثيان، وعندما اقترب منه عبد الله وهو
يحاول أن يثبت أقدامه بالأرض من ارتجافتها التي كادت تشل حركته
أشار له هذا المسخ الممزقة أطرافه بذراعه الذي يسيل دما كصنبور للمياه
إلى تابوت كان يبعد عنه بضعة أمتار وهو يقول بصوت كفحيح الثعابين
لا تستطيع الأذن التقاطه بسهولة:

- اختبئ به الآن فهم لن يرحموك...

فبادره عبد الله وهو يتصبب عرقا رغم برودة الهواء، وبعد إجهاد
شفتيه لتتوقف رجفتها وتنطق بالكلام:



- من هؤلاء؟

قال له المسخ في حدة وعنف:

- لا تسألني اذهب مسرعا لم يعد هناك وقت للحديث...

فسار عبد الله قاطعا الأمتار القليلة التي تفصله عن التابوت وهو لا يشعر بقدميه وكأنه يسير في الهواء، لم يعد يشعر بشيء في جسده وإن كان يستطيع تحريك أطرافه لكن مركز الشعور بداخله كأنما سقطت عليه قذيفة من مدفع ثقيل ودمرته، وما إن وصل إلى التابوت قام بالرقود داخله، ووضع أعلاه الغطاء الخشبي الخاص به، فقام هذا المسخ من الأرض واكتملت أطرافه وأشلاؤه الممزقة من جديد وعاد سليما كاملا، وأغلق هذا التابوت الذي بداخله عبد الله بالأقفال وسط صرخات عبد الله المكتومة ونحيبه من الداخل، وضحكات هذا المسخ اللعين التي يتردد صداها من الخارج، وقام هذا المسخ بعمل فتحه دائرية في التابوت من أعلى لا يتعدى قطرها العشرة سنتيمترات، وأدخل بها خنجرا إلى داخل التابوت قائلا لفؤاد بصوته المخيف وسط ضحكاته التي ترج المكان:

- الآن عليك أن تفصل كف يدك الأيمن وتخرجه من هذه الفتحة الدائرية لأنني أكاد أتمزق جوعا وأشتاق إلى لحمك اللذيذ، فلا تتأخر علي فعقابي لن يعجبك...

فصمت عبد الله محاولا أن يكبت خوفه ويفكر في كيفية التخلص من الموت المحقق على يد هذا المسخ المأفون، وبعد عدة ثوان ملأها هذا المسخ بضحكاته الساخرة أمسك بمنشار حاد وقال لفؤاد وهو يبدأ بنشر الجزء السفلي من التابوت:

- الآن سترى أخف جزء من عقابي عندما أفصل قدميك عن
جسدك بهذا المنشار...

فبدأ يصرخ عبد الله وينتحب ويدور بجسده داخل التابوت وأعيا
كثيرا من الليونة لفعل ذلك لكنه لم يبال وإن تحطمت عظامه سيفعل
وابتعد عن الجزء الذي يقوم بنشره هذا المسخ وتكور في الجزء
الآخر بعيدا عن المنشار الحاد الذي فصل الجزء السفلي من التابوت في
ثوان معدودة وفي لحظة كان صوب عبد الله الخنجر الذي في يده لينغرز
عنق هذا المسخ، ليسقط أرضا وخرج بعدها عبد الله من هذا التابوت
مسرعا ليلوذ بالفرار فوجد صوت ضحكات هذا المسخ عاد من جديد
فألقى نظرة خاطفة خلفه وهو يعدو بقوة، فوجد المسخ ينهض مجددا
وينسل الخنجر من عنقه ويستكمل ضحكاته التي اختلطت بالغضب الذي
ظهر جليا في عينيه، فانطلق مسرعا عبد الله في الظلام وهذا المسخ يعدو
خلفه بمسافة ليست بعيدة حتى وجد عبد الله فتحة في الأرض فتسلل
لأسفلها وهذا المسخ مازال يطارده، فرمي هذا المسخ الخنجر مصوبا
إياه باتجاه عبد الله فمر من جانب أذنه بأعجوبة كاد يمزق عنقه، لولا أنه
أخطأه وسقط الخنجر بأسفل الفتحة، فدلف عبد الله إلى داخل الفتحة
وكان لها باب دائري من الحديد فأوصد به تلك الفتحة وبدأ ينحدر
لأسفل هذه الفتحة التي تبدو كممر سري لكتيبة من الجنود أثناء أحد
الحروب القديمة، وبدأ ينحدر أكثر لأسفل عمقها لعله يجد مخرجا آخر
لها والظلام يتباهى بقتامته في هذا النفق المجهول، وعبد الله يحاول
أن يفادي وجهه من تلك الخفافيش التي تصطدم به على غير عادتها

وصوت الجرذان المنتشرة في المكان لا يزيده إلا رعبا حتى وجد أرضا ممهدة وبها ضوء خافت انتشله من الظلمة العاتية، ووجد الخنجر الذي كان صوبه نحوه المسخ بالأعلى وأخطأه فأمسك بالخنجر، وأخفاه بين طيات ملابسه وبدأ يسير في تؤدة ليستكشف المكان فوجد أن هذا الضوء يظهر من خلال فتحة صغيرة جدًا في سقف هذا القبو الغامض لتسقط منها خيوط القمر البيضاء، وكأنه مكان لمقبرة لعدة موتى فظهر أمامه على الأرض آلة موسيقية تشبه الناي، فبدأ ينفخ بها لتصدر صوتا موسيقيا رائعا على إثره وجد طفلا ينفض عن جسده التراب الذي كان يخبئه في باطن الأرض وينهض ويزمجر في غضب قائلا لعبد الله:

- لقد أزعجت والدتي العاهرة التي كانت ترافق عمي الأكبر في مضجعه، فلا أريد سوى أن يستمتعوا بعذابهم الآن...

وأشار الطفل إلي الأماكن التي يرقدون أسفلها بالأرض وانحنى عبد الله معتذرا له فلكمه هذا الطفل بقبضة يده بشكل مفاجئ مما أسقطه أرضا، ونتج عن ذلك تهتك في الفك السفلي لعبد الله وبدأ ينزف دما غزيرا فأعطى له عبد الله الآلة الموسيقية، وما إن أخذها الطفل وبدأ ينفخ بها وتبدل حاله إلى الهدوء وأخذ يرقص مع عبد الله حتى غافله وأخرج الخنجر الذي كان يخفيه بين طيات ملابسه، وفصل رأسه عن جسده بضربة واحدة، وقام بدفن جسده بداخل الأرض وبدأ يقترب عبد الله من المكان الذي أشار إليه الطفل ليبحث عن جثة والدتِه وبدأ ينبش الأرض ولم يتعمق سوى قرابة المتر لتظهر جثة امرأة دميمة لا تمت للجمال بشيء، فاشمئز منها عبد الله وطالت جسده قشعريرة قوية وابتعد عنها

فوجدها تنهض من مكانها وتحاول أن تقترب منه وهي تسير ببطء شديد وعبد الله يقف بالجانب الآخر مرتعدا وأثناء سيرها نحوه ارتطمت قدماها برأس الطفل التي كان فصلها عبد الله عن جسده، فقالت في حدة بوجه صارم يخلو من المشاعر:

- من فعل هذا بابني؟

فأرتجف عبد الله خوفا من عقابها، ولم ينبس ببنت شفة فصرخت في وجهه:

- أنت من فعلت هذا فأومأ برأسه في صمت...

فضحكت كثيرا وابتعدت قليلا عنه وبدأت تتبدل جلودها وملامحها لتظهر كامرأة في غاية الجمال، فاندهش عبد الله لما يرى، وهي تداعبه بكلماتها الحانية:

- كنت دميمة فقط في نظر ابني الذي حاول قتلي عدة مرات فهو مصاب بالصرع قبل أن يستطيع في آخر محاولاته قتلي بأن جعلني أطارده وأنا غاضبة فأسقطني من الطابق الرابع من المنزل، وعهدت إلى نفسي بأن لا يعود جمالي إلا لمن يأتي برأس هذا الغلام القذر، وأنا الآن ملك لك، فهمت به وعاشرته بعد أن سلبت إرادته بسحر جمالها الطاغي فلم يتَسنَّ له فعل شيء، أو كانت لديه القدرة على الرفض أو القبول، وفي غمرة هذا اللقاء الحميمي وهي مرتمية بأحضانه سلَّ خنجره وأطاح برأسها أرضا لترافق رأس الطفل، وسار

قليلا إلى المكان الذي أشار إليه الطفل حيث جثة عمه الأكبر، هذا الخائن الآخر فبدأ ينبش الأرض حتى بدأت تظهر ملامح وجه تكسوه لحية بيضاء ووجه مكفهر يابس يبدو عليه الشقاء، فنهض هذا الجسد للعم العجوز وكأن الروح عادت إليه محدثا عبد الله قائلا في سعادة:

- أشكرك كثيرا بعدد نوبات عذابي التي لحقت بي بالأسفل، فأنت لا تعلم كم كنت أعذب هناك وأنت من رحمني من هذا العذاب

فصمت قليلا عبد الله ثم قال ناظرا إليه بوجه كقطعة من الحجر في قسوته:

- لو تعلم كم ستعذب هنا لرفضت أن تنهض من مكانك واخترت بقاءك بالأسفل...

ووجد عبد الله على الحائط أغلالا حديدية قد وضعت مسبقا وبجانبها سوط جلدي أسود لامع، وأشار عبد الله إليهما بيده إشارة لهذا العجوز أن يتحرك نحوهما، وباليد الأخرى يبرز عبد الله خنجره ويشير به تجاه رأس الطفل، والمرأة اللذين يقبعان بالأرض، فعبس وجه الرجل وازداد وجهه شحوبا وازدرد لعابه بصعوبة واختفت الابتسامة التي طالت وجهه منذ قليل، وأتبع عبد الله قائلا بصوت هادئ:

- يجب عليك أن تتقدم فلا مفر لك من عقاب ينتظرك تكفيرا لما فعلت من ذنوب...

فبدا على الرجل الاستسلام بجسده الهزيل البالي، واقترب من
الأغلال ووضعها عبد الله في يده دون مقاومة منه خوفا، لترقد رأسه بجوار
الرأسين اللذان يزينان الأرض بالدماء وكأنما ذلك اعتراف منه باقترافه
للذنب، وأخذ عبد الله يجلده بالسوط الأسود مائة جلدة، ولم تتوقف
صرخات الرجل وتوسلاته لكي يكف عنه هذا العذاب دون أن يبالي عبد
الله بذلك، واستمر حتي انتهى من المائة جلدة، وكان الرجل غاب عن
الوعي تماما، فأمسك عبد الله بخنجره والذي كان في حدة السيف وقوته
وأخذ يفصل نصف الرجل السفلي، فسهل عليه ذلك جسده النحيل فلم
يستغرق بضع دقائق حتى انتهي وهو ينظر لنصف جسد يرتجف في بركة
من الدماء، وفك أغلال نصف جسده العلوي واستعدله وأسند ظهره على
الحائط وقام بربط خصلات شعر رأس الطفل في يده اليمنى، وكذلك
فعل برأس المرأة في يده اليسرى، وتحيط بهم الدماء من كل جانب في
مشهد مرعب، فسمع صوتا لجدار يتهدم، فالتفت ليرى أن الحائط المقابل
في ذلك المكان الموحش في باطن الأرض يتهدم قليلا لتظهر منه فتحة
توحي بأنها باب للخروج، فدلف منها مهرولا للخارج ليرى أمامه شيئا
انقبض قلبه منه وكاد يتوقف وتصبب عرقا تسابقت حباته في السقوط
وارتجافته تشبه في قوتها أحد الزلازل المدمرة، وكان هذا الشيء الذي
انتصبت عيناه في التحديق به كائن ضخم له رأس كبيرة تشبه رأس الثور
وله فم كبير فاغر إياه، وتخرج منه عدة ثعابين ذات فحيح مرعب، وله
فتحه دائرية في جبهته كأنها عين ولكنها مشتعلة نارا كثيفة لها لون قرمزي
براق، ويخرج من جسده عدة أذرع كل منها بها مخالب كبيرة ويكسوها

تجاعيد ملونة مثل جلود الثعابين، وصدر به فتحة من المنتصف، تسكن إليه الخفافيش ولكن ليست كالتي نعرفها، فكان لها لون أزرق يشع خيوط متوهجة كالدخان، سرعان ما تختفي وتصدر صريرا مخيفا، وتبث رائحة كريهة بالمكان، وأقدام هذا الكائن كانت غليظة كبيرة كجذوع الأشجار يلتف حولها ريش له لون أحمر دموي، وتسقط بالفعل قطرات الدماء من أطراف الريش، وكأنه لطائر مذبوح وكأن هذا الكائن اجتاز بحيرة من الدماء سيرا على قدميه، وكان واقفا لا يتحرك يحملق فقط بعبد الله الذي اشتد ارتعاده ورجفته من هذا المنظر، محاولا اخفاء عينيه ورأسه بين كفيه إلى على ركبتيه التي لم تتحمل حمله، فقال هذا الكائن بصوت رخيم له صدى يتردد كثيرا:

- لا تخف فقد نلت ما تمنيت الآن بعد أن قمت بما أراده أبوك، أنا خسراف وقد بعثني إليك ابليس، فهو من اختارك أنت تحديدا لتكون ابنا له، والآن عليك أن تسعد بما حققته بعد ما أثبت أنك تستحق أن تكون في هذه المكانة الكبيرة التي لم ينلها سواك من البشر، المجد لك أنت الآن من الأساطير التي سيخلد ذكراها التاريخ...

لم يستطع فؤاد أن ينبس ببنت شفة من هول صدمة ما رآه، وقبل أن يبادر خسراف قال لفؤاد بلهجة فيها ثناء وتقدير كبير لما بذله فؤاد لإرضاء أباه ابليس:

- سأراك لاحقا، اذهب لأبعد نقطة في هذا الكون، لم يصل إليها أحد ولن يكون مثلك أحد...

فرمى بيده كتابا صغيرا يبدو في هيئته كتلك الكتب العتيقة، فوقع بجوار أقدام فؤاد وأتبع خسراف وهو يهم بالانصراف، وبدأ يبتعد في الظلام بصوت قوي حاد:

- يوجد بهذا الكتاب كل التقارير التي تفنن البشر في كتابتها عن أرض مو، اذهب إليها وستراها بنفسك على الحقيقة فقد جانب جزء كبير منهم الصواب وأنت وحدك من سيعلم سر هذه الأرض، تذكر جيدا أنت وحدك، فقد قلت لك ستكون أنت أهم شخص في هذا الكون، اذهب إلى هناك وإن عانيت الصعاب فلا تتراجع مهما كلفك الأمر، وعد يوما ما واكتب ما رأيت ليخلد ذكراك البشر، وتبقى أسطورتك حية ما دامت الخليقة، وتذكر أننا لنا لقاء أخير فأنت تعلم أن روحك لي وتعرف ماذا أريد جيدا...

واختفى خسراف في الظلام وكأنه خيط لدخان تلاشى في الهواء فظل فؤاد شاردا وكأن حركته قد شلت فلم يتخيل أنه سيكون أحد أطراف ذلك المشهد السابق يوما ما، ظل في سكونه وكأن كلمات خسراف حولته لتمثال من الرخام وسط ليل غابر ملبد بالأعاصير العاتية، يرتعد خوفا ويرتجف جسده من شدة البرد فنظر إلى الكتاب وانحنى وأمسك به وبدأ يقلب في صفحاته الصفراء من أثر توالي العصور الزمنية عليها، يبدو أنه كتب على يد رحالة أو مؤرخ منذ مئات السنين، وبدأ يقرأ بعينه دون أن ينبس بكلمة واحدة:



القارة الغارقة مو، هل تبادر إلى ذهنك أنها أتلانتس؟ إذا حدث هذا فتأكد أنك جانبت الصواب، قارة مو هي أرض اللغز والسر الأعظم الذي لم تفصح عنه الأيام إلى الآن، واحتار العلماء بالافتراضات العلمية والفيزيائية وحتى الخارقة للطبيعة لمعرفة سر هذه الأرض كيف غرقت ولماذا؟ أشارت بعض التقارير العلمية أن قارة مو كانت تقع في المحيط الهادئ بين أمريكا وآسيا، وعدد سكانها أربعة وستون مليون نسمة وأنها غرقت بعد اختفاء قارة اتلانتس بأربعة آلاف سنة، وهناك بعض الشواهد والبقايا لهذه القارة كجزر صغيرة في المحيط الهادئ، وأشهرهم هي جزيرة هاواي الخلابة، التي هي وجهة ملايين السائحين سنويا، وهناك جزر أخرى مهمة مثل عدة جزر تسمى جزر عيد الفصح وهي تعج بكثير من التماثيل الهائلة، يقال أنها كانت معبد القارة الرئيسي ومن أهم الأشياء التي وثقت وجود قارة مو هو بالطبع كتاب الموتى عند المصريين القدماء، الذي كان يوضع في قبور الفراعنة وعنوانه بالهيروغلوفية (البر ـ مو ـ حرو)، يعني الذين اختفوا في الشرق أو الذين اختفوا نهارا، والكتاب يرثي أهل القارة بمزيد من الأسى والحزن أهل قارة مو بوصفهم الذين طلعت عليهم الشمس يوما ولم تطلع في اليوم التالي، ففي ذلك اليوم اقتربت الشمس من أرض مو وفزع الناس واتجهوا إلى قصور الملوك يركعون ويصلون، ثم اختفى كل شيء، وتقول عبارة أخرى: واقتربت نجمة من الأرض، ومازالت تقترب وتحول كل شيء إلى دخان ونار، وجاء ماء البحر فأطفأ كل شيء، وغرقت هذه القارة وهناك تساؤلات عديدة طرحت وهي: هل بالفعل هاجر أهل قارة أطلانتس الأسطورية بما كان لها من تقدم في

العلم وجميع مناحي الحياة من قارتهم إلى قارة مو ليكونوا أكبر حضارة
وسميت مو لتدل على أنها كانت أمَّ كل شيء وكانت البداية التاريخية
لفكرة نشأة ليموريا، باعتبارها أكثر من مجرد مكان مادي وجد في أرض
ما كانت مسكونة بالكيانات غير البشرية قبل ظهور الانسان، واستمد
من كتابات الرسامة الروسية اكولتيست هيلينا بلافانسكي، التي عاشت في
القرن التاسع عشر ونظريتها كانت تشرح تسلسل التاريخ البشري ومرورا
بعدة أجناس بشرية وهم سبعة أجناس، وتحتل ليموريا أو سكان قارة مو
المرتبة الثالثة في هذا التصنيف، أما المصور المشهور المهتم بالحضارات
القديمة، والأثري المعروف اوغسطس لبلانجو، هو من أطلق على ليموريا
اسم قارة مو بعد أن أتم تحقيقا موسعا حول حضارة المايا، وادعى أنه
ترجم لغة المايا القديمة، وأنها ذكرت قارة قديمة جدا وتم ترجمتها إلى
اسم مو، أو القارة التي غرقت بفعل الكارثة، وادعى أن جميع الحضارات
التي جاءت بعدها مثل مصر القديمة وأمريكا الوسطى قد تم انشائها من
قبل اللاجئين والناجين من قارة مو الغارقة، وذكر أن الحضارة المصرية
القديمة قد أسست من خلال ملوك جزر مو وبعض الناجين من الكارثة
وأسسوا حضارة المايا على حد قوله، ومن أهم الباحثين عن أسرار قارة
مو هو الكولونيل الانجليزي جميس تشيرشوارد، الذي ذهب سنة ألف
وثمانمائة وثمانية وستون إلى الهند والتحق بأحد الدير وعمل مساعدا
للكاهن الأكبر، وقد علمه لغة قديمة تدعى (الناجا ـ مايا) واطلع على
المخطوطات القديمة ومن بينها واحدة وضعوها في صندوق تتحدث
عن الأيام الجميلة في أرض مو، عندما كان السلم والطيبة يعمان العالم



وكيف كانت حضارتهم الكبيرة، وتحدثت عن أجسامهم الشفافة وبعض عاداتهم ومخطوطة أخرى تسمى مخطوطة أصل العالم وتاريخ الكرة الأرضية، والتي تؤكد أن هذه القارة كانت موجودة في هذا المكان قبل الميلاد باثني عشر ألف سنة، وأنها كانت تقبع في المحيط الهادئ، واختلف البعض في ذلك ما بين وجودها في المحيط الهندي أو الهادي رغم اتفاقهم علي أن قارة مو هي ذاتها قارة ليموريا، شعب أرض ماما، ومن هنا جاءت التسمية مو، وكان العالم السوفيتي كوسلوف اكتشف مقبرة هامة في صحراء جوبي، وكان أغلب الظن أن عاصمة أرض مو في هذه الصحراء وهذه المقبرة كانت على عمق خمسين قدما، ووجد بها بقايا لملك وملكة وبها أيضا بقايا أغراض خاصة بالملكين، وهي علامة الملك أرض مو المتمثلة في القوسين والعصا والدائرة التي ترمز للشمس، ويرجع تاريخ هذه المقبرة إلى ثمانية عشر ألف سنة، وحدثنا أيضا الكولونيل الانجليزي تشيرشوارد عن علامة ملوك أرض مو وهذه العلامة مطابقة تماما لاكتشاف العالم السوفيتي، وعثر العلماء على مخطوطة نادرة في مدينة لاسا عاصمة التبت، هذه المخطوطة تحدثت عن أرض مو وكيف اختفت ولماذا، وكانت العلامات التي وجدوها في عاصمة التبت هي نفسها التي عثر عليها العالم السوفيتي، وهي أيضا التي عثر عليها العلماء الفرنسيون في جنوب فرنسا، وذكر تشيرشوارد أن قارة مو ازدهرت من حوالي خمسين إلى مائة وعشرين ألف سنة مضت، وعند زوالها كان عدد سكانها أربعة وستون مليون نسمة، وذكر أيضا أنه قد توصل أهالي قارة مو إلى قاعدة التعادل بين الرفع والوضع أي انعدام الوزن، وأستنتج



من ذلك أن بيوتهم كانت مفتوحة من أعلى بدون أسقف وليس
أبواب للدخول والخروج يساعدهم انعدام الوزن على الخروج من
الأسقف، وأن منازلهم كانت شفافة بحيث لا تحول دون دخول
الشمس إلى منازلهم أو معابدهم لأنهم كانوا يعبدون الإله راع شأنهم
الفراعنة، ولذلك انتقلت عبادة راع من مو إلى مصر، أما ما كتب
عن الحضارات التي بادت والقارات التي غرقت فأإن الله تحدث عن
قبلنا كان مصيرها الهلاك بسبب أخطاء أو معاصي معينة، هو الذي
الخلق ثم يعيده وما جاء في النص الفرعوني وارد جدا، فهناك
يتناسب مضمونها مع ما ذكر في القرآن الكريم حول قيام الساعة،
نجمة من الأرض ومازالت تقترب وتحول كل شيء إلى نار ودخان
ماء البحر وأطفئ كل شيء، ففي القرآن نجد الآية التي تقول: " والنجم
اذا هوى"، والتي فسرتها العلوم بأنها سقوط نجم على الأرض عند
الساعة، ففكرة سقوط نجم على الأرض واردة كسبب من أسباب نهاية
دورة حياتية كبرى أو كل حضارة بائدة، وفي القرآن سورة الدخان
نجد حديثا عن الدخان كعلامة النهاية، حيث قوله تعالى: "وارتقب
تأتي السماء بدخان مبين"، ونجد النار أيضا كمؤشر في هذا الصدد
قوله تعالى: " واذا البحار سجِّرت"، أي أضرمت نارا، في نهاية
أرض مو دُمِّرت في ليلة واحدة، وقيل عنها أرض مكسورة سقطت
هاوية إناء كبير لإطلاق النار ثم غطت بمياه البحر، وقد وجد تشيرشوارد
على أحد أحجار ناكال نصا فيه:

يارب- يارع - مو - يا ملك الشمس أنقذ عبادك الطيبين

وانتهت صفحات الكتاب الصغير الذي كان رماه خسراف بجوار أقدام فؤاد، وظل يتأمله وصدم عندما علم أنه سيذهب لهذا المكان، أرض مو تلك الأرض التي ظلت لغزا عبر كل العصور منذ الآلاف من السنين، حل التعب على فؤاد في هذا الليل المطبق القاسي بأصوات الرعد المصاحبة للأعاصير التي واكبت وجود خسراف واستمرت بعد اختفائه في هذه الصحراء الشاسعة المترامية الأطراف، بدأ فؤاد في الرقود على الأرض ليستريح فوجد شيئا ما في السماء يضوي بقوة كاد أن يخطف بصره، فوضع يده علي عينيه ليحجب هذا الضوء عنه، اشتدت قوة الرياح وصاحب ذلك هطول للأمطار، ومازالت السماء تلمع بإضاءتها وكأن هناك ثوران لبركان أصوات الضجيج تكاد تفقده السمع الخوف والفزع كانا يملآن قلبه، بدأ شيء كبير وضخم يهبط من السماء وكأنها سفينة فضائية عملاقة وهبط منها كائن عملاق جدا غريب الشكل طوله يتعدى عشرين مترا، له أقدام كبيرة يخفيها ريش كثيف ومخالب حادة ورأس عجيبة جدا فهي أربعة رؤوس متقابلة من الجانبين، حيث كان جانب منهم يشكل رأس أسد والآخر على هيئة نسر وله جناحان عملاقان قد يصل طول أحدهما إلى خمسة أمتار، ويحيط به الضوء من كل جانب، اقترب هذا الكائن من فؤاد وهو يمد جناحه نحوه وهو يتمتم بكلمات غير مفهومة تصدر ضجيجا وصخبا، في هذه اللحظة ارتعد فؤاد وتمنى أن يكف قلبه عن النبض لكي يفارق الحياة وسقط مغشيا عليه، وبعد عدة ساعات استفاق فوجد نفسه يفترش الأرض في الصحراء والشمس تحرق كل جزء في جسده، وبدأ يلمس جسده بيده مندهشا كيف لم يؤذه هذا الكائن

الرهيب وأين اختفى؟ ولماذا كان يمد جناحه نحوه كأنه يريد أن يعـ
شيئا ما؟ فتساءل: وماذا يملك كي يعطيه إليه؟ صمت قليلا وأدخل يد
في جيبه فلم يجدها، أين هي تلك العملة الذهبية التي تركها له والده
جاره عبد الودود؟ هل سقطت منه ؟ وبدأ هنا يُكذِّب عقله، أهذا معقو
أن يكون أخذها هذا الكائن وغادر مرة أخرى حيث أتى؟ ما هذا يو
الجحيم؟ ماذا حدث له؟ وماذا يكون هذا الكائن ؟ من أين أتى؟ ولما
غادر؟ وما هو السر وراء هذه العملة الذهبية ؟ تساؤلات عديدة كاد
أن تطيح بعقله من رأسه، وبينما هو يفكر وسط هذه الصحراء القاحلة
نسي الجوع والعطش فلم يشعر بهما الآن ولم يعد يشعر بحرارة الشمس
وكأنه يستمتع بالحياة في أحد الوديان، ماذا تغير به؟ فجأهة سمع فؤا
صوتا هادرا يأتي من بعيد مئات الأمتار خلفه، حيث لم يستطيع أن يحد
بدقة لكنه أحس أنه ليس غريبا عليه، الصوت يقترب أكثر وينادي على
باسمه، مفاجأة مذهلة حقا، من؟ ظل ينظر فؤاد وعيناه لمعت بالدموع
فهذه الدموع أذابت جبلا من الصعوبات التي واجهها في رحلته الشاقة، إ
هو حقيقة وليس خيالا، سامر أخي الصغير، هكذا بدأ ينطق بأولى كلمات
التي احتبست طويلا، وأخذ يحتضنه بقوة كبيرة جدا وبادره بعدة قبلات
لم يعتد أن يصوبها تجاه أحد يوما من قبل، فسأله في شغف وحيرة:

- أين كنت وكيف عدت؟

وبدأ سامر حديثه قائلا:

- كنت يوما ألعب وأمرح بأحد الحقول، ووجدت عملة معدنية
ذهبية الشكل، قاطعه هنا فؤاد بدهشة بدت على وجهه قائلا:

- على شكل قرص الشمس

رد سامر بتلقائية:

- بالضبط

وارتسمت على وجهة علامات الذهول متسائلا:

- كيف علمت بهذا؟

صاح به فؤاد قائلا:

- لا عليك فقط أكمل

فأتبع سامر:

- أخذت هذه العملة لكي ألعب بها ولكن والدي رأى هذه العملة معي فأخذها مني فبكيت ليس لأنها ذات قيمة، إنما شعور العثور على شيء واقتناءه كان يروق لي جدا، وفي ذات الليلة سرت حزينا من فعلة أبي وفجأة رأيت شيئا يلمع في السماء وصوتا رهيبا هائلا حوله، وبدأ يقترب هذا الشيء من الأرض، لم أتحمل هذه الصدمة حتى سقطت أرضا فاقدا الوعي...

رد فؤاد بهدوء:

- هل رأيت كائنا غريبا أو ما شابه ذلك؟

فصمت سامر وهو يحك رأسه بيده كأنه يتذكر ثم قال:

- خيوط الدخان الكثيفة حول هذا الشيء اللامع حجبت عني الرؤية، ثم دخلت في نوبة اغماءاتي هذه والتي استفقت منها الآن فرأيتك أمامي فأسرعت نحوك...

سأله فؤاد في دهشة كبيرة:

- هل تعلم كم لبثت في هذه الغفلة يا سامر؟

رد بثقة كبيرة:

- يوما أو بعض يوم!

فما كان من فؤاد إلا أن يبلغه بما سيعجز عقله الصغير عن استيعابه

- بل لبثت أكثر من عشرين عاما، أنظر إلي ألا يظهر هذا على ملامحي، ألم تر فروقا عن آخر مرة رأيتني فيها ؟

فاتسعت عيناه الضيقتان واتسعت معهما فتحة أنفه كي يستطيع أن يأخذ نفسا أكبر ورد في فزع:

- ماذا تقول ؟ عشرون عاما؟ كيف وأنا ما زلت في نفس مرحلتي العمرية؟ فلم تظهر علي أي ملامح لهذا العمر مطلقا

فسأله فؤاد سؤالا زاد من دهشة سامر المتوهجة على ملامحه:

- تقول أنك قد رأيتني فأسرعت نحوي، هل تعلم كم المسافة التي كانت بيني وبينك من حقل زراعي في البلدة إلى هذه الصحراء التي نحن بها الآن؟ كيف رأيتني من هذا البعد الذي يتعدى عشرات الكيلومترات ؟ كيف استطاعت عيناك فعل هذا؟

نظر إليه سامر فاغرا فاه في صمت، وأتبع فؤاد:

- كيف قطعت هذه المسافة بمجرد أن التفت لألتقط صوتك الذي جاء يتردد صداه من مدى بعيد وكأن الرياح كانت تحمله لأجدك هنا إلى جواري؟

فظل سامر في دهشته لم ينبس ببنت شفة لبضع دقائق، ثم قال وعيناه تسمرت في محجريهما بصوت مرتجف:

- حقا كيف حدث هذا؟

فربت فؤاد على كتفي أخيه الصغير ليطمئنه قائلا:

- إن هناك أمورا كبيرة حتما قد حدثت ونحتاج كثيرا من الوقت لفهمها، ليس عليك الآن إلا أن تطمئن فأنت بجانبي...

وظل فؤاد يقارع جنود عقله ويفكر كثيرا بما حدث له ولأخيه، هل هذا حلم ثقيل جثى على صدره؟ أم واقع يصعب تصديقه؟ ليؤكد لنفسه أن ما حدث قد يحدث حقا في كتب ألف ليلة وليلة، لكن كيف يسمح هذا الواقع الرتيب بحدوث مثل هذا؟ هل هي معجزة حقيقية؟ بل حتى زمننا هذا نضبت به المعجزات ولم تحدث به سابقة مثل تلك، لكن في أزمنة أخرى قد حدث، وظل يستدعي ذاكرة ما قرأه من كتب في السجن، وخصوصا كتب التوراة وكيف حدثت حادثة مثل هذه في سفر النبي أخنوخ وسفر النبي حازقيال، والذي أقرا فيه كلاهما بواقعة مثل هذه، حيث ذكر أخنوخ أنه رأى ذات ليلة أضواء وألوانا في السماء يصاحبها أصوات صاخبة، وظهرت له سفينة فضاء كبيرة وهبطت على الأرض، ونزل منها كائنات عملاقة جدا ولهم أرجل كخف الجمل، وأجنحة كبيرة جدا ورؤوس متعددة على شكل نسور وأسود، لا يبلغ الانسان العادي ركبتيهم، ويحملون سيوفا تشع نورا إلى آخر هذا السفر، وكما ذكر أيضا حازقيال أنه رأى سفينة فضاء نزل منها عمالقة أخذوه معهم في رحلة حول

الكواكب، ثم عاد ليحكي ما رأى بين الناس، هذا من جانب ومن جانب
آخر فإن العلوم الحديثة والأبحاث في مراصد الفلك الأمريكية والسوفيتية
أكدت كثيرا على وجود كائنات حية أكثر عقلا من الانسان، ربما تعيش
على كواكب أخرى، وهناك محاولات كثيرة للعلماء حاولت فيها الاتصال
بالكائنات وبالكواكب الأخرى في محاولة منها لمعرفة الحقيقة التي
غير واضحة المعالم، ومن واقع قراءته للكتب الفرعونية القديمة قد
أن الفراعنة أكدوا على وجود قارة كانت تعيش في سلام وحضارة
تفوق حضارة المصريين القدماء، وكانوا يعبدون الشمس، وذات يوم
نهارا ماج البحر وأحرقت الشمس كل ما عليها واختفت من الوجود
وربما يكون المقصود بها قارة مو الغارقة التي ذكرتها أيضا الكتب الهندية
القديمة، مثل كتاب المهابهارتا وهناك أيضا كهوف الطاسيلي على حدود
ليبيا والجزائر التي ظهرت على جدرانها رسومات قد يصل عمرها إلى
عشرين ألف سنة قبل الميلاد، ويظهر فيها أن هناك حضارة كانت قوية
جدا ومتقدمة لأبعد مدى، وكانوا يعبدون الشمس وذات نهار اختفى كل
شيء عليها حيث احترقت وغرقت أو اختفت، والسؤال هنا والذي ظل
يبحث فؤاد عن إجابة له هل حقا ما رآه هو وأخوه، والذي ذكرته كتب
التوراة هو أحد هؤلاء الذين رحلوا عنا وكانوا يعبدون الشمس ؟ هل
أنقذتهم الشمس من الكارثة وجاؤوا مرة أخرى بصورة مختلفة ليأخذوا
أحد متعلقاتهم التي فقدوها على الأرض يوما ما ؟ فأجاب على تخيلاته
بنفسه، وكأنه حوار دائر بين فؤاد وعقله في ضوء المعطيات المتاحة
لم لا تكون حقا هذه العملة المعدنية تخص هؤلاء الكائنات ؟ فعندما



وجدها أخوه سامر في الحقل وقام والده بأخذها منه، عاقبته هذه الكائنات الغريبة بأن أخذت سامر لديهم وجعلته يشعر بمرارة فقدان ولده، أو ربما وافق سامر نفسه على التفريط في أغراضهم ومنحها لأبيه، وبناء على التحليل السابق عندما حافظ فؤاد على تلك العملة التي أخذها منه أحدهم أعادوا له أخاه ثانية، لكن هل يتوقف الزمن بالعالم الذي تعيش به تلك الكائنات؟ فيذهب سامر ويعود بعد عقدين من الزمان في نفس عمره ؟ وهناك أمر آخر يجب التوقف عنده، فلم يصل عقله إلى تفسيره له، لماذا يحتفظ والده بهذه العملة كل هذه السنين الطويلة؟ وكأنه كان يعلم بأن فؤاد سيعود لاحقا لأخذها؟ ولذلك تركها مع الجار عبد الودود أمانة له، هل حقا كان يعلم أنها كانت سببا في اختفاء سامر؟ وكيف عرف ذلك؟ هل ظهرت هذه الكائنات له وطلبوا منه أن يرجعها إليهم؟ وإذا كان حدث ذلك لماذا لم يأخذوها منه وقتها؟ وتنهال الكثير والكثير من الأسئلة على عقل فؤاد وهو يسير في طريق العودة مع أخيه سامر من تلك الصحراء القاحلة دون أن ينبس أحدهم بكلمة، ومازال فؤاد يستثمر هذا الصمت في التفكير في ما يراوده من أسئلة، يبدو أن هناك أمرا غريبا قد حدث في تلك الفترة المبهمة المعالم، وربما تكشف أسرارها الأيام المقبلة، ومع كل خطوة يقطعها فؤاد يأتيه سؤال جديد كالمطر الغزير على رأسه في ليلة شتاء قارسة البرودة، فتساءل لماذا لم تؤذ هذه الكائنات كلا من سامر ووالده وهو أيضا ؟ هل لأنها تدعو للسلام ولا تريد العنف؟ وما علاقة ذلك بأن هؤلاء الذين عاشوا في حضارة تحدثت عنها كل الحضارات القديمة كانوا يعيشون في سلام ؟ هل لأنهم بالفعل أحد الناجين من

تلك القارة الغامضة؟ أمسك فؤاد رأسه بكفيه وشعر بأرق شديد من كثرة
الأسئلة والألغاز المحيرة، فقد لاحت له فكرة بعد أن وصل مع أخيه لتلك
المدينة، بعد أن قطعوا عدة ساعات في تلك الأراضي الصفراء تحت أشعة
الشمس الحارقة، وهي أن يبتعد عن هذه الأجواء ليلتقط قسطا من الراحة
وربما لدراسة التغييرات التي طرأت على سامر، فقرر أن يصطحب أخاه
لرحلة إلى الأقصر، وهنا ربت على كتف أخيه بلطف قائلا:

- الجبال الشاهقة لا تنال منها الزوابع ربما الرياح تأخذ الرمال
الناعمة الضعيفة لتترك الجبال أكثر قوة وصلابة...

وبالفعل قاموا بالسفر في نفس اليوم ومع أول خيوط صباح اليوم
التالي طلب سامر من فؤاد زيارة لمعبد أبو سمبل، وأومأ فؤاد برأسه
بالموافقة، وأثناء الزيارة بدأ يلهو سامر بين الكباش المتراصة وصعد
أعلى أحدهم لكن انزلقت قدمه فسقط على رأسه وسالت دماؤه بغزارة
فأسرع فؤاد في فزع يحمل أخاه سامر الذي كان فقد الوعي من شدة الألم
والنزيف الكثيف للدماء، وهرول إلى أحد المستشفيات القريبة وعرضه
على الطبيب الذي بدأ في إسعافه، وقال لفؤاد أنه سيحتاج إلى نقل دم
بديل لما فقده، وبتحليل عينة من دماء سامر حدثت مفاجأة مذهلة فلم
يتعرف الطبيب علي هذه الفصيلة من الدماء إطلاقا، فهي لم تكن لأي
من الفصائل البشرية المعروفة أو حتى النادرة، فقام الطبيب باستدعاء
فريق بحثي لمعاونته في دراسة هذه الحالة الغريبة، والأغرب أن سامر
طلب من الطبيب بأن ينصرف حيث أن جراحه ستلتئم خلال دقائق، وهو
ما تعجب له الطبيب وأجتمع بفؤاد ليقص عليه حكاية هذا الطفل، وهل

تعرض لحادث من قبل أو تمت له جراحة ونقل له دم من قبل؟ فارتاب فؤاد وبدا ذلك على وجهه المكفهر، فلم يرد كشف الحقيقة للطبيب حتى لا يصبح أخوه سامر مثل أحد فئران التجارب والأبحاث المعملية، ولكن دار في عقل فؤاد أن ما حدث لأخيه بالتأكيد نتيجة اصطحاب الكائنات الفضائية له، فلم يعد انسانا طبيعيا وتوالت المفاجآت في تلك اللحظات على رأس فؤاد عندما اصطحبه الطبيب لغرفة سامر الذي كان قد تركه لمدة لم تتجاوز العشرة دقائق بعد أن أجرى له جراحة لهذا الجرح الغائر في رأسه، ليعود للاطمئنان عليه فيجد أن الجرح التئم تماما واختفت آثار جراحه بالكامل، فجن جنون الطبيب متسائلا في دهشة:

- كيف حدث هذا؟ نحن أمام معجزة علمية...

فطالب فؤاد الطبيب بالسماح لأخيه بالمغادرة، فرفض الطبيب تماما طلبه قائلا بصوت حاد:

- سينتظر أخوك هنا عدة أيام، وسأستدعي لجنة طبية بحثية لدراسة حالته النادرة التي لا أعلم لها فصيلة دماء، والتي كان لها جرح غائر يحتاج لعدة أيام ليلتئم فيكتفي الجرح بعشرة دقائق ليلتئم من تلقاء نفسه...

هنا زاد خوف فؤاد وتأكدت شكوكه حول مصير أخيه الذي سيبقى حبيسا للمعامل والأبحاث، فانتظر مغادرة الطبيب للغرفة وأخذ أخاه وقفزا من النافذة الصغيرة التي كانت تطل على حديقة المستشفى حتى خرجا منها، ومن هذه اللحظة أخذ فؤاد على عاتقه عبء البحث عن هؤلاء الذين جاؤوا وغادروا من الأرض، وكيفية الاتصال بهم، وعاد إلى

القاهرة مع أخيه لمنزلهم ثانية، فذهب بمفرده إلى الصحراء مكان هبوط
هذا الكائن الغريب له، فلاحظ أن الذئاب تحوم حوله وتقترب
لتسقطه فريسة يتناولونها لترحمهم لبعض الوقت من قسوة الجوع، ولكن
أطاح بهم في اللحظة المناسبة باستخدام بندقية الصيد التي كان اشتراها
قبل أن يتخذ ذلك القرار بالذهاب للصحراء،فاندهش من تغير سلوك هذه
الحيوانات التي كانت تخاف من أن تقترب منه في المرة السابقة،
هذه العملة الذهبية التي كانت مستترة في جيبه لها كل هذا النفوذ على
هذه الحيوانات؟ وأن تجعل هؤلاء الكائنات تأتي من بعيد وربما قطعت
الآلاف من السنين الضوئية كي تأتي إلى الأرض لتأخذها وتغادر
يبحث في هذه الأثناء عن أي أثر لهبوط هذا الكائن في تلك الصحراء
ولكنه فشل في ما سعى إليه فلم يجد شيئا فترك الصحراء بقسوتها وعاد
إلى بيته الذي كان ترك أخاه فيه مختفيا، فقد شاهد في التلفاز في الليلة
السابقة حديثا للطبيب الذي كان يعالج سامر بالأقصر يحكي فيه عن
وجود طفل أتى إليه مصابا ولم يتعرف على نوعية فصيلة دمه، وعن جرحه
الذي التئم في غضون دقائق في أمر يعد إعجازا مذهلا، وأردف في
حديثه أن هناك أمرا كان يخفيه هذا الطفل وأخوه، لذلك قاما بالهرب
عندما طلب فحص الطفل على يد لجنة بحثية موسعة، وأدلى بمواصفات
الطفل الذي يبدو أن له طبيعة غير بشرية، وناشده بالعودة للمستشفى حتى
تقوم اللجان العلمية والطبية بفحصه، وجاءت فكرة تحبو لرأس
ربما يستدل بها على طرف لخيط هذا اللغز الكبير، فاصطحب سامر
للحقل الذي عثر به على تلك العملة الذهبية منذ سنين طويلة قائلا له



- أسلك كل الطرق الوعرة، فإن النجاح دائما لا يرغب بالمكوث في آخر الطرق الممهدة...

وذهبا للمكان وأشار إليه سامر على البقعة التي عثر بها على العملة الذهبية فذاكرته كانت قوية بما يكفي لتذكر ذلك، وأخذ يبحث فؤاد هنا وهناك ربما يعثر على شيء مماثل فلم يجد شيئا، فبدا على ملامحه القلق وهم بالخروج من هذا الحقل محدثا سامر أن يتبعه، وهنا حدث أمر غريب لفؤاد حيث تعثرت قدماه في حجر صغير فأسقطه أرضا فنهض وأزال آثار الأتربة عن ملابسه، وقام بالتقاطه من الأرض فوجد أن له ثقلا كبيرا جدا يخالف طبيعة حجمه الصغير جدا، كيف هذا؟ كيف لحجر صغير مثل هذا أن يسقطه أرضا؟ فراح يتأمل هذا الحجر الصغير الذي في حجم حجر النرد، فلاحظ أنه على شكل هرم صغير، وهناك دائرة ترمز إلى الشمس وعدد من النقاط الصغيرة، فلم يفهم شيئا ومن جانبه الآخر وجد رسما يشبه مفتاح الحياة عند الفراعنة، فأخذ هذا الحجر ووضعه في جيبه وصاح بسامر أن يسرع في خطاه، لكن لم يتلق أي رد من سامر فنظر خلفه فارتعد خوفا من هول صدمته، سامر لم يعد له أثر فقد اختفى مجددا، فأخذ يصيح بأعلى صوته:

- أين أنت يا سامر ؟؟؟؟ أين ذهبت؟؟؟؟

لكنه لم يتلق الإجابة، ولمعت عيناه بالدموع لفراق أخيه، وانصرف مسرعا في خطاه ذاهبا إلى عبد الودود، ذلك الجار العجوز الذي كان أعطاه تلك العملة الملعونة، وبعد أن رحب به الرجل ودعاه للدخول، ودلف فؤاد وجلس على كرسي متهالك كان في منتصف الردهة، ووضع رأسه بين كفيه

وبدا على وجهه الشحوب وسأله بصوت يملأه الوهن والحزن:

- منذ متى ووالدي قد ترك لك العملة الذهبية التي أعطي لي ؟

رد الرجل بهدوء:

- قبل أن يموت بأيام قليلة، أي ما يقارب الخمسة عشر عاما.

فقال فؤاد في توتر بدا على كلماته:

- هل حدثت لك أمور غريبة خلال هذه الفترة ؟

فرد عبد الودود متسائلا:

- أمور مثل ماذا؟

أجابه فؤاد على الفور:

- أقصد أمورا غريبة عن الطبيعة، ولم يعتدها البشر، أي يختفي أمامك أو يرتفع عن الأرض، أو تظهر لك أشياء غريبة مثل كائنات ليس لها مثيل...

صمت قليلا عبد الودود وكأنه أراد أن يخفي سرا اقترب من أن يفشيه لسانه، ثم أجاب في تريث وهدوء، وبدا وجهه شاحبا قليلا وقطع الصمت قائلا:

- هناك حكمة أؤمن بها وهي: «لا تكتف بذكائك وخبراتك في حل الألغاز، بل اعتمد على المغامرة، فمن وضع اللغز يعلم مستوى ذكائك، لكنه لا يستطيع تصور قدراتك الخفية...»

بالفعل هناك أمور قد حدثت، وكنت لا أرغب في أن أقصها على أحد خصوصا وأنت تعلم بأنني قد بلغت من العمر أرذله وتمكن الشيب مني، وهذا يعني أن كنت تحدثت في أمور غريبة، لجعلني هذا الحديث قابعا الآن في مكان آخر غير منزلي هذا، وتحديدا في مستشفى الأمراض النفسية، لأنه لم يكن موجودا من سيصدق أمورا كهذه، فقط كان سيشفق على عقلي كل من يعرفني...

فلاحقه فؤاد برغبة ملحة في معرفة ما حدث:

- فقط عليك الآن أن تروي لي ما حدث لك، وعلي أن أعدك بأن لا تخرج هذه الكلمات التي ستتلوها على مسامعي حيز هذه الغرفة.

فبدأ عبد الودود حديثه بتنهيدة كبيرة وكأنها إيذان لإطلاق سراح أسرار أثقلت كاهله سنينا طويلة، وبدأ بسرد ما أخفاه من أمور خرافية تبدو لأي شخص عاقل هلوسات بصرية قائلا:

- في إحدى الليالي أخذت أفكر وأنا أنظر إلى هذه العملة الذهبية الغريبة لماذا أعطاها لي والدك لكي أقوم بإيصالها لك؟ وما أهمية ذلك فهي ليست ذات قيمة، وأمسكت بورقة وقلم وأخذت أرسم هذه الرسوم التي كانت على هذه العملة التي كانت تبدو كقرص الشمس، وتركت هذه العملة على الطاولة واستلقيت بجسدي المتعب من عناء اليوم في مضجعي، وتفاجأت بأمر أرهبني جدا بخلاف الدهشة

الشديدة التي تملكتني وقتها، وكان فؤاد يصغي إليه ليس
بأذنه فقط بل بكل جوارحه.

وأتبع عبد الودود:

- رأيت أشعة الشمس تسقط على الورقة التي رسمتها
بجانب العملة الذهبية وكأني أسلك طريقا في عز الظهيرة
فلم أعرف معنى لما حدث، أشعة الشمس تخترق سقف
المنزل وفي منتصف الليل، فقمت من مكاني مذعورا
وأمسكت بهذه الورقة لأقطعها ثم أحرقها، وإذ بها تفاجئني
بأمر غريب جدا، الورقة لم تؤثر فيها النيران فلم تحترق
فأخذتها وطويتها بين صفحات أحد الكتب لدي فاختفت
هذه الأشعة الشمسية في الحال، وعاد ظلام الليل للغرفة مرة
أخرى وكأن شيئا لم يحدث، وكنت عندما أريد أن أحضر
أشعة الشمس ليلا لتضيء الغرفة وأستمتع بدفئها كنت أجلب
هذه الورقة من بين صفحات الكتاب وأضعها بجانب العملة
الذهبية على الطاولة، فكان يحدث نفس الأمر.

وهنا قاطعه فؤاد على الفور قائلا في لهفة:

- أريد هذه الورقة.

فنهض عبد الودود وسار بتؤدة إلى أن وصل لبعض الرفوف الخشبية
التي كانت تحمل فوقها العديد من الكتب القديمة، وفتح أحد هذه
الكتب وأتى بالورقة المطوية، وحدث شيء غريب لم يتوقعه كلاهما، إذ
بالورقة بيضاء لم يجَدا بها أي رسومات، فلم يعرفا سببا لما جرى لها

فإذا اختفى الرسم منها، وحتى عندما وضعها عبد الودود على الطاولة لم يحدث شيء، وعندما حاول إحراقها فاحترقت كأي ورقة، وبدأ فؤاد يحدث نفسه بصوت هامس:

- يبدو أن الورقة كانت تستمد قوتها من تلك العملة الذهبية والتي لم تعد موجودة فزال تأثيرها...

وهنا ودع فؤاد جاره العجوز عبد الودود وخرج من منزله، وهنا قرر فؤاد أن يسافر إلى الأقصر مرة أخرى ليذهب إلى الطبيب رأفت الذي كان يعالج أخاه قبل أن يفرا منه، وفي اليوم التالي سافر فؤاد بالفعل والتقى الطبيب الذي بادر فؤاد قائلا بكل ثقة:

- كنت أعلم أنك ستأتي إلى هنا مرة أخرى...

وقبل أن يستكمل قاطعه فؤاد بنبرة يملأها الشجن وعيون ترافقها الحيرة:

- أتيت إليك لتساعدني.

فطلب من الطبيب أن يشرح له كيف أن يكون لأخيه فصيلة دم لا تخص الفصائل البشرية ؟ وأن تلتئم جراحة فورا وكأنه شخص خارق؟ فصمت الطبيب قليلا وهو يدور على كعبيه في جنبات الغرفة ثم قال بهدوء:

- كيف لي أن أساعدك دون معرفة حقيقة تخفيها عني؟

فتنهد فؤاد وطلب من الطبيب أن لا يفشي هذا السر مطلقا، فوعده الطبيب فسرد فؤاد قصة أخيه كاملة فتعجب الطبيب من هذه القصة التي تبدو كالأساطير القديمة، لكنه تحدث بما راودته به ظنونه وهو أن هذا



الطفل لم يعد طفلا طبيعيا أو حدثت له أمور تغيرت معها جيناته إلى أخرى غير معروفة، وبالأحرى غير بشرية، وهنا سرد الطبيب واقعة غريبة ليكشف لفؤاد ما حدث بعد أن قاما هو وأخوه بالفرار من المستشفى، وأنه أخذ عينة من دماء سامر وقام بحقنها لأحد فئران التجارب ليجد أن هذا الفأر قد نمى نموا رهيبا في بضع دقائق، حتى أصبح في حجم الديك الرومي، مؤكدا لفؤاد أن أخاه سامر لديه قدرة على الاتصال بالعالم الآخر، وهذه الكائنات هي من أمدته بهذه القوى الخارقة، والتغيرات الفيزيولوجية التي طرأت عليه تثبت لنا أن هاته الكائنات أقوى عقلا وبدنا من البشر بآلاف المرات، وأن لهؤلاء قصة تبدو واضحة مع الشمس، فمن المؤكد أنهم يقدسونها، فالعملة المعدنية بها رسم للشمس، والحجر الصغير الذي عثرت عليه بالحقل به رسم أيضا للشمس، ومن الجائز أن يكون له علاقة باختفاء سامر مرة أخرى، لم لا فهو قد اختفى فورا بعد أن عثرت عليه، وربما أن هؤلاء الكائنات لهم كثير من المتعلقات على الأرض ولا يرغبون أن يمتلكها أحد، ويستطيعون معاقبة كل من يفعل ذلك، وهنا صاح فؤاد:

- سوف أرجع هذا الحجر إلى مكانه بالحقل لعل يعود لي بأخي من جديد...

وبالفعل ودع الطبيب وسافر فؤاد إلى بلدته الصغيرة مرة أخرى وعاد من رحلته الطويلة في المساء، وظل يفكر في الأمر طيلة ليلته، ومع أول خيوط الصباح ذهب إلى الحقل الذي عثر على هذا الحجر به، وترك الحجر مكانه لكن لم يحدث شيء ولم يتغير شيء، مما زاد طلاسم الأمر



...نهوية، لابد أن هناك شيئا تخفيه رموز هذا الحجر اللعين، قرر البحث ...ه بكل ضراوة وإيجاد حلول ذلك اللغز لابد من طريقة لاسترجاع سامر، ...هنا طرأت في ذهنه فكرة وهي أن يجرب شيئا مماثلا لما فعله جاره عبد ...ودود، وعاد إلى منزله ووضع الحجر على منضدة كانت تتوسط الحجرة الخاصة بمضجعه وبدأ يرسم الحجر على ورقة بيضاء، وعندما انتهى من ...رسم لم يتغير شيء مما كان يأمل أن يحدث، بأن يفشي الحجر أسراره بطريقة ما فاستشاط غضبا وانتفخت عروقه وأخذ يصيح بصوت يرج أركان الغرفة كالمأفون، ماذا يخفي عنه ذلك الحجر القذر وأين اختفى سامر ؟ وألقى بالحجر بعنف شديد ليرتطم بأحد جدران الحجرة، وبشكل غريب أثار دهشة فؤاد تهدم الجدار ثم سقط الحجر على الأرض ليترك مكانه ثقبا عميقا في أرضية الحجرة، فظل ينظر بعينيه المتسعتين والتي لم تصدقا ما حدث، وعقله أيضا لم يتصور هذه القوة الكامنة داخل هذا الحجر الصغير، وأخذ ينقب في أرضية الحجرة ليستطيع الوصول لهذا الحجر مرة أخرى، والذي قبع في نهاية هذا الثقب الأرضي وبعد أن تعمق في الحفر وأستطاع أن يلتقط الحجر بيده، وجد أن هناك شقا بطول الحجر الهرمي الصغير يقسمه إلى نصفين، وعندما ضغط عليه بأصابعه انقسم الحجر ليجد بداخله مفاجأة مذهلة، مفتاح صغير جدا من الذهب، أقل في حجمه من الحجر الهرمي الذي بحجم النرد، وكان لهذا المفتاح لمعانا يكاد يضيء من كثرة البريق الذي ينبعث منه، لم يفهم فؤاد معنى لما حدث وكأنه في متاهة من الألغاز التي لا تنتهي، وتساءل في قرارة نفسه ماذا سيفعل بهذا المفتاح ؟ وتمنى لو يستطيع سبر أغوار هذا

المجهول الذي ينتظره، في بادئ الأمر فكر في أن يستعين بأحد علماء الآثار، ربما يكون هذا المفتاح خاصا بأحد المقابر الفرعونية، ولكن سرعان ما تراجع عن تلك الفكرة خوفا على أخيه سامر، ربما يكون إفشاء هذا السر ليس في صالحه، وبدأ يفكر معتمدا على نفسه بالرغم من علمه أن ذلك مستحيل، فهو لا يعلم شيئا عن كيفية العثور على أبواب تلك المقابر الأثرية أو فتحها، وما قد يصيبه من لعنات الفراعنة التي تحدث عنها الكثير من الكتب القديمة، هذا إذا كان حقا يخص هذا المفتاح أحد المقابر الفرعونية، أما إذا كان يخص شيئا آخر فما عساه أن يفعل سوى أن ينتظر ما يخبئه القدر له، وبنبرة يشوبها الخوف وبصوت واهن حدث نفسه قائلا:

- يبدو أنني سأواجه بحرا من المهالك، ولا أعلم أذا كان مكتوبا لي النجاة أم لا.

وحدث أمر غريب آخر في رحلة الغرائب التي يستقل فؤاد سفينتها وتطل رياحها عليه بين الحين والآخر، فحين حاول أن يجمع نصفي الحجر الهرمي ليجعله كما كان إذ به يتنافر كل نصف في اتجاه مخالفا للآخر كما لو كانت به قوى طاردة ترفض إعادته لسابق عهده وهيئته، وهنا أتى جاء حثيثا ليراود عقله عندما وضع المفتاح الصغير بين نصفي الحجر إذ بهما يقتربان ويتلاحمان، كما كان الحجر على وضعه الأول، حاول معرفة هذا السر واستمر في البحث طويلا ولمدة جاوزت الثمانية أشهر يفكر في حل لهذا اللغز وفك طلاسم هذه النقوش الغريبة المنحوتة على الحجر، والتي لم يعرف إذا ما كانت تخص الفراعنة القدماء أم لحضارات



...، حتى توصل إلى حل وذلك أثناء أحد الليالي التي كان منغمسا فيها في رسم النقوش التي كانت على الحجر ليجد له سبيلا في معرفة معانيها، ... إرهاق شديد انتابه من التفكير وهو يرسم تلك النقوش، راح يلقي ... في مضجعه، بعد أن أطفأ أنوار الحجرة وجد شيئا غريبا جدا، ورغم غرابته لم يدهشه كثيرا، فهو أعتاد أن تصادفه وترافقه الغرائب، حيث شاهد النقاط الصغيرة بأسفل الحجر الهرمي تضيء أنوارا خافتة، وأيضا قرص الشمس المواجه لهذه النقاط من الجانب العلوي للحجر ...، فقفز بقوة كبيرة وكأن جسده استعاد كامل عافيته مسرعا باتجاه ... ليحصي عدد هذه النقاط ليجدها ستة نقاط، ما جال في عقله ... أنها تعني مسافة معينة من هذه الحجرة، وقد تكون ستة أمتار، وأن هذا المكان تطل عليه الشمس من أعلى ويضيء بنورها المكان، وهذا ما ... في فناء المنزل حيث أنه تطل عليه الشمس من أعلى لعدم وجود ...، بالإضافة إلى ذلك أنه يبعد ستة أمتار بالفعل عن مكان الحجرة التي بها الحجر، وهذا التحليل ما توصل إليه فؤاد وكأنه يرى بصيصا من الأمل ويحبو نحوه، وفرح لتصوره أنه عثر أخيرا على حل هذا اللغز، وبعد قياس البعد تحديدا والتحقق من المسافة وقف في فناء المنزل وكان قد أخذ المفتاح الذهبي الصغير ووضعه في جيبه، وأخذ يقرب نصفي الحجر الهرمي مرة أخرى من بعضهما، وهنا لاحظ اختلافا غريبا حيث أن الحجر التصق ببعضه وأصبح كما كان تماما في وضعه الأول، وتأكد أن القوى الطاردة التي كانت تباعد نصفيه قد اختفت، وهنا تنفس الصعداء إيمانا منه بأنه وجد ضالته وما كان يبحث عنه، وأن أسفل هذا المكان يوجد



هذه المقبرة التي يحتفظ بمفتاحها الذهبي، وبها حل كل تلك
وربما تحوي سر اختفاء سامر، ويستطيع إعادته مرة أخرى، ويدأ
في هذا المكان بالمنزل لثلاثة أيام متواصلة لا يبخل فيها بالجهد،
يتعمق أكثر فأكثر ولكنه لم يصل إلى شيء، وهنا أحس بالتعب
وتأكد له أنه لن يستطيع مواصلة الحفر بمفرده فهو مازال لا يعلم إلى
سيمضي قدما في الحفر، وقام بالخروج من هذا النفق الصغير
ولاحت له فكرة البحث عن شخص يعاونه مقابل بعض من المال،
إلى أحد الأسواق التي تعج بالعمال ليقع بصره على شاب قوي
عضلاته في ذراعه، بل وتتناثر في أنحاء جسده، صاحب ملامح
طويل القامة لون بشرته يميل إلى السمرة، وله شعر أسود طويل يصل
أكتافه، ويدعى جاسر وأتى به إلى المنزل وأقنعه فؤاد أن والده
كنزا كبيرا تحت باطن الأرض، وهو لن يستطيع إيجاده بمفرده، وأنه
منه أن يعاونه مقابل أن يقتسما ذلك الكنز، في البداية وضح على ملامح
جاسر القلق لكنه أبدى موافقته في النهاية واتفقا على أن يقوم كل منهما
بالحفر لمده ليلة كاملة بالأسفل، وينتظره الآخر بالأعلى لينعم بقليل من
الراحة والمأكل ثم يتبادلون الأدوار، وقاما بمدِّ حبال قوية تساعدهم على
الهبوط والصعود من وإلى النفق، وقد واصلا الحفر بعد عدة أيام لأكثر
من مائة متر، وذات ليلة كان جاسر هو من بداخل النفق يقوم بالحفر
وينتظره فؤاد بالأعلى لكنه تأخر كثيرا عن موعد عودته كما كان اتفاقهما،
فساور فؤاد القلق وكان جاسر في هذه الأثناء بالأسفل وصادف بكشافه
المضيء شيئا غريبا، جدار صغير أمامه وبه جزء مجوف للداخل، ويتوسطه



عملة ذهبية مرسوم عليها من الأعلى قرص الشمس، ومن الأسفل مركب فرعوني وعلى أحد جانبي الجدار هناك رسم آخر على شكل حية فرعونية ضخمة، وبين فكيها رسم مجوف وغائر لهرم صغير، فاستبد بجاسر الطمع وأراد أن يأخذ العملة الذهبية لنفسه دون أن يخبر فؤاد بها، وبالفعل نزع العملة الذهبية من الجدار وعندما طوى جيبه هذه العملة واستدار ليخرج من النفق إذ بحية فرعونية ضخمة جدا تشبه الأناكوندا من حيث حجمها تهاجم عنقه وتفصلها عن جسده، واستاء فؤاد بالأعلى من الانتظار والقلق فقد تجاوز جاسر الوقت كثيرا، فانسدلت الليلة التي كانت نصيبه في الحفر وأوشكت الليلة الثانية على المجيء، وزاد قلقه على جاسر ربما أصابه مكروه بالأسفل، وقرر الهبوط إلى أسفل ليرى ماذا حدث، وعندما وصل إلى نهاية النفق فزع فزعا شديدا كاد أن يقتلع قلبه من مكانه عندما رأى رأس جاسر ملقى في أحد الأركان وباقي جسده في الركن الآخر من النفق، فأسرع مهرولا إلى خارج النفق وظل يلعن هذا الحجر وما حدث لم يغب عن باله ولم يكف جسده عن الارتجاف، فقد كان يتوقع أن لعنات الفراعنة لن تتركه يمضي في ما يبحث عنه بسلام، وفكر في أن يتراجع عن استكمال ما قام به من حفر، لكنه سرعان ما قاوم هذه الفكرة بالإصرار على تحقيق هدفه مهما كلفه الأمر، وذلك عندما ارتسمت أمام عينيه آخر نظرات أخيه سامر الخائفة. فقرر أن يدلف إلى النفق ويهبط مجددا، وعندما وصل إلى منتهاه بدأ يدقق من بعيد في الظلام الدامس إلا من نور مصباحه الناري، الذي لم تكن إضاءته بالقوة الكافية لقلة الأكسجين بالمكان، فرأى جدارا صغيرا ترقد أمامه حية كبيرة، فتأكد من كونها التي

هاجمت جاسر واقتلعت رأسه من جسده فاقترب من جثة جاسر ليبحث
عن أي شيء حوله إذ بالعملة الذهبية تسقط من جيبه فالتقطها فؤاد من
على الأرض، ولاحظ هنا قيام الحية الضخمة التي كانت ترقد أمام الجدار
من مكانها فبدأ يتمتم ببعض الكلمات وهو يتلعثم من الخوف الجاثم
على صدره، وكانت هذه الكلمات ما هي إلا عبارات كان تعلمها من
كتاب الموتى الفرعوني لتحميه من تلك الحية العملاقة، وعندما بدأ
عرقه يتصبب على جبينه وتترنح قطراته متساقطة على وجنتيه من الخوف
المطبق الذي حل به، قام بإخراج منديل من جيبه وكان تعلق به الحجر
الهرمي الصغير، فوجد أمرا أندهش له كثيرا فالحية التي كانت قد انقضت
على جاسر وفتكت به وكانت على وشك مهاجمته أيضا بدأت تتراجع
شيئا فشيئا إلى أن سكنت الجدار على شكل رسم موجود به، وبين فكيها
تجويف على شكل هرم صغير، وبدأت الرهبة تزول من قلب فؤاد والرجفة
تختفي من جسده، وبدأ يقترب من الجدار وهو يسير بتؤدة وعينيه تنظر
للتجويف بين فكي رسم هذه الحية الغريبة، والذي يماثل الحجر الهرمي
الذي يحمله وهو يحملق به فقام بوضع الحجر الهرمي في التجويف
بالجدار، ليحدث أمر جلل أذهله، فقد أخذ الجدار ينهدم ويهبط شيئا
فشيئا إلى الأرض ليتوارى في الرمال كاشفا عما كان خلفه، فتملكت فؤاد
الدهشة الكبيرة متسائلا:

- ما كل هذا السحر ؟

حيث رأى حجرة صغيرة تعج جدرانها بالرسوم المبهرة المتلألئة بفصوص الأحجار الكريمة، ومن بين هذه الرسوم رسما كبيرا لنفس العملة الذهبية التي يحتفظ بها بعد أن راح ضحيتها جاسر، وكان هناك رسم آخر لمركب فرعوني وسط البحر، وأيضا كان يوجد رسم آخر مواز للمركب الفرعوني لحضارة كبيرة تبدو من ملامح الأبنية، ورسوماتها الجميلة أكثر رقيا من التي بعصرنا الحالي وهناك أعداد كبيرة من البشر وحولهم الكثير من المساحات الخضراء، وكانت أيدي هؤلاء الناس تمتد إلى الشمس في إشارة واضحة إلى أنهم كانوا يقدسون الشمس وعبارات فرعونية مكتوبة بالهيروغليفية، والتي استطاع أن يتقنها بدراسة رموزها وقتما كان بالسجن، تشير هذه العبارات إلى هذه الأرض على أنها أرض السلام أرض البعث والخلود، فكان المصريون القدماء يعيشون حياتهم من أجل أن يعدوا العدة إلى يوم البعث،وكان في معتقداتهم أن من يستطيع دخول الجنة هو فقط صاحب الجسد السليم غير المشوه والطاهر في نفس الوقت، الذي لا يحمل كراهية بداخله أو ما يلوث النفس من الخبائث، حيث كان هذا المعتقد من الركائز الثابتة لديهم حتى أن الملك أخناتون الذي يعد أول من نادى بتوحيد الإله وكان يدعو لعبادة الشمس، وقد ترك كل شيء وتفرغ لدعوة الناس للدين الجديد، عندما رفضت دعوته زوجته وإحدى بناته غضب عليهما بشدة، ولكي يحرم ابنته من دخول الجنة قام بإعطاء أوامره للكهنة بقطع يدها اليمنى، ومن ثم لا تستطيع أن تدخل الجنة وتظل منبوذة فهي الآن لم تعد تملك جسدا سليما، ولذلك كان من عادة الفراعنة وضع بعض أدوات الطعام والزينة بالمقابر لكي يستخدمها



المتوفي مرة أخرى في حياة الخلود، وكانوا يحافظون على أجسادهم بـ
التحنيط الذي حير العالم بأسره، بالإضافة لاستخدامهم للقوى الخ
في الحفاظ على مقابرهم وإصابة كل من يقترب منها باللعنات، وقد
فؤاد أمامه بجانب هذه الرسوم مجموعة من الأخشاب أمام الجدار الذي
به رسم للمركب الفرعوني، وهي في اتجاهها ناحية الرسم الذي به النيل
والشمس، أو كما يعتقدون أرض البعث وهنا ظن فؤاد أن عليه تحويل
تلك الأخشاب إلى مركب، كما تبدو الإشارة في الرسومات واضحة أن
تلك المركب ستنقله إلى عالم آخر، ربما كان هو قارة أتلانتس الغارقة،
ربما تكون وجهته القادمة إلى قارة مو الغارقة منذ مائة وعشرين ألف سنة
أرض الأسرار العظيمة كما وعده خسراف، وظل فؤاد يصمم وينفذ هذا
المركب من تلك الأخشاب لعدة أيام وصل بها الليل بالنهار، حيث كان
شغوفا لمعرفة ما سيحدث بعد ذلك في رحلته الخارقة لقوانين الأرض
حتى انتهى من صنع تلك المركب ومع تركيب آخر قطعة خشبية أمامه
بالمركب لتصبح مكتملة شاهد ما جعل عيناه تكاد تسقط أرضا من
محجريهما من فرح خالطته الدهشة، ورغم ذلك كان مذعورا من مجهول
ينتظره، حيث سقط الجدار الذي كان مرسوما عليه المركب الفرعوني
داخل النفق الذي مازال به في باطن الأرض، كاشفا عما كان خلفه وهو
بحر عظيم جد تتلاطم أمواجه بقوة، وفيما يبدو أن عليه الابحار بتلك
المركبة الصغيرة التي قام بصنعها وقطع المسافات ليأتي بما يبحث عنه
أو يكشفه ذلك المجهول المستتر، ورغم ارتعاده ورجفته خوفا من عدم

بقدرة تلك المركبة مجابهة قوة هذه الأمواج العاتية لكنه قرر المغامرة يتحدى خوفه، واستقل المركبة ونزل بها إلى البحر فاندهش من سرعتها الهائلة كيف لها أن تشق البحر بهذه السرعة الكبيرة؟ وكان لا يعلم فؤاد إلى أي أتجاه تسير لكنه كان يظهر العملة الذهبية التي بها رسم للمركب ومن فوقها الشمس وكأنها دليله في هذا البحر الشاسع، وظل يقطع بهذه المركب المسافات أياما وشهورا لم يعد يعرف في أي زمن ولا في أي مكان يكون، لا يشغل باله سوى أنه يأمل في أن يجدهم، أو ربما هؤلاء ينتظرون مجيئه منذ آلاف السنين لأنه يحمل إليهم شيئا يخصهم، وربما إليهم شيء آخر يخصه، وهو أخوه الصغير الذي اختفى دون أسباب واضحة، وأخذت رحلته في البحر زمنا طويلا لم يشعر خلال تلك الفترة بالجوع والعطش، لا يعلم هل خرج عن كونه إنسانا طبيعيا وأصبح خارقا أو كائنا فضائيا كالذي رآه في الصحراء ذات ليلة؟ لكن تساؤلاته لم يأتها رد، واتسعت عيناه فجأة وتبدلت ملامح وجهه المكفهر وازدانت هذه الملامح بابتسامة كبيرة أخيرا على مرمى البصر تظهر أمامه أسوار عالية لا يستطيع رؤية ما ورائها، وهبط من تلك المركبة بعد أن رست على الشاطئ، والتي عبرت به من تاريخنا المعاصر إلى ما قبل التاريخ، فوجد أمامه بوابة كبيرة مرصعة بالذهب الذي يضيء ويتوهج لمعانا، فتذكر المفتاح الذهبي الذي كان بالحجر الهرمي والذي يكاد يختفي في جيبه من صغر حجمه، والشك يساوره هل يفعلها وينجح في ذلك؟ وأمسك بالمفتاح ومع أول محاوله لفتح تلك البوابة الكبيرة فتحت بالفعل ليقف صامتا مذهولا،

قبل أن يدلف من الباب ويتجول بتلك الأرض ليلامس ما اكتشفه من
أعجاز الطبيعة في أسطورة تاريخية لم تزر عقله أو عينيه من قبل، مدن
في غاية الأناقة والرقي والتحضر في تصميماتها، وحدائق خضراء ممتدة
لا تستطيع أن ترى آخرها، شعب منظم جدا، الجميع يعمل باجتهاد ويسود
السلام كل مناحي الحياة ورسوم الشمس تنتشر في أرجاء الأرض، إنها
الإله المقدس لديهم، وهناك لوحة جلدية كبيرة تشبه لافتات الإعلانات
مرسوم بأعلاها الشمس، وأسفلها عدة أسطر مكتوبة بلغة غريبة لم يفهمها
فقط، عنوانها البارز مملكة أرض مو، هو من وصل إلى عقله حيث رأى
ذلك الرمز في كتاب الموتى عندما تحدثت الفراعنة عن هذه الحضارة
وهناك ساحة كبيرة ينتصب في منتصفها تمثال لحصان من الذهب رائع
المنظر، وكانت الهيئة الظاهرية لأهالي تلك الأرض تختلف عنه كثيرا
فهم شعوب ما قبل المصريين القدماء وما قبل ذلك بكثير أجسادهم كبيرة
بمضاهاتها بجسده، ملامحهم حادة ومختلفة عنه ملابسهم قليلة، تكاد
تظن أنهم عراة وتتكون من وشاحين بيضاوين بالكاد يغطي أحدهما
النصف العلوي والآخر للنصف السفلي، ولهجتهم غير مفهومة له ولم
تمض دقائق قليلة ظل يتأمل فيها المكان بانبهار عجز لسانه معه عن
النطق، حتى وجد حراسا كثيرين يرتدون ثيابا سوداء من الجلد يهرولون
من فوق جيادهم، وانقضوا عليه وأخذوا يكبلون يديه بالسلاسل الحديدية
واصطحبوه إلى قصر كبير تتزين جدرانه بالأحجار الكريمة، حتى وصلوا
لساحة كبيرة يجلس بها رجل ضخم على كرسي وثير تبدو ثيابه أرقى من
تلك التي يرتديها الأهالي، وألوانها زاهية تلمع بها فصوص من الذهب



والمعادن النفيسة، فهو ملك هذه الأرض وكان يدعى ديسترون حاول فؤاد أن يستجدي عطفه وهو يشرح له أنه أتى إلى هنا للبحث عن أخيه في العالم، لكن ظل الملك يحملق به متعجبا من لهجة فؤاد التي لم يفهمها عاقدا حاجبيه في ضيق شديد، وأشار إلى رجل طويل القامة عاري الصدر يمسك بسيف لامع، وبدأ يتحرك في اتجاه فؤاد الذي كان يرتجف ويرتعد خوفا فقام بإخراج العملة الذهبية التي كانت على شكل قرص الشمس، وهنا تبدد غضب الملك ديسترون وبدت على وجهه علامات السعادة، وأشار للرجل ذو السيف بالتراجع، وقام من كرسيه وأخذ العملة الذهبية من فؤاد وأمر الحراس أن يحرروه من تلك السلاسل والقيود وأن يضيفوه ويعدوا له مأدبة طعام، ولم يفهم فؤاد لماذا هذا التغير المفاجئ الذي حل بالملك، فقد كان على وشك أن تطير رأسه بأحد سيوف حراس الملك، أمر عجيب حق وهنا طلب الملك أحد الكهنة خدام الدين، وهم كانوا على دراية كاملة بالسحر أيضا، وعندما حضر أحدهم وكان كبير الكهنة ويدعى ڤاستن، طلب منه الملك أن يعلم فؤاد لغتهم، ولم يستغرق هذا سوى لمحة بصر، فقط أمسك الكاهن برأس فؤاد وتركها بعد بضع ثوان، وعندما بدأ ينطق فؤاد بلغتهم سأل الكاهن:

- لماذا كنتم تخافون مني ولماذا تبدل الأمر بعد ذلك وفرح الملك عندما قدمت له تلك العملة الذهبية ؟

فابتسم ڤاستن قائلا:

- تنص معتقداتنا أننا سنهاجم من كائنات أخرى يوما ما ليدمروا حضارتنا ويستولوا على مملكتنا، ولكن الشمس

وهي ما نقدس ونؤمن به سترسل لنا رسولا منها ذات يوم
ليبعث لنا برسالة طمأنينة تكون هي الدرع الذي سيحمينا من
أي اعتداء وبذلك كنت أنت رسولا من الشمس، وهذه العملة
الذهبية المرسوم بها الشمس هي الرسالة التي انتظرناها منذ
زمن بعيد، كيف لنا أن لا نكرم رسول الشمس؟

وكان القصر الخاص بالملك ديسترون له سقف دائري يعلوه برج
يضاء ليلا أشبه بمئذنة مسجد عتيق، وقد وضع هذه العملة الذهبية أعلى
هذا البرج وسلط عليها الأضواء ليبدو منظرها بهيجا للناظرين وقد طلب
الملك من الكاهن ڤاستن أن يغير ملامح فؤاد وهيأته الجسدية ليصبح
على شكل أحد الحراس الخاصين به، وبعد أن نفذ الكاهن ما طلب منه
وتغيرت ملامح فؤاد ومظهره تماما، أخذ الملك ديسترون الحارس الخاص
به والذي تحول فؤاد إلى هيأته وذهب به إلى حديقة القصر واقترب من
ماجنوم حيث كانت ماجنوم هذه تسمى شجرة الموت، وكانت ضخمة
جدا ولها ثمار سوداء سامة وقاتلة، وكان بها تجويف ضخم بأسفلها على
هيئة امرأة جميلة، فما أن يغضب الملك على أحد يجعله يدخل هذا
التجويف، وكأنه يحتضن هذه المرأة ثم يزج به ليسقط إلى الأسفل فهناك
بئر عميق جدا أسفل هذه الشجرة يمتد إلى خندق كبير يمتلئ بالآلاف
قتلوا بنفس الطريقة، وتخلص الملك من حارسه وكان الملك يعتقد أنه
إذا عرف شعبه بأمر فؤاد وأنه رسول من الشمس فإن هذا الأمر قد يجعل
الناس لا يوقرون الملك، أو قد يطيحون به من الحكم ليولوا فؤاد بدلا
منه، فهو أراد أن لا يعرف أحد بأمره ولكنه في ذات الوقت لا يستطيع

قال فؤاد فهو يؤمن بالشمس وأنه رسول منها حقا، فارتضى بهذه الخديعة والذي قتل حارسه ليحل محله فؤاد، فكان الملك يعتقد بحكمة جليلة ينفذها وهي:

- ذا ردت أن تفشي سرك فأخبر به شخصا، وإن أردت أن تعلن عنه للملأ قل له أنه سري للغاية

في هذه الأثناء قد أستطاع فؤاد أن يفهم ما طرأ عليه من تغيرات، وقد عرف أيضا أن أخاه سامر ليس في تلك الأرض، إنما ربما يكون مع هؤلاء الذين يريدون احتلال هذه الأرض، ولن يعود إليه إلا في حالة إعطائهم تلك العملة الذهبية التي أصبحت الآن أعلى برج قصر الملك يسترون، ولكن كيف له أن يصل إليها ويأتي بها من أعلى البرج؟ ومتى يأتي إليه تلك الكائنات ليأخذوا منه عملة الشمس؟ يا له من عذاب جديد يضاف إلى القائمة الطويلة التي يمر بها فؤاد في رحلته، وزادت الأمور تعقيدا بقيامه بدور أحد حراس الملك، ومحاولة إتقانه لذلك خوفا من أن يبطش الملك به، قبل أن يجد لنفسه مخرجا من هذا المأزق الذي وضع فيه مجبرا، وبات ليلته يفكر في ما جرت إليه الأمور، ومع أول خيوط الصباح ذهب إلى تلك اللوحة الكبيرة التي رآها بعد أن دلف من باب مملكة أرض مو ولم يفهم لغتها، فدنى منها وهمَّ بقراءتها بصوت هامس قائلا:

- قوانين الشمس المقدسة لمملكة أرض مو، وتحتها عدة بنود وهي: لا تخن ولا تكذب فيغضب الرب عليك، لا تقصر في عملك أو ترضخ لأهواء النفس، فالرب لا يحب إلا

من يعملون بإخلاص، كن عطوفا كريما تجد الرب بجانبك
اجعل الشمس في قلبك، فلا منجيك غيرها، إن اقترفت ذنبا
واحدا اعلم أنه كفيل بإنهاء حياتك، الشمس لن تسامح
عبادها الطيبين...

ورأى فؤاد في هذه الأرض ما لم يره في أي مكان بالعالم، براعة
في كل شيء، نظام أخلاقيات لم يعرف عنها من قبل، عمل دؤوب
يقارن بأي حضارة أخرى، من علم هؤلاء كل هذا ؟ ما السر وراء هذه
العبقرية ؟ لن تجد شخصا واحدا يكذب أو ينافق أو يخرب أو يخالف
النظام أو يخون أو يقصر في عمله، وأثناء تجوله بين الكثير من الناس
لم ير سوي الخير والكرَم والعطف من أهلها تجاه بعضهم البعض، ولمح
بعينيه ثلاث مسارح ضخمة على شكل هضبة مرتفعة يعلوها مقصلة كبيرة
وسيف ضخم معلق بعمود من الجرانيت الأسود الصلد، وهناك عمود
آخر في الجهة المقابلة مسدل عليه بطوله الذي تعدى الستة أمتار لفافة
كبيرة من الجلود، مكتوب عليها بماء الذهب قوانين الشمس المقدسة
كالتي قرأها على اللوحة الموجودة في مدخل المملكة، لم يفهم فؤاد معنى
وجود هذه المقصلة وهذه القوانين وانصرف، وفي صباح اليوم التالي
وجد استعدادا غير عادي، الحراس والآلاف من الأهالي تأتي من كل
حدب وصوب ويتجمعون حول المقصلة، الجميع تملؤهم الرهبة ويعم
الصمت الأرجاء ويفرد ظِلاله بالمكان، عيون الأهالي الشاخصة والوجوه
الشاحبة ترمز لحدث جلل ينتظرونه، انطلقت الأبواق بصوتها الصاخب
معلنة عن مجيء المَلك ديسترون لتلك الساحة بعربته الفاخرة التي تجرها

...ول رائعة الجمال بصحبة ليزا زوجته، فتفحصها فؤاد بنظراته التي ...هشت من ذلك الحسن كيف لها أن تستحوذ على كل هذا السحر ...يها السوداوين وشعرها الأسود الطويل الناعم الذي يغطي ظهرها ...الكامل، ووجهها ذو البشرة البيضاء والتي تبرز منه وجنتان تكسوهما ...مرة الخجل، وشفاه تكاد تسكره من النظر إليها، فلها مفعول أشد ...ن الخمر وقوامها الممشوق الرائع حقا، جعل منها حالة بشرية متفردة ...جمالها لاحظ هنا فؤاد الوجوم على كل الوجوه الصامتة، إلا فتاة وحيدة ...الت تقف بالقرب منه ومقيدة بسلاسل حديدية تبكي وتنتحب بحرقة ...مرارة بالغتين، اقترب منها وسألها:

- لماذا تبكين؟

فزمجرت والغضب يملأ عينيها قائلة:

- ألا تعلم لماذا أبكي؟ ألا تري الظلم الذي يدفعني للبكاء؟

فنظر إليها مشدوها وقال:

- حقا إن كنت أعلم ما كنت سألتك...

فردت عليه بصوت يملؤه السخرية:

- كيف تكون أحد حراس الملك ولا تعلم شيئا عن محكمة الشمس أيها المأفون؟

فردد ورائها:

- محكمة الشمس؟؟

فنظرت إليه بنظرة حانقة قائلة:

- ابتعد عني أيها الأحمق...

فاقترب منها أكثر وقال لها بصوت هامس:

- إنني لست من حراس الملك، أنا غريب ولا أعلم الكثير عن طباع أهل هذه الأرض...

فحملقت في وجهه في صمت، فقال فؤاد:

- إني أحاول مساعدتك، ما أسمك أيتها الباكية؟

فقالت بهدوء يشوبه الشجن:

- إيميليا

فقال:

- يبدو اسما رائعا، الآن عليك أن توضحي لي ماذا تقصدين بمحكمة الشمس ؟ فقالت له:

- هل قرأت قوانين الشمس المعلقة هذه؟

فقال فؤاد:

- نعم لكني لم أفهم سوى أنها تعاليم عبادة الشمس...

فردت إيميليا قائلة:

- هذه القوانين موروث ديني لهذه الأرض من قديم الأزل وكما ترى هذا البرج الذي شيده الملوك السابقون وعليه ترنيمة الشمس لا تتعامد عليه الشمس سوى مرة واحدة كل شهر، وفي هذا اليوم يقيم الملك هذا الحشد من الشعب ليروا بأعينهم عبرة لمن يبتعد عن عبادة الشمس وقوانينها ولو لطرفة عين ويكون مصيره المحتوم هو الإعدام تحت

هذه المقصلة العملاقة، ويكون هذا الشخص هو الأقل إيمانا بين كل أهالي هذه الأرض.

سألها فؤاد بينما اشرأبت عنقه ناظرا للسماء:

- كيف تعرفون من بين كل هذه الملايين من الناس من هو أقل إيمانا؟

فردت إيميليا بصوت واهن ناظرة إلى الأرض:

- مع ولادة كل مولود في هذه الأرض يقوم الكهنة بقراءة التراتيل المقدسة عليه ويعمدونه يوما كاملا تحت أشعة الشمس منذ الشروق حتى الغروب، ويكون بذلك ابنا للشمس، الجميع هنا أبناء للشمس.

فرد عليها فؤاد متعجبا:

- لم تجيبيني كيف تعرفون من هو أقل إيمانا بين كل هؤلاء الجموع من الناس ؟

فقالت إيميليا:

- كل أبناء الشمس عندما يفعلون الخير الذي أمرتهم به تزداد وجوههم إشراقا وبياضا، وكل من يقترف ذنبا أو يخالف تعاليمها تظهر في وجهه في كل مرة نقطة سوداء، وفي كل شهر يأتي يوم تعامد الشمس على برج ترنيمة الشمس فتعقد المحاكمة لقصف رقبة أكثر الناس ذنوبا، وقبل هذا اليوم يقوم ڤاستن بزيارة جميع العائلات وأفرادها ليقدم للحاكم اسم الشخص المذنب الذي سيقدم للمحكمة ويعدم في

مشهد أسطوري، وتطرد كامل أسرته من هذه الأرض
الموت خارجها وتنطلق بعدها الألعاب النارية والا

رد فؤاد في دهشة:

- ڤاستن الكاهن الأعظم؟

فردت عليه وهي تزمجر في وجهه:

- تقصد الخائن الأعظم، قائلة:

- لا تسر خلف أحد أو حتى أمامه، اصنع لنفسك طريقا
فالقطيع دائما لها قائد...

فقال لها:

- لماذا تنعتينه بالخائن؟

فردت إيميليا وهي تشمئز من دفاعه عنه:

- كل كاهن أعظم سبقه كان ذا عدل وحكمة، وكان
باختيار الشخص المذنب بكل عدالة ولم يظلم أحدا
هذا الخائن فقد استغل هذه المكانة التي عليها في
وتحقيق أغراض شخصية...

وأثناء حديثها انفرجت من عيونها سيول من الدمع والنحيب
وعيناها منصبتان تجاه المقصلة، فنظر فؤاد فرأى شخصا مفتول العضلات
عاري الصدر، والذي كان يلمع من العرق الذي يتصبب جسده تحت
حرارة الشمس يصعد إلى المقصلة ويمسك بالسيف العملاق الذي يكاد
يضيء من اللمعان، وهناك اثنان من الحراس يتقدمان نحوه وهما يسحبان
رجلا يقارب الستين من عمره مطأطأ الرأس هزيل الجسد، قدماه تنزلقان

إلى الأرض فلم يستطع الوقوف والسير، ووضعوا رأسه أسفل المقصلة، وما بدأ الملك ديسترون بإلقاء خطبة قصيرة على الحشود فقال فؤاد لها:

- لماذا أنت الوحيدة التي تبكين على هذا المذنب؟

فقالت له عاقدة حاجبيها في غضب:

- لن أسمح لك بأن تنعته بهذه الصفة أبدا فهو والدي، وقد تمت خيانته على يد ڤاستن اللعين فهو أتى إلي يريد أن أرافقه لقضاء بعض الليالي الساخنة، فهو لا يمت للكهان في شيء، هو يمثل مستنقعا من الحقارة، وعندما رفضت ضحك بسخرية قائلا:

- ستندمين قريبا يا عزيزتي الحسناء، فمن يرفض طلبا لڤاستن كمن رفض استكمال مشوار حياته، وقبل أن ينصرف ڤاستن قالت له بغضب:

- التمرد على الحق هو مرض لا يصاب به إلا ضعفاء الإيمان لأن أعراضه تشعرهم بالقوة الزائفة

وجاء إلينا منذ يومين أثناء زيارات ڤاستن لجميع الأهالي ليرى المذنب الذي كثرت ذنوبه لتقديمه لمحكمة الشمس، وكان والدي من أكثر الحريصين على الالتزام بعبادة الشمس، وكان وجهه يشع بياضا إلى أن جاء ڤاستن وتحدث مع والدي، ونظر إليه كثيرا في صمت، فظهرت بعدها هذه العلامات السوداء بكثرة في وجهه بمفعول السحر الذي يتقنه ڤاستن بشكل إعجازي ليقدمه اليوم للإعدام، الآن هل علمت لماذا أبكي؟ فأبي سيعدم ظلما وأنا سأطرد خارج المملكة، وهذا معناه الموت

حتما، جميعنا نحن أبناء الشمس نعلم أن هذا البور الذي يحد أرضنا
كل اتجاه ومن بعده هذا البحر الذي لا نعلم مداه هو آخر حدود
فلا يوجد خارج أسوار هذه الأرض سوى الموت والفناء، فالشمس
أرضنا فقط دون سواها بالحياة...

وكانت هذه المحاكمة حافلة بالكثير من الحراس والراهبات
والراهبات اللاتي تتشحن بالسواد، فربت فؤاد على كتفها قائلا:

- لا تقلقي سأنصرف الآن من أجلك وسأعود أيضا
أجلك...

وأنصرف فؤاد وغاب وسط الجموع وهي تحاول العثور
بعينيها اللامعتين بالدموع، ومرت عليها دقائق صعبة تنتظر مجيئه
تعلم ماذا سيفعل هذا الغريب، فأتى إليها مهرولا يخفي بين طيات
رداء إحدى الراهبات والجميع ينظر للملك ديسترون وهو يلقي خطبته
والتي كانت عن تعاليم الشمس المقدسة وكيف يكون عقاب المذنبين
أصحاب القلوب الغاشمة، واقترب فؤاد من الحارس المجاور لإيميليا
والذي كان يمتلك في جيبه مفتاح الأقفال لهذه القيود الحديدية المثبتة
في عامود من الجرانيت الصلد من كل جانب، وأخذ منه المفتاح في غفلة
منه دون درايته بذلك حينما أصطنع السقوط عليه وانزلاق قدميه
في جيبه والتقط المفتاح بخفة كبيرة وقام بفك أغلال إيميليا
شخوص أبصار الجميع ناحية المذنب الذي ستطير رأسه في الهواء بعد
قليل، وأمرها أن تنصرف وترتدي زي الراهبات الذي أعطاها إياه ونفذت
ما طلبه منها فؤاد، وابتعدت في آخر الصفوف وهي تحاول أن تختفي

دموعها التي تذرفها بغزارة على والدها، وذلك حتى لا يشعر بها أحد، بعد أن أنهى الملك خطبته أشار للرجل الضخم حامل السيف، فاقتنص رأس الرجل بحركة واحدة وتطايرت الدماء في كل مكان، وانطلقت معها الاحتفالات، وفي هذه الأثناء أشار الملك أن تطرد الحراس عائلة الرجل المذنب، لتنصرف أنظارهم تجاه الأعمدة، ليجدوا الأغلال ملقاة على الأرض إثر هروب ابنة الرجل المذنب إيميليا وفجأة انتشر الخبر بين جموع المحتفلين بسرعة الاعصار المدمر، ليعم الصمت المطبق المكان وكأنك تأنس قطعة من الليل، والملك يأمر الحراس أن يأتوا بالفتاة الهاربة، وأشار إلى قائد الحرس بأن يأتي إليه بالحارس الذي كان يقوم بحراسة إيميليا، وعندما أتي به إلى الملك ديسترون ظل يرمقه الملك في غضب كبير عاقدا حاجبيه، وقال له بعد أن أخرج زفرة كبيرة:

- لا تطلق أفراحك لعنان السماء خوفا من تكدير البشر، فالسماء بعلوها لم تسلم من سحابة غائمة تبكيها بشدة...

وأتبع:

- أين مفتاح قيود الفتاة المكلف بحراستها؟

فوضع الحارس يده في فراغ جيبه وأخرجها فارغة، حيث لم يجد شيئا وقال بصوت متحشرج ومكسور:

- عذرا سيدي الملك فأنا أعلم أني لست جديرا بتلك المسؤولية، يبدو أن هناك شخصا ما غافلني وسرق هذا المفتاح وحرر الفتاة من قيودها.

فضحك الملك ساخرا بصوت رخيم وأتبع قائلا وعيناه تبدوان كقطع من النار الملتهبة، الآن ستجني ثمار هذه الغفلة أيها الحارس الأحمق.

وأشار إلى مجموعة من حراسه أن يطردوه خارج مملكة أرض ... ليواجه الموت، فصاح الحارس في فزع:

- عفوك سيدي...

وهو يتوسل إليه بدموعه ولكن قد فات الأوان وقضي الأمر، وطرد خارج الأرض وأغلق الباب الذي كان يفتح كل شهر مرة واحدة أثناء عقد محاكمة الشمس من أجل طرد أهالي المذنبين، وعادت الاحتفالات مرة أخرى بأمر الملك، وكان فؤاد شارد الذهن يفكر متسائلا بصوت منخفض:

- كيف توضع نصاب ومقاليد الأمور في يد كاهن ظالم ليتحكم في مصائر الناس حسب أهوائه ؟ من المؤكد أن الملك ديسترون يعلم شيئا كهذا، فهناك كثير ممن يتعرضون للظلم دون أن يحرك ساكنا، إما أنه يثق بڤاستن ثقة مطلقة أو أن هناك أمورا غامضة تحدث في الخفاء لعلي أعلمها فيما بعد ليذوب جبل الغموض هذا، أما الآن فيجب وقف أنين هؤلاء المظلومين وذويهم المطرودين خارج البلاد.

وبدأ فؤاد في مراقبة ڤاستن دون أن يلاحظ ذلك، فلم يواجهه بظلمه لوالد إيميليا حرصا منه أن لا يكون في الصورة وتحوم حوله شبهة فك قيود الفتاة أثناء المحاكمة، فمن يعلم ما دار بينها وبين ڤاستن سواها.



بدأ فؤاد جولة كبيرة يجوب فيها البلاد ويطرق الأبواب، ويسأل الناس إن يشعرون بالعدل مع اختيار ڤاستن للمذنبين، وإذا كان ظالما لماذا لا يثورون على ظلمه ؟ فظهرت علامات الريبة على وجوه الجميع ولم يجرؤ أحد على النطق بكلمة تسيء لڤاستن، فهم يشعرون بغلظة قلبه ومدى سوء خلق هذا الكاهن، ويخشون غضبه وانتقامه إذا تعرضوا له بكلمة سوء، وربما يكون ڤاستن هو من أرسل فؤاد ليعرف كيف يراه الناس، فشلت محاولات فؤاد معهم لاستخلاص بعض الكلمات التي تدين ذلك الكاهن منزوع الضمير، وعاد إلى القصر ليقوم بنوبة الحراسة الليلية، وبداخله حصون قلاع فكره تلك الأسرار الخاصة برضى الملك عن جرائم ڤاستن والتكتم عليها، وبدأ يتجول في حديقة القصر في تلك الليلة التي بدأت في إسدال ستائرها الحزينة في وجه فؤاد، وبهتت في عينيه الرؤية حتى أنه كاد يصطدم بتلك الشجرة الضخمة ماجنوم، فظل ينظر لها بعين رأف بحالها الذي تحول من لؤلؤة تسر الناظرين إلى مسخ دميم، وما آلت إليه غصونها الممتدة إلى عنان السماء وهيئتها الأثرية لتصبح آلة للتعذيب لدى الملك ديسترون، فجذبت أنظاره ثمارها التي لم تنضب بعد والتقط من على الأغصان إحدى ثمارها السوداء التي لم ير مثلها من قبل، وهو في طريقه لأن يتذوقها وبعد أن لامس بها شفاهه وقبل تناوله لقضمة واحدة وجد يدا ناعمة تمسك بيده وتمنعه من تناول تلك الثمرة، فالتفت خلفه ليجد امرأة في غاية الأنوثة ترتدي فستانا أبيضِا مرصعا بالفصوص التي صنعت من الأحجار الكريمة، لا يدري ما إذا كانت زمردا أم ياقوتا لكنها براقة بشكل ملفت، ولاحظ أن تلك المرأة رغم كونها تشبه أهالي

تلك الأرض ظاهريا إنما تختلف كثيرا عنهم من الداخل، فأخذ ينظر لها كثيرا ولم ينبس ببنت شفة تكشف عن شدة انبهاره بها، واندهش كثيرا حينما بدأ يحملق بالتجويف بالشجرة الذي كان على هيئة امرأة [illegible] بنظره إليها ليراها صورة حية من ذلك التجويف، هي الملكة ليديا زوجة الملك ديسترون التي محقت بجمالها مخيلته عن الجمال، وكأنها وضعت للجمال قوانينا جديدة خاصة بها، فمازال يتذكرها منذ أن رآها بجوار الملك في لحظات انعقاد محكمة الشمس، فبعد تلك الثواني من الصمت أطلقت سؤالا تريد به سبر أغواره قائلة:

- من أنت؟ ومن أين أتيت؟

فقبل أن يتفوه بكلمة واحدة سبقته بقولها:

- لا تنكر شيئا أنا أعلمه تماما، فقد روى لي الكاهن كل شيء

فكانت الملكة ليديا لها قوة كبيرة على كل الرجال حتى الكهنة لم يستطيعوا الفرار من هذا التأثير.

وبدأ فؤاد في كشف أسراره لها تباعا ولم يخفِ عنها شيئا، فلم يدر لماذا سرد لها قصته بالكامل ولم يخش أن تشي به للملك، فهو لم يكن يوما رسولا للشمس ولا شيئا من هذا القبيل، إنما الصدفة الغريبة هي من أتت به إلى تلك الأرض وهو يبحث عن أخيه الصغير، فسألها عن شيء يسيطر على تفكيره وهو عن سر وجود شبه كبير بينها وبين ذلك الرسم المجوف الموجود بالشجرة، ولماذا منعته من أكل ثمارها؟



تهدت ولمعت عيناها بالدموع قبل أن تروي له قصتها العجيبة
أنها كانت تدعى ليزا موريس إحدى خادمات الملكة كاليترون زوجة
الملك لويس الخامس عشر ملك فرنسا، وقد علمت الملكة بأنها كنت
الملك سرا فقد كان الملك له العديد من العلاقات الغرامية، فلم
تستطع أي فتاة معارضته حتى لا يكون مصيرها الموت، وكانت تواعده
لتراوغه ولم يظفر بها كما فعل بالأخريات، فكانت تبغض ذلك
الرجل الذي يرى النساء كاللحوم التي تقدم له على طاولات الطعام، لم
لإحداهن حبا فقط تحركه شهوة مجنونة، وكانت الملكة كاليترون
تحاول التصدي لتلك العلاقات، وعندما علمت أن الملك سيجعل من ليزا
ملكة وزوجة له دبرت أمرا تبعد به ليزا عن فرنسا، وربما عن هذه الأرض
بأكملها، بينما ليزا لا تعلم الحقيقة كاملة سوىى أنها ذات يوم أهدتها
الملكة عملة ذهبية ظلت تحتفظ بها، وفي صباح يوم مشرق نزلت ليزا
بإحدى البحيرات الجانبية للقصر والخاصة بخادمات الملكة لتستحم بها
كعادتها كل صباح، ولم تظهر بعدها مرة ثانية إلا بين أيدي حراس الملك
ميسترون في هذه الأرض، حيث أنها لم تعرف ماذا حدث وكيف فهي
كانت في فرنسا تسبح في بحيرة وهي الآن في أرض غير الأرض، وبين
هؤلاء الناس الغرباء الذين لم تر مثلهم أو سمعت عنهم من قبل، والحقيقة
وجدت كاملة في مذكرات كاليترون التي وجدوها مشنوقة في منزل ميلتون
ماكي، وكأنها حذت حذوه واختارت نفس نهايته في ظروف غامضة لم
يعرف سببها إلى الآن، وفي بداية الأمر كانت عثرت كاليترون على عملة

ذهبية غريبة الشكل على هيئة قرص الشمس داخل كتاب قديم مكتوب
بالهيروغليفية، عثرت عليه في منزل أحد أدباء فرنسا المغمورين في ذلك
الوقت، ويدعى ميلتون چاكي، هذا الأديب الذي توفي منذ ما يقرب من
أربعة قرون حينما وجدوه مشنوقا في منزله، حيث أنه مات منتحرا حسب
كثير من الروايات، ولكن لم يعرف أو يذكر أحد سببا لذلك، وظل منزله
الذي كان يقطن به بمفرده مهجورا سنينا طويلة، فلم يجرؤ على دخوله
أحد، فتناقلت روايات كثيرة عنه أن من يقترب من المنزل تحدث له
أمور مأساوية أو يلقى مصرعه أو يرى أشياء غريبة مثل أن يسمع أصواتا
عالية صاخبة، أو يرى أشباحا تلبس ثيابا بيضاء تمشي فوق سطح المنزل،
وما أكد ذلك للناس أن هذا المنزل ملعون ولابد من الابتعاد عنه، أن
الفريق البحثي من إحدى أعرق الجامعات وأقدمها بفرنسا وهي جامعة
السوربون، حين أوفد إلى ذلك المنزل ليطلع على مكتبة الأديب ميلتون
چاكي وأسراره، حدث لهم حادثة مروعة حينما انقلبت بهم الحافلة في
أثناء طريقهم للعودة بعد اتمام تلك الزيارة المشؤومة، فلم يتبق منهم واحد
على قيد الحياة، وكان ذلك الفريق البحثي يتكون من خمسة عشر طالبا،
وبخلاف ذلك رواية عدد من الناس أنهم رأوا حريقا هائلا شب في هذا
المنزل، ولكنه بدون دخان، وبعد دقائق انطفأت النيران ولم يحدث أي
شيء للمنزل، وكأن شيئا لم يكن، ولكن الملكة كاليترون كان معروفا
عنها أنها تهوى الصعاب والمغامرات، ساعدها في ذلك كونها تمتلك
قلبا حديديا لا يعرف الخوف مطلقا فقررت يوما الدخول لهذا المنزل
سرا فارتدت زي أحد الحراس وأخفت وجهها بقلنسوة في ليلة ممطرة،



توجهت لمنزل الأديب وكان الشارع خاليا من المارة كعادتهن الجميع لا يود السير به ويتخذون اتجاهات أخرى، فدلفت إلى المنزل وكان المكان هادئا لا يوجد به إنارة، تكاد ترى بصعوبة بفضل مصباحها الناري الذي كانت تحمله،فجأة بدأت تلوح أمامها مجموعة من الخفافيش واندهشت عندما رأت أن المنزل به العديد من المقتنيات مثل آلة بيانو في حالة جيدة، وطاولة كبيرة فاخرة وعليها أوان للزهور باهظة الثمن، وكأن المنزل استعصى على أن يتسلل إليه أحد لسرقته رغم مرور الزمن على وفاة صاحبه، وصعدت للطابق الأعلى وجدت مدفأة كبيرة بها عدة كتب محترقة، وعندما اقتربت من قصاصات الكتب المحترقة فعلمت أنها لجميع الكتب المقدسة، يبدو أن هذا الكاتب كان ملحدا لا يعترف بوجود الله، وهناك مكتبة كبيرة مكتظة بالكتب الثمينة والنادرة، ومصباح زيتي مطفأ يتدلى فوق كرسي وثير، يبدو أنه كان يقضي وقتا طويلا في القراءة، ولفت انتباهها ذلك الحبل الساقط من سقف الغرفة، وبه حلقة دائرية تيقنت تماما أن ذلك الحبل كان وسيلة انتحاره وبقيت كما هي شاهدة على نهايته، وظلت تقلب في الكتب النادرة التي لا تقدر بثمن حتى وجدت كتابا باللغة الهيروغليفية مصنوعا من ورق البردى، ووسط صفحات الكتاب وجدت تلك العملة الذهبية، فأخذت الكتاب والعملة التي به وانصرفت متجهة إلى قصرها، وهناك طلبت من أحد العلماء معرفة لغز هذه العملة الذهبية، وعلى ماذا يحتوي هذا الكتاب، فعندما علمت منه أن هذا الكتاب يرجع إلى العصر الفرعوني وفيه تحذيرات بالغة الخطورة عن عدم ابتعاد هذه العملة عن ذلك الكتاب لأن من يفعل

ذلك سيلقى الكثير من المهالك في حياته بعيدا هناك! ولم يفسر أكثر
من ذلك، فأخذت هذه العملة وأهدتها لخادمتها ليزا وهي تعلم أنها قد
لا تراها ثانية، وهذا ما تتمناه وهو إلحاق الضرر بها وإبعادها عن الملك
فسألها فؤاد:

- ماذا فعل بك الحراس الخاصون بالملك بعد أن عثروا عليك
هنا؟

ردت قائلة بصوت يملأه الشجن:

- اصطحبوني إلى قصر الملك، وأتذكر نظراته التي كانت
كالسهام تخترق جسدي وهو يحملق بي، فقد أعجب بي
الملك ديسترون بشدة وأتى بكبير الكهنة ويدعى
علمني لغتهم بمجرد النظر في عيني وهو يضع رأسي بين
كفيه لبضع دقائق، لا أعلم كيف تم ذلك سوى بقوة السحر
وانصرف الكاهن فوجدت أن ملامحي تغيرت وأصبحت
كأنها لامرأة أخرى، وعندما قابلت هذا الكاهن مرة أخرى
في حديقة القصر قمت بسؤاله عن ماذا جرى لي قال أن
الملك ديسترون علم مؤخرا بأمر زوجته التي كانت تواعد
أحد الحراس الخاصين به، وهو من أمرني أن أغير ملامحك
لتصبح ملامح زوجته لكن يحملها جسدك، فأنا لست كاهنا
فقط بل أستطيع عمل الكثير من أجل الملك، وكان الملك
قد انتقم من زوجته لخيانتها بأن ألقي بها في بئر

تلك الشجرة التي نقف أمامها الآن وأشارت بيدها ناحية الشجرة وأتبعت حديث ڤاستن:

- وقد طلب مني الملك في وقت سابق أن أقوم بعمل تجويف مجسم الشكل لزوجته أسفل الشجرة لأنه كان يحبها بشدة، ولذلك أمرني بأن أجعلك شبيهة لها وأن يبقى أسمك ليديا على اسم زوجته فهو لا يرغب بأن يشعر بلحظة حرمان لفقدانها، إضافة لصورته أمام هذا الشعب التي ستنهار أذا علم بأمر خيانة زوجة الملك، أما عن هذه الشجرة لا يعلم أحد من قام بزراعتها أو متى ظهرت، فذات يوم اكتشف الملك أمرها عندما عثر على أكثر من نصف حراس القصر مجرد جثث مكومة أسفل الشجرة، وهم ممسكون بثمارها السوداء فهي على الأرجح لها مذاق طيب جدا لا يستطيع من يتذوقه أن يقلع عنه، ولكنه بكل تأكيد سام وقاتل، وفي ذلك اليوم أمر الملك بحفر خندق كبير أسفلها ليدفن به ضحاياها، ومنذ أن قتل زوجته بأن جعلها تدخل داخل تجويف الشجرة ثم قذفها إلى الأسفل وأصبحت هذه الشجرة أداة للموت عند الملك، وهنا قاطعها فؤاد قائلا بحماس:

- الآن علينا نسيان الماضي وأن نفكر في كيفية الهرب من هنا، لابد من إيجاد طريقة تعيدنا إلى الأرض التي كنا بها، فأومأت برأسها على أنها توافقه في الرأي وجمعت بينهم اللقاءات السرية حتى لا يكتشف أمرهم الملك، وبدأ الحب

يتسلل إلى قلب فؤاد دون الإفصاح عن ذلك لكنه عبر عن
ما بداخله بطريقة أخرى بأنه كان يكتب بريشة يغمسها بدم
بعد أن قام بجرح نفسه بخنجر صغير وهو يكتب اسمها على
صدره، ثم كتب على الشجرة ماجنوم:

- إلى الحبيبة التي سيخلد التاريخ حبي لها، أتمنى أن تتذكريني
إلى الأبد (لن أقبل أن أكون ذكرى تطويها كتب الحب، لن
أكون شهيد محرابك أريد منك نهاية أخرى)

وقبل كل لقاء كان يكتب فؤاد عبارة بريشته المغموسة بدماء جرح
صدره الذي كان يقوم بتجويفه بخنجرة مرة أخرى لاستخدام دمه في
الكتابة، وكثرت العبارات على الشجرة منها:

- لن يأتي زمن على الناس لا تتذكر به حبي الكبير لك.

وأيضآ عبارة أخرى قال فيها:

- لا أعلم المجهول الذي ينتظرني لكني لا أبالي شيئا بعد أن
كافئني القدر وأتى بك إلي.

وأيضا كتب:

- خلعتُ نعلي وطرقت باب محرابك لأقدم القرابين.

فوجدت قلبي ناسكا متعبدا يملأ لك الكؤوس من الوتين

وأيضا كتب:

- إن غبتُ ولم ترني عيناك يوما ما، فقط في هذا المكان
ستؤنس وحدتك روحي التي لن تغادر أبدا وإن غادر جسدي

وكتب متسائلا:

الحب وما أدراك ما الحب

نار الله الموقدة في القلوب

ألم يرافقه لوعة واشتياق

أين يلبي لهفة العاشقين في أن يسترقوا السمع لنبضات قلوبهم.

ثنايا الروح التي تمردت على كونها حبيسة الأبدان، وأطلقت لنفسها العنان أن تعلن عن اعتناقها لقدسية الحبيب، وتجلت في مظاهر الإنشاد والمديح.

لن تعلم سر الكهنوت الروحاني مادامت قدماك بعيدة عن محراب العاشقين، فإن كان لك حبيبة تنتظرك بداخله فاخلع نعليك ولا تذر ثمارها الناضجة تسقط عليك مثل نيوتن، واكسر قوانين الجاذبية وحرر ذاتك من القيود فأنت في الواد المحبب للقلوب...

وكان يؤمن فؤاد بأنه إذا صارحها بحبه سيكون أنانيا، فمصيره بات محتوما وسيقتل إما علي يد الملك ديسترون الذي سيكتشف أمره بأنه ليس رسولا للشمس، مجرد متسلل قادته الصدفة إلى تلك الأرض في رحلة البحث عن أخيه، إما أنه سيعود ويغادر هذه الأرض إذا عثر على أخيه، ولا يملك شيئا سوى الفقر في بلدته، وكيف له أن يجردها من ملكة ذو شأن عظيم إلى فقيرة تحتل التعاسة أركانها، وهناك سبب أعظم من ذلك فهو الآن بعد أن تنتهي رحلته بتلك الأرض ينتظره شخص يريد تصفية الحساب معه، يريد منه أن يفي بالاتفاق المبرم بينهما، يريد منه روحه، كيف له أن ينسى خسراف فبات حبه لها سرا كبيرا يتكتم عليه، وذات ليلة

كان يتدبر فيها فؤاد أمرهما وكيفية إيجاد مخرج من هذه الأرض
إلى باله أمر لم يتصور كيف غاب عنه كل هذه الفترة فتساءل وهو
نفسه:

- أين هي وماذا حدث لها ؟ تلك العملة الذهبية التي أتت
إلى هنا، هل أخذها حراس الملك وأعطوها له كما
معه ؟

فإن كان حدث هذا فلما لم يفعل الملك مع ليزا كما فعل معه ؟
أخذ يبارك هذه العملة التي يعتبرها رسالة حماية وطمأنة لهذه الأرض
من الشمس فيجعلها أعلى قمة برج مثلاً كما حدث لتلك العملة التي
كان بحوزته وأتت به إلى هنا ؟ يبدو أن هناك أمرا غير معلوم، ولا
من التنقيب عن الحقيقة فقد تكون معها سر نجاتهما مما هما فيه الآن
وساورته الشكوك حول أمر ليزا رغم حبه الشديد لها، وذلك عندما
حبه الأول بثريا تلك الفتاة الخادعة، كيف له أن يلدغ من جحر مرتين
ووصل إلى عقله أن قصة ليزا هذه ليست حقيقية، وأنها حيلة من الملك
قامت بها هذه السيدة لكي تعلم ما يخبئ في جعبته من أسرار لتنقلها إلى
الملك، وإذا كان الأمر كذلك حقا فلن يتركه الملك ينعم بلحظة
أخرى في تلك الأرض ولن يرى سامر ثانية، فكر فؤاد في تدبير حيلة
يعلم من خلالها إذا كانت ليزا صادقة فيما روته له حقا أم أنها مجرد
أداة للتجسس عليه بأمر الملك، وفي أحد لقاءاتهم السرية أتى لها بتفاحة
وأوهمها أنه قام بتلويثها بالسم القاتل وعليها أن تجعل الملك يأكلها لكي
يتخلصا منه ويستطيعا إيجاد مخرج لهما والحصول على العملة الذهبية



التي كان أخذها منه، فإن فعلت ليزا ما طلبه فؤاد منها فإن الملك بالطبع لن يموت نتيجة أنه أكل تفاحة سليمة، وسيتأكد أنها فعلا صادقة معه ولن تخدعه، ولكن إن أخذت التفاحة وأفشت سر محاولة فؤاد قتله عن طريقها فلن يتوانى الملك بأن يأمر حراسه بالقبض على فؤاد، وهنا يستطيع أن يؤكد للملك براءته ويجزم للملك أن ليزا حاولت خيانة الملك مع حارسه المخلص، وأنه من رفض ولذلك حاولت أن تشي به وعلى الملك أن يأتي بتلك التفاحة ليأكلها أمام عينيه ويتأكد من كذبها، ويكون عقابها عند الملك شديد القسوة، وتذكر مقولة والده:

- لا تثق في شخص يطلق الوعود من فمه بسرعة الرصاص، فغالبا طلقاته ستصيب قلبك

وهنا أخذت ليزا التفاحة من فؤاد وقامت بما أمرها به فؤاد تماما، فتناولها الملك وهنا حدثت مفاجأة لم تخطر ببال أحد، فقد مات الملك ديسترون بعد ذلك بدقائق متأثرا بالسم، كيف حدث ذلك ؟ إن هناك أمرا غريبا قد حدث، وأتى الكاهن ڤاستن واعتلى منصة الحاكم ليذيع خبر موت الملك على الشعب بأيدي ليديا وفؤاد قائلا وهو ينتحب وتنتابه رجفة خادعة:

- الملكة الخائنة وعشيقها الحارس الخائن قتلا الملك ديسترون

أمر الحراس بإيداع ليديا بالسجن، أما فؤاد فما زال ڤاستن لا يعلم هويته، هل هو حقا رسول من الشمس؟ أم أنه أحد أعداء هذه الأرض؟ فساوره احتمالان، أن يكون رسولا بعث به الشمس لحماية هذه الأرض

وعليه إجلاله وتكريمه وعدم التعرض له، فكان معروفا عن ڤاستن رغم عن ظلمه لكثير من أهالي أرض مو وقسوة قلبه وطمعه في كرسي الحكم إلا أنه كان أكثر الكهنة إلماما بأمور الدين وأكثرهم تقديسا للشمس، أما إذا كان فؤاد شخص تسلل لهذه الأرض لغرض تهديد أمنها ولم تبعثه الشمس فمصيره السجن حتى يقرر إعدامه أمام جموع الشعب في مشهد مهيب، وقام ڤاستن بإحضار كبار الكهنة وقرأ أمامهم المرسوم الملكي لتنصيب نفسه حاكما للبلاد بما أنه كان كبير الكهنة ويحق له هذا المنصب لكون الملك لم يكن له ابن شاب يرث الحكم من بعده، والحقيقة الغائبة عن بال ليزا وفؤاد أنه كان يراقبهما ليلة وقوع الحادث، وسمع همساتهم حينما اتفقا سرا على قتل الملك في أحد جوانب حديقة القصر بالمكان المخصص للملكة، فكان يقتفي آثارهما ويتلصص عليهما، وقد شاهد فؤاد وهو يقطف إحدى ثمار التفاح من على إحدى شجر الحديقة الخاصة بالقصر، قبل أن يعطيها للملكة ليديا دون أن يقوم بمعالجتها بالسم، كما روى فؤاد للملكة وانتظر ڤاستن حتى ابتعدت الملكة عن فؤاد في طريقها للقصر، حيث قام بغمس يديه في مجموعة من السموم القاتلة قبل أن يستوقف الملكة ليسألها وهو يلتقط هذه التفاحة من يدها ليطمس عليها السموم بيديه قائلا:

- هذه الثمرة ليست جيدة بما يكفي، أتريدين أن آتي لك بأفضل منها سيدتي ؟

فرفضت وأخذتها وانصرفت قائلة وهي تحاول أن تبدو طبيعية بعد أن تسلل إليها القلق:



- إنها تروق لي...

لتدلف إلى غرفة الملك وتداعبه وتعطيه هذه التفاحة فيأكلها الملك فيسقط قتيلا بعدها بدقائق متأثرا بالسم، وكان قد وقع ما دبر له ڤاستن بذكاء شديد ليتخلص من الثلاثة الملك والملكة وفؤاد إذا كان خائنا وليس رسولا من الشمس، ليستولي ڤاستن على الحكم الذي حلم به كثيرا، ولكن كان الملك هو العائق الذي يحول دون إتمام ذلك الأمر وابتسم فخورا بنفسه قائلا:

- الخداع من أمهر أساليب الذكاء التي يستخدمها القادة، فإن لم تمتلكه فعد إلى صفوف المخدوعين من العامة...

ودعا ڤاستن جموع الشعب للتجمهر في ساحة الحصان الذهبي، وهي ساحة كبيرة يوجد بها تمثال لحصان من الذهب، قصة هذا الحصان الأسطوري ترجع إلى عصر الملك ساجمون، وهو أول ملك يحكم تلك المملكة، وكان لهذا الحصان الذهبي حارس له خوذة من حديد وسيف بتار لامع، وكان يطوف هذه الأرض حارسا لها لا يتحدث إلى أحد ولا يأكل ولا ينام، كانت له قوى خارقة وكان جميع من بالمملكة يقدسونه لعلمهم أنه مبعوث من الشمس، أتي لحماية هذه الأرض ومباركتها، وكان هناك اعتقاد أنه أول من حطت قدماه هذه الأرض وكان لا يهبط هذا الحارس من فوق ظهر حصانه مطلقا، وكانوا يطلقون عليه لقب الفارس العظيم، وكان هذا الحصان له لون رمادي وبه رسم للشمس على جبهته وله ملمس يشبه المعدن، وله بريق خيوط أشعة الشمس وقت الظهيرة، وكانت خطواته تحدث رجا للأرض يشعر بها كل من يقترب من محيط

وجوده، وعاش هذا الفارس سنوات كثيرة لا يعلم عددها أحد على وجه
الأرض في سلام إلى أن حدثت تلك المعركة التاريخية في عهد الملك
ساجمون بين هؤلاء الغرباء الفضائيين وبين جيوش الملك، واشتد
المعارك الحامية الوطيس، وقتل من هذه الكائنات الكثير والكثير، فهم
كائنات برغم ضخامة أجسادهم ومنظرهم المهيب إلا أنهم مسالمون وعزل
لا يحملون السلاح ولا ينوون تدمير الأرض واحتلالها، كان مبتغاهم فقط
العيش في سلام بجانب أصحاب الأرض الأصليين، وهو ما رفضه الملك
واشتعلت الحرب بين الجانبين، وبدأت الكائنات الفضائية تستخدم القوة
المفرطة لأجسادها في رد العدوان الواقع عليها، حتى أستطاع أحدهم أن
الفارس العظيم وهشم فك هذا الحصان، وذلك بعد أن تولى هذا الحارس
على حصانه بمفرده أمر التصدي لهذه الكائنات بعد أن فشل جنود الملك
ساجمون، في ذلك وكان هذا الفارس يرتدي قلادة حول عنقه عليها بعض
التراتيل التي تقدس الشمس،وحين قام بنزعها أحد هذه الكائنات من حول
عنقه استطاع أن يقتله بسهولة، وكأنما كان يستمد قوته الخارقة منها، ليضع
بعد ذلك أحد جنود الملك هذه القلادة مثبتا بها سيف الحارس العظيم
حول عنق الحصان الذي تحول شكله إلى هذا التمثال الذهبي، منذ ذلك
العصر الذي هاج البحر فيه وماج وغرقت أو اختفت لا يدري أحد كثير
من هذه المملكة، ولم يتبق منها سوى هذا الجزء الذي يعيش فيه أهالي
أرض مو، وكان الجميع يُصلّون ويدعون الشمس وينتظرون أن ترسل لهم
رسولا منها يمطتي هذا الحصان، ليصول ويجول به في مشارق الأرض
ومغاربها، ليكشف لهم كثيرا من الأسرار حول هذه الأرض وأين اختفت



ولماذا ؟ وكما تقول الأسطورة التي تناقلتها ألسنة أهالي هذه الأرض أن اثنين من أنياب الحصان الأسطوري تفرقت في الأرض المختفية أثناء المعركة، وعلى رسول الشمس إعادتها للحصان لكي تعود هذه الأرض لما كانت عليه كاملة، وبدأ ڤاستن حديثه أمام الشعب بإخبارهم بحقيقة فؤاد وكيف جاء إلى هذه الأرض محملا بالعملة الذهبية المقدسة الخاصة بالشمس، وكيف أمره الملك ديسترون بتغيير ملامحه خوفا من تقديس الناس له عندما يعلمون أنه رسول من الشمس، وربما يولونه حاكما عليهم، وهنا أعاده ڤاستن لهيئته وشكله الأول ليصبح فؤاد كما كان قبل أن يصل تلك الأرض، وهنا وضع ڤاستن الأمر بين يدي جموع الشعب لتقرر مصير فؤاد، ليري الجميع ماذا سيحدث عندما يمتطي فؤاد الحصان الذهبي الأسطوري، هل هو حقآ رسول من الشمس وسيستطيع استرداد باقي أراضي المملكة ؟ أم أنه أحد أعداء هذه الأرض وتسلل إليها كي يمكن هذه الكائنات الضخمة التي هبطت عليهم من الفضاء لتباغتهم بالهجوم والاستيلاء على هذه الأرض، فإذا كان كذلك فسيكون مصيره السجن إلى حين إعداد أكبر مقصلة ستشهدها هذه الأرض لكي تقصف برأسه في الهواء، والآن أمر ڤاستن فؤاد بالتقدم ليمتطي الحصان الذهبي والجموع المحتشدة شاخصة الأبصار في ترقب شديد، والصمت يخيم على المكان وكأن الأرض توقفت عن الدوران من هول الموقف لهذا الحدث الجلل، وفؤاد يتقدم في بطء شديد لا يعلم مصيره المجهول، يتمنى لو أنه تحت وطأة حلم ثقيل على قلبه مطبق بقوة على صدره لا يلبث دقائق وسيزول حين يفيق، واقترب فؤاد يسير في توءدة باتجاه الحصان حتى وقف أمامه

ينظر له في رهبة كما لو كانت نظراته تدعوه لأن يرأف بحاله، وأمسك فؤاد بالقلادة التي كانت حول عنق الحصان ولاحظ ملمسها الغريب كأنها أثارت القشعريرة بيده، بخلاف منظرها المشع للضوء كأنه يضع بين كفيه مجموعة من نجوم السماء، لم يشك للحظة أن أحدا قام بصنعها إنما هي أحد أسرار الأساطير القديمة، وريثما وضعها حول عنقه عاد هذا المهر الذهبي إلى طبيعته الأولى ليقفز فوق ظهره ممسكا بالسيف وانطلق به ليختفي عن الأعين في لحظات قليلة وسط دهشة وذهول الحاضرين من جموع أهالي المملكة، مهللين فرحا بعودة حارس هذه الأرض، وقد استوقفهم ڤاستن قائلا:

- سنرى إذا كان سيعود مرة أخرى أم أنه سيغرق في بحر من المهالك قالها.

وأتبعها بضحكات ساخرة لقناعته أن فؤاد لن يتمكن من العودة ومحاولة منه لقتل فرحة الأهالي ببطلهم الأسطوري كعادة أي ملك لا يريد أحدا غيره في قلوب شعبه، ولا يقدسون سواه، وأافض الجمع بمشاعر متباينة بين القلق والسعادة، متمنين عودته يوما ما، وظل الحصان ينطلق مسرعا في طريق طويل لا يعلم فؤاد إلى أين ومتى يتوقف به هذا الحصان الجامح؟ إلى أن اقترب من السور الشاهق الذي يحد هذه الأرض من كل جانب ليقفز عاليا ويجتازه ليصل إلى ما ورائه ليرى أرضا تختلف في مظاهرها وطبيعتها عن أرض مو، وهو يعلم أنه لا محالة سيواجه صعوبات كبيرة وهو يبحث عن أنياب الحصان المفقودة، والذي تهشم فكه على يد أحد الكائنات الضخمة التي أتت من الفضاء لتسكن هذه الأرض



يوما ما، ولا مناص من إيجادهم حتى يعود به هذا الحصان إلى أرض المملكة مجددا، فتأمل فؤاد في صمت طبيعة المكان الموحش الذي يراه، حيث وقعت عيناه في بادئ الأمر على جماعة من البشر طوال القامة ذات بشرة سمراء تكاد تظن من الوهلة الأولي أنهم عراه لا تكسوهم إلا مجموعة من الريش وقطع صغيرة من جلود الحيوانات وسط صخب من دقات الطبول وأدخنة النيران المتصاعدة ويرقصون في شكل دائري حول جثة راقدة على، الأرض ولا يعلم أي لغة يتحدثون، تكاد تسمع أصواتهم وكأنها تمتمات مبهمة، ولاحظ أنهم يلتقطون أوراق الأشجار ويأكلونها وهناك زعيم لهم يجلس على كرسي ضخم مزين بجلود الحيوانات، وإلى جواره شابة سمراء رائعة الجمال يراقبان الحفل الراقص، فاقترب منهم في توجس وحذر وقبل أن يصل إلى هذا الزعيم صُوِّبت ناحيته الرماح والسهام، حتى أشار إليهم القائد بيده ليوقفوا عدوانهم عليه، لكن كان أصاب فؤاد أحد السهام التي انطلقت لتسكن كتفه مسببة له جرحا غائرا، وظل ينزف فؤاد دما كثيفا وهو يسير في توءدة واضعا سيفه أمام القائد ليعلن أنه لم يشأ إيذائهم، وحينما أيقن فؤاد أنه لن يستطيع فهم لهجتهم الغريبة كان هناك حل بديل ظهر له في الأفق، وهو أن يتفاهم معهم عبر لغة الإشارة ليستطيع التعبير عما يريد، فقام القائد بتعريف نفسه بأنه جراندو قائد هذه القبيلة، والفتاة التي بجواره هي ابنته راكوتي وأنه قد قتل زوجته ذات يوم لأنها كانت تصفف شعر ابنته راكوتي وقد جذبته بقوة مما تسبب في إيلامها وبكت، وهناك قصة مرتبطة بهذا القائد وابنته تقول أن هذه الفتاة تكلمت وهي في اليوم السابع من عمرها قائلة:

- عندما يرى والدي دموعي وهي تذرف من عيني
يقتل المتسبب في سقوطها، ستصدر هذه الدموع
سامة سوداء تصيب والدي بعد أن تقتفي آثاره
والموت.

وتسببت هذه القصة في قتل الكثير على يد القائد جراندو
دموع ابنته التي ينظر لها على أنها من المقدسات، وكان آخر هذه
هذه الجثة التي يطوفون حولها بالرقص، فهي لشاب من هذه القبيلة
تتمناه راكوتي لنفسها لكنه تزوج من فتاة أخرى مما تسبب في بكائها
حسرة عليه، وكل من في القبيلة يخافون الاقتراب من هذه الفتاة أو
عصيان أوامرها، حتي لا تكون مصائرهم المحتومة على يد القائد،
بدأ فؤاد يتحدث مستخدما الإشارة ناسجا قصة من وحي خياله
مستغلاً معرفته بكافة تفاصيل هذه القبيلة، أنه ذات يوم استوقفه رجل
عجوز جاحظ العينين رثُّ الثياب وهو يسير ليلا وأعطاه قلادة وأمره
بالبحث عن صاحبتها، وهي فتاة تبكي ودموعها يقتل بسببها، وعندما
ترتدي تلك القلادة فهي لن تبكي مرة أخرى أبدا وعندما قام بارتداء
القلادة وجد نفسه هنا، ولكي يعود إلى حيث كان عليه بأن يأتي بناب
هذا الحصان الموجود في تلك الأرض، فاندهش جراندو لحديثه بينما
انتابته حالة من السعادة حيث أنه أخيرا سيستطيع أن ينعم بحياته بعيدا
عن أغلال الدموع المميتة، ولكنه سرعان ما ارتسمت على وجهه علامات
القلق، فهذا الناب الخاص بالحصان والذي يبحث عنه فؤاد توارثه من
أجداده، وها هو يزين عنق ابنته ولا يعلم مدى حزنها أذا أخذه منها، وهنا

فؤاد يداعب عاطفة راكوتي بتبادل النظرات، وتقدم منها وهو يتغزل بجمالها قائلا:

- أيتها الجمرة المتقدة على الشفاه، كوني بردا وسلاما على عاشق يهواه أو زيديني سعيرا فإن لي في نيرانها حياة.

ووضع القلادة الخاصة بالحصان حول عنقها، فابتسمت له مبدية إعجابها بحسن معاملته لها بتلك الطريقة الحانية المثيرة للاعجاب، وهنا ظن جراندو أن كل متاعبه المتعلقة بدموع ابنته قد ولت بلا رجعة، وقضى الجميع ليلتهم الحافلة بالسعادة على دقات الطبول والرقصات وفي صباح اليوم التالي أمر جراندو الحراس بالقبض على فؤاد فهو لا يريد أن يخسر العقد الذي يزينه ناب الحصان حول عنق ابنته خوفا من غضبها، وكونه توارثه عن أجداده ويعتز به كثيرا، لكنه لم يكن يعلم أن قلب راكوتي قد تعلق بفؤاد إلى هذه الدرجة فأخفى عنها أنه أمر بسجنه وكان قد وضعه في مكان سري في سرداب تحت الأرض، وقام بإغلاقه عليه ولكن الحصان الأسطوري كان مفعما بالقوة والتي خارت قوى حراس جراندو أمامها، ولذلك تركوه يتجول فلم يستطع أحد منهم أن يمتطي ظهره أو يروضه أو يقتله، وبعد عدة أيام كان قابعا فيها فؤاد في محبسه أثارت تساؤلات راكوتي عنه مشاعر الخوف لدى جراندو، حيث أخبرها بأن هذا الشاب اختفى فجأة وترك حصانه، ولم نعد نعرف له طريقا، ولكن راكوتي لم تقتنع برواية والدها فكيف غادر هذه الأرض وترك حصانه ولم ينتظر ليعطيه الناب الذي يزين العقد الذي يلتف حول عنقها ؟ يبدو أن هناك أمرا لا تعلمه، فاقتربت من الحصان الأسطوري الخاص بفؤاد وامتطته

والجميع ينظر لها في اندهاش كيف روضته فهو عاند كل من اقترب
لكنهم لا يعلمون أنها الوحيدة التي ترتدي القلادة التي كانت لفارس
الحصان لذلك أتاح لها أن تعتليه، وأمسكت بالسيف المعلق حول
وهنا حدث أمر غريب جدا، حيث ظل الحصان يقطع الطريق مسرعا
بقدمه كل من في طريقه في ثورة غضب عارمة، وراكوتي هي الأخرى
من فوقه أخذت تغرس السيف في صدر كل من يقترب منها أو يحاول
إيقافها، وسقط كثير من القتلى فذهب جراندو مسرعا إلى فؤاد في
قد يجد عنده تفسيرا لما يحدث ليتوقف ذلك الأمر، وعندما أتى مهرولا
إلى فؤاد أيقن في هذه اللحظة أن الفرصة باتت سانحة لكي يهرب من هذه
الأرض بعد أداء مهمته، واصطحبه جراندو إلى الساحة التي شهدت سقوط
القتلى وتواجدت راكوتي بها فوق الحصان، وهنا أشار إليها فؤاد بأن تنزع
القلادة التي سبق وأن لفها حول عنقها، واقترب منها بعد أن قدمتها إليه
وأشار لها وهو على مقربة منها دون أن يلحظ ذلك الحاضرون بأن جراندو
قد خان اتفاقي معه بأن أعطيك هذه القلادة لأحصل على ناب الحصان
الذي يزين عنقك لأعود إلى مملكتي، وهذا لم يحدث بل وضعني في
سري تحت الأرض، وهنا أعطته راكوتي القلادة التي سبق أن أهداها فؤاد
لها وقد زينت بها الناب قائلة:

- لا تجزع من أحمق يقطف أوراق أشجارك، بل أشكر له
صنيعته التي ستجعل أشجارك مستقبلا وارفة يانعة الخضرة



وهي تذرف دموعها الغاضبة من كذب أبيها، وبدت في تلك اللحظة على جراندو علامات الاختناق وبدأ يترنح مثلما تسقط الأوراق من الأشجار الشاهقة، لم يفصله عن الموت سوى لحظات معدودة شهد بها دموع ابنته وهي تزج به لعداد الموتى، ريثما ارتدى فؤاد القلادة الخاصة بالفارس العظيم ووضع الناب بفك الحصان الذي انطلق بسرعة رهيبة ليبدأ رحلة البحث في أرض أخرى، قطع الحصان مسافة كبيرة أرهقت فؤاد كثيرا قبل أن تتوقف أقدامه فجأة تأكد فؤاد بأنه قد وصل، وراح يدقق البصر في كل شيء حوله وتعجب مما يرى، بيوت صغيرة على شكل أكواخ بدائية متفرقة في جانب واحد من الأرض، وبالجانب المقابل وعلى مسافة ليست بالقليلة هناك قصر شاهق الارتفاع ولكنه غامض ومظلم، والغريب أن ليس له سور عازل إنما تحُفُّه أشجار عالية لها أغصان متعرجة بشكل لافت من كل اتجاه، فذهب يدق باب أحد الأكواخ وكانت شمس الغروب تودع المكان، فما إن فتح الباب وجد فؤاد رجلا تظهر على وجهه علامات الخوف والرهبة، فبدأ يسأل الرجل فؤاد بلغة غير مفهومة حتى استطاع أن يفهم ما يقول عن طريق الإشارة:

- من أنت ومن أين أتيت؟

رد فؤاد بإشارات واضحة فقد سبق له وأن أتقنها أنه أتى إلى هنا في مهمة إنقاذ أرض أخرى، ولابد أن يعود إليها مرة أخرى، فهزَّ الرجل رأسه مبديا عدم فهمه لما يتحدث عنه الضيف الغريب، وأتبع متسائلا:

- ماذا تريد مني؟

قال فؤاد في لهفة كبيرة:

- أريد أن أعرف قصة هذه الأرض ولماذا لم أجد أحد الذي يتجول بطرقاتها ؟ وما قصة هذا القصر الذي يختلف عن أكواخكم الصغيرة؟

فحكى له الرجل عندما أطمئن له مبتدئا حديثه بعد تنهد كبير:

- هذا القصر سبب كل ما نحن فيه من هلاك وعذاب، حيث كنا نعيش في سلام ومحبه إلى أن أتت السيدة العجوز وتدعى بانكوڤا وابنتها ماريتا، وقامت ببناء هذا القصر في مساء.

فاندهش فؤاد واتسعت عيناه قائلا:

- هل ليلة واحدة تكفي لبناء قصر بهذه الضخامة والذي أن أجتمع مجموعة كبيرة من الرجال الأشداء سيستغرقون في بنائه ثلاثة أشهر علي أقل تقدير؟

هذا التساؤل سار حديث كل من علم بالأمر هكذا قال الرجل مقاطعا فؤاد وأتبع:

- لم يجرؤ أحد على الاقتراب من هذا القصر، فالكل هنا لا يعلم حقيقته ولا من أين أتت صاحبته بانكوڤا، وكانت سيدة طويلة لها عينان لامعتان وذات شعر أسود طويل يكاد يصل إلى قدميها رغم كبر عمرها الواضح من تقسيمات وجهها الذي نالت منه التجاعيد مقاما كبيرا، وكانت تحمل في يديها أفعى كبيرة قد التف جسدها حول عنق بانكوڤا



وكانت لا تظهر بدونها وكانت هذه السيدة مخيفة غريبة الأطوار إلى حد كبير تطوف كل الأماكن دون أن تتحدث مع أحد، والكل كان يخشاها ولكن على النقيض تماما ابنتها ماريتا، فكانت شديدة الجمال حيث لها طول مناسب وقوام ممشوق وشعر بني متدل على بشرتها الناعمة البيضاء، فكان يعكس أشعة الشمس على وجهها ليجعلها أكثر إشراقا، وكانت رقيقة في تعاملاتها مع الجميع وعندما كان يسألها أحد عن والدتها بانكوڤا وطقوسها المريبة تقول أن والدتها تعاني من مرض نفسي، وترجو من الجميع عدم مضايقتها لكن كان يتضح أنها على خلاف حاد مع والدتها، ظهر ذلك في أكثر من مناسبة فكانت بانكوڤا ترفض سلوكيات ابنتها في أن تتعامل ببساطة،وتنشئ علاقات مع العامة، وكانت ماريتا قد أحببت شابا وعندما اتفقا على الزواج ذهب إلى قصر بانكوڤا يطلب الزواج من ماريتا، فكان رد السيدة العجوز قاسيا فوق الوصف، حيث نظرت إليه باحتقار وغضب وهي تمد يدها التي تحمل الأفعى الكبيرة لتقوم بلدغ هذا الشاب بسرعة فائقة لدغة مميتة أزهقت روحه في الحال، ومن هنا صار الجميع يخافون بل يرتعدون من رؤية هذه السيدة العجوز، ورفضت ماريتا تصرف والدتها في غضب شديد وكانت أصواتهم تتعالى في المساء حيث يسمعهما كل من كان على مسافة قريبة من القصر، وكانت



بانكوفا تضع عقدا صغيرا به ناب يبدو أنه لحيوان حول
الحية التي ترافقها، وكانت تبدو على ما ظن الجميع أنها
ساحرة وكل ما تقوم به هو من قوة استمدتها من تلك الأفعى
غريبة الشكل، وكانت تضعها أيضا بجانبها أثناء النوم فقط
وذات ليلة بعد أن غطت بانكوفا بالنوم أتت ماريتا بخنجر
كبير وغرسته في رأس هذه الأفعى لتقتلها وتأخذ العقد
الذي به الناب معتقدة بذلك أنها ستخلص أمها من الشرور
وما إن استيقظت بانكوفا ووجدت الأفعى مقتولة بجانبها
صاحت في غضب شديد باكية وهي تمسك بالخنجر الذي
قتلت به الأفعى وهو ملوث بالدماء وتقول بعض التمتمات
والطلاسم، ثم انطلقت نحو ماريتا لتجرح به ذراعها وتدفعها
إلى خارج القصر وتدع الخنجر يسقط قطرات الدماء وكل
قطرة تسقط على الأرض تنمو مكانها شجرة عملاقة، وبعد
أن أحاطت حول قصرها هذا الطوق من الأشجار الضخمة
غرزت الخنجر في عنقها هي لتلقى نفس مصير الأفعى
ومنذ ذلك اليوم لا تخرج ماريتا من القصر ولا يستطيع أحد
البقاء في أي مكان خارج منزله بعد غروب الشمس بدقيقة
واحدة، حيث أن كل هذه الأشجار الضخمة حول القصر
تتحول أغصانها المتعرجة إلى أفاعي تزحف في كل مكان
تقتل كل من تقابله وتتغذى على دمائه، ثم تعود إلى القصر
وتأكل ماريتا يوميا أحد هذه الأفاعي، فقد أرادت بانكوفا

قبل أن تقتل نفسها حزنا على الأفعى التي كانت تقدسها أن تجعل حياة ماريتا ابنتها أسيرة لهذه الأفاعي لكي تندم على فعلتها متى بقيت حية، وبعد أن سقط الكثير من القتلى بسبب هذه الأفاعي التي تزحف بعد الغروب لتنقض على فرائسها، التزمت الناس بيوتها بعد غروب الشمس خوفا ورعبا، ففكر فؤاد في بادئ الأمر أن يقتلع هذه الأشجار لكنه سرعان ما تراجع عن هذه الفكرة، حيث أن ذلك سوف يستهلك وقتا طويلا يمتد إلى شهور كثيرة، وسوف يسقط كثيرا من الأرواح وتستمر معاناة الجميع هنا ويظل قابعا في تلك الأرض.

ظل فؤاد يفكر كيف يُخلِّص أهل تلك الأرض من اللعنة التي حلت هم ويحصل على ما أراد من وجوده بها، متيقنا أن هذا عمل بطولي تصدى له مرددا:

- البطل هو شخص عادي بالأساس استطاع التخلص من نقاط الضعف والخوف والاستسلام واليأس والقذارة والغدر، وتمسك بالشجاعة والقتال.

فتفتقت إلى ذهنه فكرة ربما تنتهي معها مغامرته في تلك الحياة، ذهب إلى تاجر بالطرف الشمالي من المدينة اشتهر بتجارة الأسلحة وابتاع منه خنجرا حادا معقوفا ودسه بملابسه التي كانت عباءة حالكة السواد، وأخفى وجهه بقلنسوة طويلة، واتجه يتحاشى الأنظار لا يلوي لى شيء وسط توهج حمرة الشفق قبيل أن يأتي الليل وتنطلق الأفاعي

في رحلتها اليومية للافتراس، واخترق تلك الأشجار العملاقة التي تفصله
عن ذلك القصر الملعون الخاص ببانكوڤا، وتسلل إلي داخل الحديقة
الوارفة ينظر مشدوها وقد اشرأبت عنقه تجاه القصر الشاهق والتعجب
لازال يرتسم على وجهه لما يراه وعقله يعج بالأسئلة، كيف لهذا القصر
الأثري العتيق أن يكون قد أنشئ منذ عدة سنوات فقط ؟ وتسلل إلى أحد
المداخل الخلفية الصغيرة واختبأ بداخلها حتي الهزيع الأول من الليل
ودلف إلي باحة القصر وصعد سلما كبيرا تحف أسواره عدة رموز ورسوم
لحيوانات غريبة ذات أجنحة ضخمة، وبعد أن اجتاز السلم وجد أمامه بابا
ذهبيا كبيرا له مقبض على شكل أفعى كبيرة فأدارها برفق ودلف إلى داخل
الغرفة شاهرا سلاحه ليجد سريرا كبيرا تنسدل منه مفارش ذهبية، وبه فتاة
تحفة فنية تبارك الخالق في صنعها، فكان أول مرة يري فيها ماريتا نائمة
كالملاك ترتدي فستانا أحمر مثيرا يتناغم مع جسدها الأبيض، وشعرها
كسلاسل الذهب يكاد يختفي مع سترات السرير لولا بريقه الأخاذ، وحول
عنقها قلادة بها ناب الحصان الذي يبحث عنه، ولها شفاه صغيرة حمراء
كحبات الكرز فوق كأس من الآيس كريم، فتذوب من جمالها عشقا
قبل أن تتذوقها، ولها عود متناسق لم يخطر ببال أعظم الرسامين، فهمس
مادحا حسنها:

يا جلادي لا تكن قاسيا على جلودي المهترئة أراك مغصوبا
سل سيفك وأشهره لفؤادي
فقد خيل إليه أنه المسيح وينتظرك مصلوبا



ويداه ترتجفان ويتصبب عرقا، كيف يجرؤ أو يستطيع أن يهوي على صدرها بخنجره لكي يخلص الجميع من لعنة الأفاعي للأبد؟ فكان يرى أن تلك الفتاة ضحية الساحرة بانكوقا، وأن هناك سرا سيسعى لاكتشافه غادر غرفتها وعيناه اغرورقت بالدموع، حتى دلف إلى خارج القصر قاطعا الحديقة، فانزلقت قدماه في سلسلة حديدية في الأرض وسقط أرضا، ثم نهض وعدل من ملابسه ونظر لتلك السلسلة فوجدها متصلة بغطاء حديدي قطره أربعون سنتيمترا فأزاح الغطاء الحديدي بصعوبة بالغة، وهبط إلى داخله فوجد المكان مقفرا تنبعث منه رائحة نتنة وبه مصباح ناري خافت الإضاءة، حاول أن يرى أي شيء بداخل ذلك القبو المخيف فلم يجد أي شيء به سوى تمثال من الفضة على شكل طاووس رائع المنظر، وله ألوان بديعة متوسط الحجم حيث يصل طوله مترا ونصف وعرضه يصل إلى المتر، وأسفله هناك نحت لعدة رموز وطلاسم غريبة لم يستطع أن يفك ألغازها لكنه لاحظ أن ريشات ذلك الطاووس ينقصها ريشة مكانها فارغ، فتيقن أن عليه إيجادها لحل غموض ذلك المشهد، حاول تسلق الجدران لكي يخرج من فتحة هذا القبو السري فرأى رياح شديدة تهب بالأعلى وتمطر أوراق الأشجار عليه من أعلى، والباب الحديدي تدحرج وأغلق القبو عليه، فصرخ فؤاد من الفزع وتسلق الجدران وحاول زحزحة ذلك الغطاء، ولكنه فشل في ذلك وحاول مرارا وتكرارا ولكنه لم يستطع مطلقا تحريكه، وباءت محاولاته كلها بالفشل المطبق وأحس بالتعب الشديد المصاحب لليأس، فارتكن إلى جدران القبو حزينا محبطا ومر يومان عليه في ذلك المكان المقفر واشتد به الجوع والعطش والتعب، وسط



محاولات يائسة لخروجه من القبو، فأحس بقرب نهايته فاستجمع
وظل يركل تمثال الطاووس بغضب شديد فظهر شيء غريب، حيث
التمثال أرضا ووجد أسفله سردابا عميقا مجبر من أراد أن يدلف لداخ
أن يسجد على ركبتيه، وقد فعل فؤاد ذلك في محاولة أخيرة لكشف
أغوار ما يحيط به من ألغاز، ودلف فؤاد بالداخل وقطع مسافة كبيرة
حتى وجد نفسه داخل غرفة أخرى شبه مظلمة لا يضيئها سوى رسم
مضيء على الحائط، كان الرسم لأحد المحاربين الهنود الحمر الأصليين
ويزين التاج الذي يرتديه ريشة ملونة وجدها مطابقة لريشات الطاووس
فسار في تؤدة تجاه رسم المحارب، وحاول أن ينزع الريشة التي كانت
على الحائط في تاج المحارب فوجد المحارب يتجسد أمامه في شكل
محارب حديدي ويدفعه في صدره، فسقط فؤاد علة الأرض وقلبه يكاد
يتوقف من هول الفزع الذي اجتاحه، وحاول أن يستجمع قواه ليصمد
فوجد على الحائط سيفا معلقا فأخذ يبارز به المحارب لكنه لم يستطع أن
يصد قوته الرهيبة، فدفعه المحارب بقبضة يده فانكسر السيف في يد فؤاد
وسط دهشة ورعب يغزوان عقله، وفؤاد مستلق على الأرض لم يستطع
الحركة من الألم، أو ربما شلت حركته فلم يعد يدري واندفع المحارب
يحمل حربته وقفز لأعلى وصوب رأس حربته اتجاه صدر فؤاد الذي أيقن
أنها النهاية، وقبل أن تصل الحربة إلى صدره تدحرج فؤاد من مكانه قليلا
فغرز المحارب حربته في الأرض، ونهض فؤاد بسرعة فائقة واقتنص ريشة
الطاووس من تاج المحارب، فخارت قوى المحارب الحديدي وصار
كتلة من الحديد المنصهر في مشهد عجيب أمام أعين فؤاد الجاحظة



من روعة المفاجأة، فأخذ فؤاد يهم عائدا حيث أتى من السرداب، حتى وصل إلى غرفة الطاووس وعدل من وضعية التمثال مرة أخرى ووضع الريشة التي كانت تنقصه فوجد أن الطاووس فاغر فاه وخرجت منه أفعى ضخمة جدا، فظل ينظر إليها مشدوها لا يحرك ساكنا، تكاد دقات قلبه تكافئ دقات طبول الحرب في قوتها فاخترقت الأفعى الضخمة الغطاء الحديدي للقبو وأزاحته وصعدت لأعلى، وصعد فؤاد يتبعها ينظر بعيون ملأها الدهشة، ماذا يحدث؟ فوجد الأشجار المتحولة لأفاع حيث كان الغروب قد حل والأفعى الكبرى التي كانت في باطن الطاووس تلقف كل تلك الأفاعي وتفترسها واحدة تلو الأخرى، وتضرب الأشجار بذيلها وتقتلعها من جذورها في مشهد مروع حتى انتهت منهم جميعا، ودخلت الأفعى الكبرى إلى باحة القصر ويتبعها فؤاد حتى صعدت لغرفة ماريتا وافترست الأفعي التي كانت تلتف حول يدها، واستفاقت ماريتا وكأنها كانت في حلم مرعب، ولكنها كانت تحت تأثير سحر بانكوڤا، واقتربت من فؤاد وأطلقت في وجهه ابتسامة ساحرة اقشعر لها بدن فؤاد، وعمت الفرحة أوصاله وشكرته لإنقاذها من سطوة الشيطان وسلمته القلادة التي كانت في عنقها، وبها ناب الحصان الذهبي ودلفت مع فؤاد إلى خارج القصر الملعون الذي لم يعد له أثر كما ظهر فجأة في المدينة انتهى أمره وتخلصت الناس من اللعنة، وعادت ماريتا تلك البنت الرقيقة التي أحبها أهل المدينة قبل أن تلوثها شرور سحر بانكوڤا، وقام فؤاد بتوديعها وهو ينظر إلى وجهها فيرى حبيبته ليزا وتتسرب تلك الكلمات لقلبه:

- أيها الرامي لا تجعل سهامك تخترق عنقي، يكفيك ما بـ
ضلوعي، لي حبيب يحتل أنفاسي، أخاف أن تزعجه سهامك
فقد ضاق ذرعا من دموعي...

وقام فؤاد بتوديع أهل المدينة بعد أن خلصهم من اللعنة التي جثمت
على قلوبهم طيلة وجود قصر بانكوفا، ابتعد فؤاد عن الأنظار حتى وصل
إلى أحد الغابات في جنوب المدينة، وقام بتركيب النابين اللذين حصل
عليهما أثناء مخاطرته في أرض المهالك للحصان الذهبي، وأطلق سا
حصانه للريح متجها في رحلته إلى أرض مو لكي يحصل على براءته
أمام أهل الأرض من التهم التي ألصقها به ڤاستن، ولكي ينتصر عليه
ويستطيع استكمال رحلته في العودة من تلك الأرض، في صباح اليوم
التالي حدث أمر جلل، فقد وقف أهل مو مهللين سعداء بعودة الأراضي
المفقودة منتظرين وصول الحارس الأسطوري رسول الشمس في ساحة
الحصان الذهبي، متلهفين لرؤية الفارس المغوار، تيقن هنا ڤاستن لخطر
داهم يلوح في الأفق يتمثل ذلك في عودة فؤاد ظافرا بالنصر، لكنه تساءل
متعجبا وبشدة:

- كيف خاض هذا الفتى الأحمق رحلته إلى الجحيم المجهول
وعاد سالما؟

صاح بغضب شديد في حراسه لكي يحضروا في الحال، وأمرهم
باعتقال فؤاد لحظة وصوله على مشارف الأرض، وأن يقوموا بإيهامه بأن
الملك ڤاستن في انتظاره في باحة القصر الملكية لكي يقوم بتكريمه في
حفل أسطوري يجتمع فيه كل أهل الأرض، وبعد أن يصل إلى القصر

يضعون الأغلال في يديه ويقتادونه إلى السجن السري بالقصر، حتي ينتهي من تصنيع أكبر مقصلة تكتب نهايته أمام عامة الشعب، والتهمة لا يختلفون بشأنها فهي بانتظاره فقط عليهم إحضاره، وقبيل الغروب كان قد وصل فؤاد على حصانه ووجد حراس ڤاستن في استقباله على مشارف حدود مملكة أرض مو بكل ترحاب، وأبلغوه أن الملك ڤاستن أعد له حفل تكريم لأنه أعاد لهم الأرض المفقودة، وحين وصلوا إلى القصر نفذوا ما أمرهم به ڤاستن، وقاموا بوضع الأغلال في يده وزجوا به في غرفة السجن السرية أسفل القصر الملكي، وهنا دعا ڤاستن عامة الشعب للحضور في صباح الغد للإعلان عن أخبار مصيرية هامة، وزادتٌ الهمهمة بين الناس يتنبؤون ما هي تلك الأخبار، بعضهم ظن أنها خاصة برسول الشمس، وآخرون أيقنوا أنها خاصة برجوع أراضيهم التي فقدت منذ زمن بعيد وكيفية استغلالها، وأتى الصباح والجموع الحاشدة تنتظر في ترقب ورهبة شديدة دبت في أرجاء المكان قبالة باحة القصر الملكي، وطل عليهم ڤاستن بوجه عبوس صارم وألقى التحية على الجموع وأبلغهم بنبأ القبض على الخائن فؤاد الذي أستطاع التلاعب بهم حين اعتقدوا أنه رسول الشمس والفارس الأسطوري حارس الأرض، وما هو إلا خائن أتى إليهم من قبل الكائنات الفضائية التي هاجمت تلك الأرض منذ زمن سحيق، ليهددوا أمننا ويقومون باحتلالنا، زادت الهمهمة والأحاديث الجانبية بين الجموع غير مصدقين، وقبل أن تتصاعد تلك الأصوات قام ڤاستن بالإشارة بأصبعه تجاه ساحة الحصان الذهبي التي كانت تبعد قليلا من باحة القصر قائلا:



- عليكم بالتوجه إلى الساحة لتشاهدوا صدق حديثي هذا
واتجه الجمع مترقبين لما سيحدث مشدوهين، وما إن وصلوا
إلى هناك وجدوا الحصان قد عاد إلى هيئته السابقة
ذهبي ينقص فكه نابان، وبالتبعية اختفت الأرض المفقودة
مرة أخرى، صدم الجميع واشتد بهم الغضب وهتفوا بإعدام
الخائن فؤاد، وكان فاستن قد هشم أنياب الحصان وأعاده
إلى ساحته قبل عقد ذلك الاجتماع ليثبت للجميع خيانة
فؤاد ويتخلص منه للأبد، بين جدران هذا السجن الكبير
الذي وضع به فؤاد راح يتأمل المكان الذي ربما يكون
هو آخر ما تراه عيناه لا يوجد به غير نافذة صغيرة جدا
في السقف تكاد لا ينفذ من خلالها شعاع ضوء القمر
ولكنه وجد رسما صغيرا على الجدار فدقق إليه البصر، إذ
رأى العملة الذهبية لقرص الشمس مكتوب تحتها: يجب أن
تعود لأصحابها وإلا أحرقت هذه الأرض.

فتعجب فؤاد مما رأى وتساءل في قرارة نفسه من كاتب هذا النص
ولماذا سجن هنا ؟ وماذا كان مصيره؟ وهنا أشار فؤاد لحارس زنزانته
وطلب منه أن يخبره هل هناك من سبقه ودخل هذا السجن فحكى له
الحارس لإيمانه بالظلم الواقع على فؤاد قائلا:

- منذ عدة سنوات حدث أمر مفزع رهيب جدا في السماء
وكان في هذا اليوم هناك احتفالية كبرى أعدها الملك
ديسترون ليحتفل وسط الشعب بأنه جاءته رسالة من الشمس

كان ينتظرها منذ سنين بعيدة لكي تحمي تلك الأرض من الأعداء المتربصين بنا.

وريثما يلقي خطبته على الشعب ظهر شيء ضخم جدا في السماء له أضواء مبهرة كادت أن تخطف أبصارنا للأبد من شدتها، وفجأة ظهر على الأرض طفل واختفى هذا الشيء الذي أتى به في السماء وأمسك به حراس الملك وأخذه الملك وانفرد به في غرفته ثم أمر الحراس أن يقتادوه إلى هذه الزنزانة في نفس هذا السجن، وبعد ليلة قضاها هذا الطفل هنا أمر الملك ديسترون الشعب أن يجتمع في ساحة الحصان الأسطوري، وأعد مقصلة كبيرة جدا لينفذ حكم الإعدام في هذا الصغير رسول أعدائنا، والآن فؤاد يسمع وهو يرتعد من الخوف فهو يعلم تمام العلم أن هذا الطفل هو أخوه سامر، وأتبع الحارس بأن هناك لغزا كبيرا حدث وأشد غرابة من كل ما سبق:

- حيث أنه عندما أحضر الملك الطفل والذي اتهمه أمام الشعب بمتلصص جاءت به أعداء هذه الأرض ليتم مخطط احتلالهم لنا، هؤلاء الذين يريدون بنا شرا لكنهم سوف يرون الآن مدى قوتنا في نحر أعدائنا حينما نقصف برأس رسولهم الصغير، وعندما أسقط رأس الطفل على الألواح الخشبية وقبل أن تقصفها تلك المقصلة العملاقة ظهر فجأة هذا الشيء في السماء مجددا بأضوائه القوية الباهرة واختفى ثانية واختفى معه الطفل في مشهد أذهل الجميع ولم نعلم من هؤلاء أو ماذا يريدون؟ وألسنة الجميع تتحدث عن اختفاء الطفل الصغير وظلت هذه القصة تتردد طويلا.

ثم تركه الحارس وانصرف، تنفس فؤاد الصعداء عندما علم بمصير أخيه وراح يتأمل كل ما حدث:

ـ لماذا هؤلاء الكائنات استخدموا سامر كأداة تواصل مع الملك؟ ربما هذا لأن الملك ديسترون عثر على تلك العملة الذهبية مع ليزا دون أن يخبر أحدا بها وعندما تفاوض أبي سامر معه رفض أن يعطيه إياها وحاول قتله قبل أن يمتلكها هؤلاء الغرباء الذين يظهرون في السماء، والآن علي إيجادها بأي طريقة تلك العملة اللعينة كي يعود أخي قبل أن تدمر هذه الأرض، ولكن كيف وأنا قابع هنا وسط هذه الجدران الحصينة؟ لابد من طريقة للفرار...

من هنا لاحت له فكرة بما أن أخاه كان هنا ربما حاول أن يجد له مخرجا وظل يتأمل المكان أكثر وأكثر، حتى وجد أسفل أحد الجدران قطعة حجرية كبيرة تبدو كباب صغير ويظهر به فتحة صغيرة جدا لمفتاح حاول أن يرفعه أو يحركه، أو أي شيء لكنه لم ينفتح حتى تذكر أنه يمتلك مفتاحا صغيرا كان عثر عليه ذات يوم في الحجر الهرمي، والذي فتح به أيضا باب أرض مو، ولحسن حظه أنه لازال يحتفظ بهذا المفتاح، فعندما جرب فؤاد إدخال المفتاح في هذا الباب الحجري الصغير الذي لم يكن ظاهرا في جدران زنزانته، تحرك الحجر للداخل ودلف فؤاد من خلال هذه الفتحة الصغيرة التي أحدثها تزحزح الحجر، ثم أعاد الحجر في مكانه بالجدران حتى لا يكتشف الحراس أمر هروبه، فرأى شيئا عجيبا

للبشر في مكانه لغرابته، غابة من الموتى وكأنه قبو سري لسفاح أخفى فيه ضحاياه به، وكانت هذه الجثث ترتدي كلها ثيابا بيضاء إلا امرأة واحدة ذات ملابس سوداء، وتوجد جذور لشجرة كبيرة عملاقة يجلس بجوارها رجل عجوز جدا طاعن بالسن، له لحية كبيرة بيضاء وشعر أشعث أبيض بفعل الشيب يصل إلى صدره النحيف والذي تكاد لا ترى له لحما بل مجموعة عظام متشابكة، ووجهه له تجاعيد تشبه أمواج البحر في تلاطمها، وكان يتكئ على سيف كبير لامع يكاد يضيء من كثرة بريقه، أخذت أقترب منه سيرا حثيثا شيئا فشيئا وهو لم يتحرك حتى جلست بجانبه فنظر لي وابتسم قائلا:

ـ لقد تأخرت كثيرا علي، فأنا أنتظرك من آلاف السنين...

اندهشت جدا من ذلك الحديث ولم أنبس ببنت شفة ثم أتبع حديثه قائلا:

ـ لا تتعجب أعلم أنك لم تعي ما أخبرتك به لكن دعني أشرح لك، اسمي شوبان كنت أحد أفراد جماعة كبيرة من الكائنات كانت تسمى هيرطاقيا، كنا نعيش بالفضاء الشاسع بمجراته وكواكبه الكثيرة منذ آلاف السنين ونحن نسيج واحد لمجموعة واحدة بها مئات الكائنات التي تعيش بالفضاء، لكننا أكثرهم سلما فيوجد بين هذه المجموعات كائنات شديدة الشراسة والقوة، فيستطيع كائن واحد ابتلاع شجرة طولها عشرة أمتار أو يقصف برأس أسد بمِخْلبه فقط



ليسقطه صريعا، وتجمع بيننا صفات خارقة عديدة بل التخفي وجذب الأشياء عن بعد مئات الأمتار، لنا قدرة على التشكل في عدة صور يقال أننا جئنا نتيجة تزاوج الجن بسيدة الكواكب السوداء، وهي كانت أول من أضاء بتلامس أقدامها كثيرا من الكواكب المعتمة، فكانت هي السيدة بنت الشمس، لم نعلم كيف حدث هذا لكن كما أخبرنا أسلافنا الأولون أروي لك، وأعمارنا تصل لآلاف الأعوام، لا نأكل لا ننام لا نتكاثر لا يموت أحدنا إلا إذا لم يحتفظ بعقل المو الخاص به، وكان هذا العقل على شكل قطعة ذهبية دائرية الشكل بها رسم للشمس مضاء كامل قوتنا، وكان له مكان برأس كل منا ومن يفقده يظل هزيلا جدا ويفقد كل صفاتنا وقوتنا الخارقة، ويتبع ذلك الموت المحقق، وهناك حروب كثيرة دارت بالفضاء بين هذه الكائنات بحثا عن الزعامة، فقدت خلالها الكثير من الكائنات عقول المو، ولذلك هبطت للأرض للبحث عنها لإنقاذ من يواجه الموت منهم، أما هيرطاقيا كانت تريد العيش في سلام، نطوف حول النجوم والكواكب نبحث عن حلقة اتصال بكائنات أخرى فنحن نعلم أننا سنستمتع في العثور على غيرنا من الكائنات، ربما أقل عقلا أو أكثر تقدما لا يهمّ، نحن لم نرد الهجوم على أحد ولا نرغب سوى في العيش بسلام على الأرض لذلك تركنا حروب أسلافنا من الكائنات الأخرى في الفضاء، وبرغم هبطنا



التي تبدو بالنسبة لسكان هذه الأرض مخيفة ومرعبة وقوتنا الهائلة فنحن لم نسع يوما للقضاء على هذا الجنس البشري، بل على العكس قمنا بالبحث عن مكان أو كائنات أخرى لنتعايش معها، وكانت لنا مركبات فضائية هي ما نستخدمها في طوافنا حول الكواكب والنجوم نحن نقدس الشمس كثيرا فهي أكبر قوة عرفناها، ولذلك كانت تهبنا عقول المو الشمسية الشكل والرسم والتي بدونها نضعف ونتلاشى ونقتل وتغضب علينا الشمس، ولسبب وجودنا مع بداية الخليقة منذ ملايين السنين كانت لنا هذه الهيئة العملاقة والقوة الهائلة التي ساعدتنا على التعايش مع الفضاء الشاسع القاسي، وذات يوم أثناء بحث أحد مركبات هيرطاقيا حول الكواكب وجدت أرض كبيرة ممهدة وعليها كائنات أخرى تختلف عنا في كثير من الصفات الشكلية والعقلية والبدنية، وبالفعل أتينا وهبطنا على هذه الأرض لكي نتعايش مع أهلها ولكن قامت في هذا الوقت معركة طاحنة بيننا وبين الجيوش الجرارة لمملكة أرض مو كنا الخاسرين فيها، فلم نكن مستعدين للقتال ولا نرغب به ولا نحمل أسلحة، وكنا نواجه جحافل من الجيوش المنظمة التي لها ترسانة كبيرة من الأسلحة ألحقت بنا هزيمة نكراء وفقدنا كثيرا من عقول المو ذات المعدن الذهبي والتي أضعفت قوانا، وقتل كثير منا ولم يلذ بالفرار إلا القليل جدا...



وقاطعه فؤاد هنا قائلا:

- من أتى لك بهذه الهيئة الشكلية التي تشبه سكان الأرض؟

أجابه شوبان:

- بعد هذه المعركة التي هزمنا فيها، أسرني الملك [illegible] الذي كان يحكم هذه المملكة وقتها وهو كان ساحرا عظيما وأراد أن يعلم مني سر هبوطنا إلى هذه الأرض، وبعد أن أخبرته بالقصة كاملة أثنى عليّ وغير هيأتي الشكلية لتكون مناسبة أكثر مع طبيعة البشر، وأعطاني هذا السيف وأخبرني بأن لن يؤذيني أحد مادام معي وبخصوص هذه الشجرة التي أجلس أسفلها فهي تدعى ماجنوم وحقيقتها هي أثناء معركة التي دارت هنا سقطت إحدى الثمرات من على مركبتنا وكنا نحب تذوق هذه الثمار فقط دون أن نأكلها فنحن كما أخبرتك لا نأكل، وكانت هذه الثمرة تسم ماجنوم وهي عبارة عن كتل مطاطية صغيرة سوداء تشبه قطع الفحم وجدناها على كوكب بلوتو وكان لها مذاق نتلذذ به، فلما سقطت على الأرض أنبتت هذه الشجرة ماجنوم، وتطرح هذه الثمار السوداء إلى الآن، أما عن هذا القبو الذي نقبع فيه الآن ومليء بكل هذه الجثث فهؤلاء الموتى في الثياب البيضاء كل من قتل ظلما تحت يد الملك ديسترون وقذف به إلى هنا، أما هذه السيدة ذات الرداء الأسود فهي زوجة الملك ديسترون وتدعى ليديا، فهي لم تقتل ظلما وربما كان

الملك على حق في قتلها فهي كانت تخونه، أنظر لها وتأمل هيأتها فرغم كونها قتيلة لكنها تكاد تكون حية أو لديها شيء تريد قوله...

قاطعه فؤاد:

- قلت أنك كنت تنتظرني منذ زمن بعيد لماذا؟

رد شوبان:

- هذا لأني كنت أعلم أن هناك من سيأتي ذات يوم بمفتاح هذه الأرض ومعه عقل مو الذهبي، أو كما تحب أن تقول العملة الذهبية لقرص الشمس التي ستبقي هيرطاقيا على قيد الحياة وستمنع الشمس من تدميرنا لغضبها علينا، وأعلم أن أسلافي سيأتون للبحث عن عملاتنا هنا وسينتقمون من مملكة أرض مو، ولتعلم أن باستطاعتي التواصل معهم ليأتوا مرة أخرى عن طريق إطلاق ذبذبات تحمل إشارات من جسدي تعبر ملايين الأميال ليسمعوني، فالتواصل بيننا يعبر كل العصور والأزمنة مهما أبعدتنا الحواجز لنا قدرات لا يعلمها أحد، سترى بنفسك كيف سيندم سكان هذه الأرض على ما ألحقوا بنا من أذى ذات يوم.

فسأله فؤاد:

- هل انتظرتني كل هذه السنين لاعتقادك أنه معي هذه العملة الذهبية ؟

فقال شوبان بنظرة فيها ثقة كبيرة:

ـ لا يهم إن لم تكن معك الآن ما يهمني أنك من سألني ... إلى هنا...

وسأله فؤاد عن أخيه سامر يخشى أن يصيبه مكروه فأجابه شوبان:

ـ ألا تعلم أننا لا نريد به سوءا ونحن من أنقذناه من الموت قبل أن تقصف عنقه مقصلة الإعدام التي أعدها له الدكتور ديسترون ؟ عليك أن ترد لنا بعضا مما قدمناه لأخيك في إبقائه على قيد الحياة، أكرر لك أننا نريد عقل مو الذهبي بأي ثمن قبل أن يلحق الدمار بهذه الأرض على أيدينا جزاء للإثم الذي اقترفوه في حقنا...

وهنا بدأت أعين فؤاد تغفو من كثرة التعب فافترش الأرض ليأخذ قسطا من الراحة وسط كل هذه المتاعب، وفجأة حدث أمر غريب حيث أن جثة السيدة ليديا ذات الرداء الأسود التي كانت ملقاة بأحد الجوانب بتلك المقبرة الكبيرة التي شاءت الظروف أن يتواجد بها، تقف على قدميها وتتحرك نحوه ممدودة اليدين وترتسم على وجهها ابتسامة رقيقة، وهنا ارتعد فؤاد ونهض من مكانه وتسمر به مما حدث واقترب من شوبان وسأله:

ـ هل رأيت ما حدث الآن؟

فرد شوبان:

ـ عن أي شيء تتحدث ؟



قال له:

ـ السيدة ليديا تتحرك نحوي...

قال له شوبان:

ـ لا شيء من هذا القبيل قد حدث، أو على الأقل لم أر شيئا.

ثم ألقى فؤاد برأسه على الأرض مرة أخرى إثر الارهاق وراح في نوبة من النوم، إذ به يرى كل هؤلاء الأموات فقط رؤوس بلا أعناق أو أجساد تقترب منه وتحوم حوله وهم يحدقون به البصر وعيونهم تمتلئ بالغضب وهو يرتجف من الخوف، فلم يعبر صوته حنجرته معلنا عن صرخة مرعبة تصف حاله حتى اقتربت السيدة ذات الرداء الأسود منه ونظرت إلى هؤلاء الموتى فعادوا إلي مواقعهم، واقتربت هي أكثر من فؤاد قائلة:

ـ نجاتك في يدي...

فرد عليها فؤاد:

ـ كيف ذلك؟؟

فقالت:

ـ أنا لم أقترف ذنبا كي يقتلني الملك دون أن يدافع عني أحد من أتباعه الحمقى، فأنا كنت لا أحب الملك ديسترون من البداية ولكنه كان يأخذ كل شيء غصبا، كنت أحب شابا بسيطا وكنت في قمة السعادة حتى رآني الملك ذات يوم في أحد المناسبات التي كان يخاطب فيها الشعب، وفتن بي كثيرا وطلب من حراسه أن يأتوا بي إلى قصره، وعندما

أصبحت أمامه قال لي: أتريدين أن تصبحي ملكة
قصورا ويطاع أمرك؟

فقلت له:

- بل أريد فقط أن أبقى مع من أحبه قلبي...

فقال لي:

- ألا تحبين الملك؟

فقلت:

- لم أجد بقلبي مكانا ولو بسيطا أحب به شيئا آخر
من أحببت...

فقال لي:

- ومن يكون هذا الفارس الذي يسعده الحظ أكثر من
تلك المملكة؟

فكنت أعلم إن أجبت ماذا سيكون مصيره، فالْتَزَمْتُ الصمت
سؤاله، فقلت:

- هذا شيء لم يهمَّ أحدا غيري...

وهنا رد الملك قائلا وابتسامة صفراء تحتل وجهه لم تخف
من عينيه:

- غدا سيحتفل معنا هذا الشعب بزواجنا، الآن عليك
بالاستعداد، وأمر خادمتين كانتا بالقصر بتجهيز العروس
للاحتفال وبالفعل تم الزفاف رغما عني لكني قطعت عهدا
على نفسي أنه لن يحصل يوما على قلبي أو مشاعري، فقط

جسدي المتبلّد الذي أصبح جثة فارقتها الروح إن كان يعجبه هذا، وكنت أتواعد سرا بمن أحب فأنا لم أخدع الملك ولم أحبه يوما وكنت أعلم أنه يخونني ولم أغر عليه يوما فهو لم يشمل ذرة غبار من اهتماماتي، وعلم الملك ذات يوم بأمر لقاءاتي السرية مع الشاب الذي أحببته وكان يدعى ألبرتساندرو، فأمر الملك الحراس باعتقاله وقال لي هذا العشيق سيكون مصيره العذاب طوال حياته، فلن آمر بقتله لكن سأجعله يتمنى الموت في كل ثانية من هول العذاب الذي ينتظره، أما أنت أيها الخائنة فمصيرك سيكون أسفل الشجرة ماجنوم في هذا القبو، وقبل أن يقتلني الملك أراد أن يعذبني.

وراح يصف لي حال البرت قائلا وترتسم على وجهه ابتسامة ساخرة:

- إنه سيكون سعيدا جدا في ذلك البئر العميق الذي لا يكاد ضوء الشمس أن يصل إلى أعماقه، وهو يقوم بدوران حجر كبير مدبب الأحداب، وهو يمزق جسده العاري كي يستطع جراء حركة دوران الحجر هذه أن يدور معه هذا العامود بطول البئر، والمتصل أعلاه بسلة من الفاكهة المعطوبة والفاسدة وإلى جوارها إناء من الماء العكر، حيث مع دورانه للحجر بالأسفل يستطيع أن يسقط عليه من السلة والإناء بعض من هذه الفاكهة، إضافة إلى قطرات من الماء ليواصل العمل كلما أراد، وقد أمرت أحد الحراس أن يمد هذه السلة

والإناء بأقذر الفاكهة وأعكر الماء في كل مرة يذهب هذا الحارس ليمد العشيق السعيد بالمؤن والذي لا يعرف مكانه سوى تلك الحارس فقط، أخبرتك بأمره الآن ليطمئن قلبك أنه في غاية السعادة...

ثم تنهدت وقالت وهي تدور على كعبيها حول فؤاد:

- أريد منك أن تأتي بألبرت إلى هنا حيث أمكث أسفل ماجنوم فمازالت جوارجي تذوب من الاشتياق إليه كل ليلة، وأريد أن أسكن روحه للأبد.

وهي تتوسم في رسم لحبيبها قامت به على جذور الشجرة قائلة:

(ألقيت بي في بحر الظنون ما بين حبك وأي شيء أخر جنون فيهب ربيع قلبي في جو خريفي.

إن كان لي أمنية أخيرة قبل الغرق فأعلم أنها رؤية عينيك طول نجاتي ومجاديفي)

وأتبعت حديثها لفؤاد:

- أعدك بأن أخبرك عن مكان ما تبحث عنه...

فنظر لها فؤاد بعينيه المتسعتين فاغرا فاه من هول المفاجأة، وأتبعت ليديا:

- أعلم أنك تبحث عن المكان السري الذي احتفظ الملك فيه بكل أسراره، أعلمه جيدا هذا إذا كنت تبحث عن طريق نجاتك فقط، كل ما عليك تنفيذ ما أمرتك به...

فحدث فؤاد نفسه عن روعة الحب الذي يدب في أوصالها والنظر إلى حاله قائلا:

ـ لن يحيي رماد قلبك سوى امرأة مشتعلة بالأنوثة، فإن لم تجدها فأوقد النيران في من تحب...

وهنا نهض فؤاد من مرقده وجثى على ركبتيه ينظر حوله فقد استفاق من غفوته لكن دون فزع أو صراخ مما رأى وكأنه كان مستيقظا ويعيش واقعا يحدث أمامه ولم ير حلما، ونهض على قدميه وسار في تؤدة يقترب من ذات الرداء الأسود فوجدها تبتسم وتومئ برأسها كأنها تؤكد له ما رأى، وذهب إلى الرجل الطاعن بالسن شوبان وهو في حيرة من أمره، وطلب منه السيف الذي يتكئ عليه والذي كان أعطاه له الملك ساجمون كي يحميه من المخاطر قائلا:

ـ أريد هذا السيف فتنتظرني كثير من المعارك مع الصعاب، ولابد من خوض غمارها لكي آتي لك بما طلبت مني.

فوافق شوبان قائلا بوجه يشوبه القلق:

ـ عليك أن تعلم أن لهذا السيف الفضل في بقائي حيا إلى الآن.

وأعطاه السيف وقبل أن يهم فؤاد بالخروج قال له:

ـ طموحي ليس له سقف فأنا تعمدت أن أحقق أحلامي بالمسير قدما في طريق لا تتخلله المرتفعات التي ينتظر الغرور أعلاها ليسقط بصاحبه للهاوية.

وخرج من تلك المقبرة باتجاه الباب الحجري الذي دلف من خلاله إلى زنزانته بالسجن مرة أخرى ووضع الحجر مرة أخرى حتى لا يلحظه أحد، وقام بضرب باب زنزانته الحديدي بالسيف لينشق الباب بشكل عجيب، يا له من سيف له قوة إعجازية، هذا ما ردده فؤاد ليجد ثلاثة من الحراس أمامه فأشهر السيف بوجوههم ليرتعدوا ويولوا فرارا من الغرفة ليتركوه يمر إلى الخارج دون أدنى مقاومة تذكر منهم، فنظر فؤاد للسيف قائلا:

- يبدو أن هذا السيف مسحور وإلا لماذا أكد الملك ساجور لشوبان أنه لن يستطيع أحد أن يمسه بأذى مادام يمتلكه ؟

وأرتدى فؤاد زي أحد الحراس التي كانت في غرفة خاصة بهم بالسجن، وأسدل قلنسوته لتغطي وجهه، وانطلق في رحلة بحثه وفي طريقه وجد رجلا مسكينا يرتدي ثيابا مهترئة، فقام بتبديل ملابسه معه وارتدى الثياب القديمة ليبدو وكأنه أحد فقراء هذا الشعب، وأخفى السيف في طيات ملابسه حتى لا يكتشف أمرة وذهب إلى الغابات لعله يجد أثرا لهذا البئر العميق الذي في باطنه ألبرت، لكنه لم يجد شيئا وعاود البحث عن كل أماكن الآبار في المملكة، ووجد الكثير منهم لكن لم يتطابق أيا منهم بما وصفته السيدة ذات الرداء الأسود، فهو لم ير وجودا لسلة من الفاكهة أو إناء من الماء، وأتته فكرة مراقبة حراس الملك عن بعد حتى يعلم من هو الحارس الذي يقوم بالذهاب لألبرت ويقتفي أثره، وظل هكذا فترة طويلة ريثما كلف ڤاستن هذا الكاهن الذي استولى على حكم البلاد بخديعته الماكرة حراسه بإيجاد فؤاد لكي ينفذ فيه حكم الإعدام

بعد علمه بواقعة هروبه من السجن، وذات يوم وجد فؤاد أحد حراس الملك يحمل بعض الفاكهة الطازجة ويتجه إلى مكان بعيد بجانب النهر المطل على الغابة الشمالية للبلاد، وراح يراقبه بدقة وجثى الحارس على ركبتيه ووضع هذه الفاكهة في سلة أعلى فوهة فتحة البئر وقليلا من مياه النهر النقية بالأناء قائلا بصوتا جهور ناظرا لقاع البئر وصوته يتكرر ويرج المكان بأسره:

ـ لقد مات الملك ديسترون، وبهذه المناسبة أتيت لك بالفاكهة الطازجة والمياه النقية تناول ما شئت منهم فهي آخر مرة ستأكل فيها، لأنك سوف لا تراني بعد الآن...

وأصدر ضحكة عالية فزعت لها الطيور على أشجار الغابة، بينما هو يضحك ولم تعلن شفتاه عن انتهائه من ضحكاته الساخرة إذ بسيف كبير يخترق حنجرته ليفصل رأسه عن جسده لتسقط هذه الرأس بين أيدي البرت ليفزع لهذا المنظر بعد أن لطخته دماؤها المندفعة منها،ليناد‍ي بأعلى صوته لاعتقاده أن هناك بالأعلى من سينقذه ويقوم بإخراجه من دهاليز الظلام المطبق، فاقترب فؤاد والتقط سيفه بعد أن تخلص من هذا الحارس وحرره من شيطان نفسه، واقترب من البئر وبصوت يملؤه الحماس قال:

ـ لا تخف إني لمنجيك من هذا البئر..

وراح يجمع أعواد الشجر بالغابة ليصنع منها حبلا طويلا متينا وأسقطه إلى أسفل البئر ليتمسك به ألبرت ويقوم بعقد الطرف الآخر بأحد جزوع الأشجار القريبة من البئر، وقام فؤاد بسحب الحبل رويدا رويدا قبل

أن يطلب من ألبرت الالتفاف حول ذلك العمود الذي كان بطول عمق البئر، وبعد وقت ليس بالقليل وبعد أن أنهكت قوى فؤاد تماما استطاع ألبرت أن يرى النور مرة أخرى فوق الأرض، وهو في حالة فرح شديد لنجاته من الهلاك المحتوم، وهذه الحالة طغت على الحالة المزرية التي كان بها من هزل الجسد وشحوب الوجه، وسرعان ما راح يحتضن فؤاد ويشكره على إنقاذه لحياته، وقاطع فؤاد هذا المدح والثناء الذي انهال عليه من ألبرت قائلا:

- ألا تود أن تسدي لي خدمة

فانطلقت الكلمات من بين شفتي ألبرت:

- بل إني سأخدمك مادمت حيا.

فقال له فؤاد بهدوء:

- فقط اتبعني ولا تسألني عن شيء...

فأومأ برأسه بالإيجاب وذهب معه إلى حين وصلا إلى قصر الملك ديسترون، ولعلم فؤاد أن حارس باب القصر تنتابه نوبات النوم في الوقت المتأخر من الليل تخفيا بالقرب من الباب يترقبان الحارس حتى غط بنوبة من النوم، وتسللا إلى الداخل حتى وصلا إلى الشجرة ماجنوم بحديقة القصر، وقال فؤاد لألبرت هامسا:

- أحضرت لك مفاجأة هائلة بالأسفل...

فسأله ألبرت مذعورا:

- ما هي المفاجأة ؟هل الموت من خلال هذه الشجرة أصبح مفاجأة؟



فرد فؤاد غاضبا:

ـ ألم أطلب منك ألا تسألني عن شيء حتى أذكره لك؟

وقام فؤاد بالإمساك بسيفه موجها إياه إلى الأسفل وطلب من ألبرت أن يتمسك به، وقد دلفا سويا إلى تجويف الشجرة وقفزا إلى الأسفل، فسقطا إلى داخل المقبرة ولم يصبهما مكروه بقوة هذا السيف، وراح يبحث فؤاد عن صاحبة الرداء الأسود فلم يجدها وراح يسأل عنها شوبان هذا الرجل الطاعن بالسن الذي مازال جالسا في صمت، فوجد شيئا أرعب قلبه كثيرا، إذ بحية كبيرة جدا تلتف حول جسد شوبان بالكامل بعد أن قتلته، فهو فقد هذا السيف الذي كان يحميه من كل الحيوانات والأرواح وأي شيء يؤذيه، ولكنه كان لديه هدف ضحى من أجله وهو أن يساعد فؤاد أقرانه من الكائنات المشردة من جماعة هيرطاقيا، التي تعاني من جحيم الفضاء وسط حروب طاحنة على الزعامة في الانتقام من أرض مو، لاعتقاده أن حياته أصبحت لا تعني له شيئا، لذلك فرط في سيفه لصالح فؤاد الذي أشهر سيفه وقام بضرب الحية التي كانت مازالت تلتف حول جسد شوبان الهزيل، فانشقت الحية هي وجسد شوبان إلى نصفين، فانبهر من قوة السيف ولكنه رأى شيئا عجيبا كاد يفقده العقل، جسد شوبان المشقوق يذرف دماء غريبة اللون تميل إلى اللون الأزرق، وله عظام خضراء ذات بريق له لمعة كأنها مصباح ناري في ليل مطبق، فلامس بأصبعه هذه الدماء وأخذ يلعقها بلسانه عندما تذكر أخيه سامر وما حدث له من قوة مفرطة حينما عاد من عالم هذه الكائنات، فربما تطوله إحدى هذه القدرات الخارقة، وهنا اتجه فؤاد لألبرت الذي وجده جاثيا

علي ركبتيه واضعا كفيه على وجهه وهو يرتجف وقلبه يكاد ينفجر من شدة دقاته واندفاعها، فقال له ألبرت بصوت مبحوح لا يستطيع لسانه نطق الكلمات بشكل صحيح:

- أ أ تلك كانت المفاجئة التي كنت تخبئها لي ؟

وقبل أن يرد عليه فؤاد وجد رسالة على الجدار مكتوب عليها بالدماء:

- إن قتلت هذه الحية الكبيرة التي كان أنزلها الملك ديسترون إلى أسفل شجرة ماجنوم لترسو بأسفلها لتكون قناصة لأرواح ضحايا الشجرة ممن يغضب عليهم الملك، والتي تعتبر أكبر حية عرفتها هذه الأرض وتسمى ڤوتيلا، ستجد كنزا لم تتوقعه بداخلها، شيئا سيذهلك ويزلزل أركانك، حيث أن الملك ديسترون بكل تباه وغرور فعل شيئا غريبا لو كان حيا الآن لندم عليه كثيرا، فقبل أن ينزل بهذه الحية في تجويف شجرة ماجنوم لترسو بأسفلها، جاء بقطعة من الجلد وكتب بها مكان مفتاح خزائنه وأسراره، وجعل الحية تبتلع هذه الرسالة وكتب على شجرة ماجنوم بالأعلى: من يستطيع أن يأتي برأس ڤوتيلا فله خزائن الأرض وكنوزها... لعلم الملك أن هناك من يستطيع أن يبتلع مياه النهر بأكملها ولا يستطيع النجاة من ڤوتيلا ومصيره المحتوم أسفل ماجنوم...

وفي نهاية الرسالة الدموية على الحائط:



- لقد نفذت وعدي لك، وكنت أعلم أنك ستأتي بمعشوقي، لن يراني سواه بعد اليوم...

فعلم أن الرسالة كانت من ذات الرداء الأسود، ووقع بصره على الحية الممزقة أحشائها وسار نحوها لعله يجد تلك الرسالة التي كانت بخط الملك ديسترون، وريثما هو في طريقه إليها خطف ألبرت أنظاره إليه وهو يذهب ناحية جذور شجرة ماجنوم، ثم احتضنها في مشهد رومانسي تذوب له القلوب العاشقة، فاندهش فؤاد لغرابة المشهد ولكنه أيقن أنه الآن رفقة حبيبته ليديا ذات الرداء الأسود، وبدأت عيناه تلمع فجأة عندما وقع بصره على الرسالة الجلدية داخل أحشاء الحية ڤوتيلا، وأخذ الرسالة وهنا قرر الخروج من ذلك القبو الذي تملؤه رائحة الجثث بأن أمسك أحد جذور الشجرة ماجنوم وبدأ يتسلقها لأعلى لكي يخرج إلى النور مرة أخرى وقبل خروجه من تجويف الشجرة بالأعلى، ألقى نظرة الوداع على العشيقين وهو يقول لألبرت:

- ألم أقل لك أن هناك مفاجأة بانتظارك بالأسفل ؟

وكان خروجه لأعلى حديقة القصر الملكي إبَّان منتصف الليل حتى يستطيع المرور من ذلك الحارس الذي يغط في النوم في ذلك الوقت كل ليلة، وخرج مسرعا متجها إلى مكان بعيد على حافة النهر، ليقوم بفتح الرسالة ليعلم أين مفتاح كنوز وأسرار الملك كما روت له ليديا في رسالتها الدموية بالحائط، وإذ به يجد نفسه على أعتاب مرحلة جديدة من الشقاء، فكان مكتوبا بخط الملك ديسترون:

- قمت بكتابة هذه الرسالة وأنا على يقين أنه لن يأتي اليوم
الذي سيمسك بهذه الرسالة شخص خارق ليقرأها، بعد
أن تخلص من الهلاك ولكن إن تبدلت القوانين واستطع
المستحيل فلك ما وعدت به، اذهب إلى شمال النهر حتى
تصل إلى الغابة، أدخلها وابحث عن شجرة بها رسوم للحية
ڤوتيلا، إن وجدتها عليك أن تقوم بالحفر أسفلها حتى تجد
صندوقا صغيرا مرصعا بالماس بداخله مفتاح ذهبي، هذا
المفتاح خاص بالكنز والذي ستجد بجواره خريطة لمكان
الكنز، وبه كل ما أملك من أسرار لهذه الأرض...

وهنا اتجه فؤاد إلى الغابة وهو يعلم جيدا أن هذا السيف عليه عامل
قوي ومؤثر لحمايته من مهالك هذه الغابة المرعبة التي تعج بها الحيوانات
المفترسة، ولم يقترب منها أحد منذ زمن بعيد فخطورتها تجعلك تمر
بجوارها وتترك بها أكوام الذهب إن وجدت لتقي نفسك من الموت
المحقق، لكن فؤاد تسلح بعزيمة فولاذية وذهب إلى الغابة باحثا عن هذه
الشجرة التي عليها رسم للحية ڤوتيلا، مشهرا سيفه الذي يسبقه إلى رؤوس
وقلوب كل من هاجمه من حيوانات أرادت الفتك به لتسقطه فريسة لها،
وعيناه الزائغتان تطوفان بالمكان لربما تجد أثرا لهذا الرسم، حتى وقع
بصره بعد معاناة من البحث ومهاجمة تلك الحيوانات المفترسة التي لولا
ذلك السيف لأصبح وجبة شهية على مائدتهم، على هذا الرسم اللعين
الذي كاد يكلفه حياته على إحدى الأشجار وكانت ضخمة لها أغصان



متشابكة مرتفعة أوراقها تتساقط بكثافة، وكأن الملك ديسترون أراد أن يستنزف قوى من يحفر أسفلها وسط جذورها المتشعبة قبل أن يصل إلى هذا الصندوق، وبدأ فؤاد بالحفر بعد أن خلع سترته وقام بربطها حول خصره للإسراع في مهمته، وكان سيفه يساعده في اقتلاع أي عائق يطوله من جذور هذه الشجرة أو حيوان ضارٍ وانته فكرة أنه وجد ضالته في فؤاد، وأخذ يتعمق من جميع اتجاهات الشجرة حتى وجد أخيرا هذا الصندوق اللامع وقام في لهفة كبيرة بفتحه وهو يمني نفسه بانتهاء معاناته، وتصبح في يده القوة التي أرادها وهي كنز الأسرار المفقود، فوجد مفتاحا لونه وبريقه كاد أن يضاهي أشعة الشمس في لمعانها، وعملة ذهبية على شكل قرص الشمس مثل التي كان يمتلكها يوما ما قبل أن يفقدها علي يد الملك ديسترون وبجانبهما رسالة صغيرة مكتوب بها مكان كنوز وأسرار الملك ديسترون، وكانت على شكل خريطة وأسفلها عدة كلمات لم تكن واضحة، لكن الرسم كان يشير إلى إحدى الغرف أسفل بهو القصر الملكي يوجد بها رسم بجانب الباب لقرص الشمس غائرا في الحائط، وهذا الباب له عدة أقفال كبيرة وقد علم من الرسم أن عليه أن يضع العملة الذهبية في الجزء الغائر في الحائط على شكل قرص الشمس، ثم يقوم بفتح الأقفال بالمفتاح الذي وجده ويسير بعدها أربعة خطوات كما يوضح الرسم حتى يجد حجرا كبيرا بالأرض يريد أن يسقط لأسفل، عليه نزعه من الأرض ليجد أسفله بابا آخر حديديا، له قفل كبير عليه القيام بفتحه ورفع غطاء الباب الحديدي والهبوط على السلم لغرفة الكنوز:

- والأسرار التي لم يستطع دخولها سوى ملوك هذه الأرض فقط الآن ستصبح ملكا لك، فيها ما يجعلك تحكم هذه البلاد وتملك كنوزها...

وهنا بعد أن طوى فؤاد الرسالة بعد علمه المكان الذي يبحث عنه قرر العودة إلى داخل المدينة ليقترب من القصر لكي يصل إلى مراده، وهو مازال يتخفى عن الأعين وسمع في طريقه لبعض الحشود وهم يتحدثون عن الموعد الذي حدده ڤاستن حاكم البلاد، والكاهن الذي دبر لحبيبته ليزا مكيدة كبرى بالسجن والاستيلاء على الحكم لإعدامها أمام الجموع التي ستتوافد من كل حدب وصوب لحبهم لها ولإلقاء النظرة الأخيرة عليها، وذلك سيكون ظهيرة يوم غد انتقاما منها لقتل الملك ديسترون لتعلم أن عشيقها قد خانها وهرب وتركها تواجه مصيرها المحتوم، فكان مقصد ڤاستن هو أن يظهر عشيقها عندما يعلم بأمر إعدامها بعد قيامه بالهرب من السجن، ومن ثم يأمر حراسه بالقبض عليه وإعدامه هو الآخر ليدفن هذا السر معهم للأبد، والخاص بانقضاض ڤاستن عليهما كما ينقض الصقر الجارح على فريسته، وتوليه عرش البلاد حاكما عليها بعد قتل الملك وتلفيق لهما تهمة الخيانة، وعندما حل المساء اقترب فؤاد من القصر متخفيا ولكن لمحه حارس كان يمر بجوار سور القصر من الداخل، فغافل فؤاد وبدأ يقترب منه سيرا حثيثا خلفه، وقبل أن يطول خنجره ظهر فؤاد كان اشتم فؤاد رائحة العطر المميزة المعروف بها حراس الملك، فاستدار بسرعة هائلة وانحنى لأسفل موجها سيفه بضربة واحدة لرأس الحارس، والتي طارت في الهواء لترسو بعدها فوق الأرض وكان



الرمال المتحركة ابتلعت أحد الأشخاص ولم تبق إلا رأسه فوق الأرض، هرول فؤاد بخلع ملابسه وارتدى ملابس هذا الحارس وأخفى جزءا كبيرا من وجهه بقلنسوته وتسلل إلى أسفل بهو القصر وهذا المكان كان خاليا في هذه الأثناء من أي شخص، فجميع الحراس بالخارج يبحثون عن القاتل الهارب الذي أطاح برأس الحارس وهرب لداخل المملكة، وظل يبحث فؤاد عن الغرفة التي رأى رسما لها في خريطة الملك ليقوم بتنفيذ مهمته في الوصول للكنز إلى أن وجدها وزادت السعادة البالغة على وجهه من حماسته وقتل رهبته، فوضع العملة الذهبية التي وجدها بالصندوق أسفل الشجرة بالرسم الغائر لقرص الشمس بالجدار، ويقوم بفتح الاقفال بالمفتاح الذهبي ويسير أربعة خطوات ويقوم برفع الحجر الأرضية ليجد أسفله الباب الحديدي ليقوم بفتح أقفاله ويهبط على السلم للأسفل ليجد نفسه في غرفة كأنها تنخفض عن الشمس ببضعة أمتار فقط، ليس من شدة حرارتها إنما من توهجها اللامع الذي أتعب عينيه ليغلقها أكثر من مرة ويقوم بفتحها متأثرا بشدة اللمعان والإضاءة التي لم تكن بفعل المصابيح لكن من فعل كثرة الذهب والجواهر، فبريقها يتلألأ وينعكس في كل مكان، ولكنه لم تبهره كل هذه الثروات برغم أنه لم يحتكم يوما سوى على ثمن بذلة أنيقة على الأكثر من جراء عمله بإعلانات المشروبات الغازية، فكان ما يشغله هو البحث عن أسرار الملك وأسرار هذه الأرض الغريبة، فوجد عدة لفافات من الورق تبدو عتيقة وبجانبها كلب أسود صغير، تعجب فؤاد جدا لأمره فهو لم يفهم سببا لوجوده هنا، وكيف له أن يعيش داخل غرفة مغلقة بإحكام بمكان سري

تحت الأرض دون أن تفارقه الروح، فقام بفتح اللفافات فبدأت الأسرار تنكشف أمامه، وكان أولها اعتراف من الملك ساجمون بوجود كائنات مسالمة هبطت على هذه الأرض من آلاف السنين:

- أتوا في سلام ليعيشوا بيننا ونحن من قمنا بذبحهم، و[illegible] منهم القليل، وأنهم لم يستحقوا كل هذه القسوة حتى أني تعاطفت مع أحدهم بعد أن أحسست بأنني اقترفت ذنبا كبيرا، وأعطيت له سيفا قد عثر عليه الحراس على متن سفينة صغيرة أتت من البحر، وكان بها أقزام لهم لغة غريبة.

وبعد نزول الحراس من السفينة ومعهم هذا السيف الذي لم يجدوا بها غيره، وريثما كان الحراس تعرض السيف على الملك حدث أمر غريب أذهل الجميع، حيث اختفت السفينة في مشهد مهيب أثر في نفوس الحاضرين بالرعب فلم يعرف أحد هوية هؤلاء الأقزام أو من أين أتوا وكيف اختفوا، ولكن الملك ساجمون أراد أن يرى قوة هذا السيف فذهب إلى أحد الفقراء المكفوفين بعد أن سأله الملك ماذا يتمنى؟ فأجابه الرجل الفقير:

- أريد أن لا يعرف الفقر طريقا لي.

فقال له الملك:

- لك ما شئت أمسك بهذا السيف واعبر به الغابة الشمالية فإن بقيت على قيد الحياة سينتظرك في نهايتها قصر كبير به صناديق كثيرة من الذهب كل هذه الثروة ستصبح ملكا لك



والمعروف عن هذه الغابة أنها أخطر مكان في البلاد ولم يستطع أحد اجتيازها من قبل لما بها من حيوانات مفترسة، فبات الرجل يتمتم بصوت منخفض وانتابته الرجفة من هول الصدمة، وكأن الملك حكم عليه بالإعدام بين فكي أحد الحيوانات الضارية، ولم يتردد الرجل الفقير كثيرا قبل موافقته فجال بخاطره أن عيشته في الفقر المدقع لن تكون أسعد حالا من ملاقاة، الموت وذهب إلى الغابة ومعه السيف، والملك في حالة ترقب شديدة وفات يوم واثنان وثلاثة، فظن الملك أنه قد قتل وفي اليوم الرابع تفاجأ الملك بمجيء الرجل الكفيف بعد اجتيازه للغابة وأخذ منه السيف وأعطاه القصر بما فيه من كنوز كما وعده، بعد أن سرد له الرجل كيف تخلص من كافة الشرور التي واجهته في اجتياز الغابة رغم أنه كفيف ولم يدر عن أمور القتال والمبارزة بالسيف شيئا، وأرجع الفضل لقوة ذلك السيف وبعد عدة أيام قليلة وجدت الحراس الخاصة بالملك جثة هذا الرجل الكفيف داخل القصر بعد أن هاجمته اللصوص وأردوه صريعا، ولم تترك بالقصر شيئا من الكنوز التي تحصل عليها، ومنذ ذلك الحين والملك ساجمون يحتفظ بهذا السيف البتار الذي أعطاه فيما بعد لأحد الأسرى من الكائنات التي هاجمت تلك الأرض يوما ما، وفي لفافة أخرى من اللفائف التي وجدها فؤاد ضمن أسرار الملك، تحكى قصة غريبة عن هذا الكلب الأسود الصغير المتواجد بالغرفة، حيث كان الملك ديسترون قد لاحظ بعض التغيرات الغريبة على الكاهن ڤاستن والذي يعتمد عليه في كل شيء، فأصبح غريب الأطوار يظهر فجأة بأحد الأماكن البعيدة عن القصر دون سبب واضح لابتعاده عن القصر، والذي



كان به غرفة له لكونه كبير الكهنة وأصبحت نظرات عينية زائغة وطامعة يبتعد كثيرا عن الناس ولا يتحدث مع أحد، فراح الملك ديسترون يراقبه بنفسه من بعيد ليرى الأسباب، وذات ليلة تكشف له الأمر برمته فكان يراقبه عن قرب حتى وجد ڤاستن يدلف من باب بيت صغير وبعيد جدا عن القصر قابع في جنوب البلاد، وتعجب لذلك الأمر ماذا يفعل في هذا المكان في ذلك الوقت؟ فاقترب من الباب بعد أن أغلقه ڤاستن وراءه ليتنصت الملك ويسمع أصواتا غريبة، وكانت لتمتمات من ڤاستن يصاحبها عواء لكلب صغير، ولكنه لم يقم بالدخول وانتظر لمساء اليوم التالي ليتكرر نفس الأمر ويسمع نفس الأصوات فاقتحم الملك ديسترون الباب ودلف إلى الداخل مسرعا ليجد أمرا عجيبا، الكاهن ڤاستن أكبر رجال الدين والكهنة في مملكته والذي بدوره يدعو لعبادة الشمس جاثيا على ركبتيه ويقبل أقدام كلب أسود صغير، فنهض الكاهن منتفضا وهو في شدة الارتباك وقبل أن ينبس ببنت شفة، بادره الملك بسؤال وهو يمسك هذا الكلب الصغير من عنقه قائلا:

- ماذا يمثل لك هذا الحيوان لكي تقبل أقدامه؟

نظر ڤاستن إلى الملك في هلع وهو يرتجف متوسلا إليه أن يترك هذا الكلب، فزاد هذا من دهشة الملك وقال له في غضب وهو يقبض بقبضة يده عنق الكلب الصغير:

- إن لم تكشف أمره لي سأقتله الآن...

وهرول ڤاستن في سرد القصة للملك قائلا بصوت مبحوح لا يخلو من التقطع:



- ذات ليلة كنت أسير على حافة النهر جنوب البلاد مشتت الفكر حزينا لما وصل إليه حال بعض الكهنة من انشغالهم بأمورهم الدنيوية على حساب العبادة، فوجدت كلبا أسود ضخما جدا ومعه كلب آخر أسود صغير

فعندما اقترب منهما عندما قطعا عليه طريق مروره وجد أمرا مذهلا، أن الكلب الكبير يتحدث مثل البشر تماما، ويقول لڤاستن بصوت امتلأ صدره منه رعبا:

- الآن سأفارق الحياة وعليك أن تعتني بهذا الكلب الصغير، أطلب منه ما شئت سينفذه لك ما دمت مطيعا له ومادامت حياته في أمان، فعليك بحمايته واعلم أنه سيعلمك السحر.

وقال بعدما استدار وبدأ بالسير مبتعدا:

- قبل أن أذهب الآن إلى مرقدي الأخير، أمر أخير سأخبرك به، أني أخذت روحك دون أن تشعر ووضعتها داخل هذا الكلب الصغير، فإذا مسه السوء أو إن قتل هذا يعني فناءك وفراقك لهذه الحياة.

وهبط الكلب الكبير متخطيا حافة النهر ثم إلى القاع واختفى من الأعين وترك لي هذا الكلب الصغير ومنذ هذه اللحظة وأنا أخفيه من الأنظار، وأتودد إليه خوفا من النهاية المشؤومة، وهنا قاطعه الملك ديسترون قائلا:

- لا تخف على حياتك بعد اليوم يا ڤاستن، فأنا سآخذه إلى
مكان خزائني وأسراري التي لا يعرف مكانها أحد فوق هذه
الأرض، سوف يصبح في أكثر الأماكن أمانا...

وابتسم الملك وهو يحدق بالكلب قائلا:

- لكن أذا أغضبتني سوف...

وصمت قليلا قبل أن يقول ڤاستن في لهفة:

- لن يحدث يا سيادة الملك، لن أغضبك أبدا...

فكان يخشى ڤاستن أن ينطق الملك بكلمة سوء تجاه كلبه الصغير
وأتبع ڤاستن:

- سوف أخدمك طوال حياتي وأسخر لك ما أوتيت من سحر
لخدمة أغراضك فقط...

وهنا ابتسم الملك وأخذ الكلب الصغير وترك ڤاستن وانصرف،
وفي لفافة أخرى من أسرار الملك ديسترون الكثيرة بذات الغرفة السرية
التي مازال يتأمل فؤاد سحرها في عجب شديد، وجد بها سرّ ما تم في
الليلة التي أجتمع فيها الملك ديسترون مع الطفل الذي سقط على الأرض
من هذا الشيء العجيب الذي سطع في السماء أثناء احتفاله مع الشعب،
وروى وقائع هذا اللقاء وما كان به من تفاصيل مع الطفل، وهنا اشتد انتباه
فؤاد وأصبح في ذروته، ربما تخبره هذه اللفافة عن شيء جديد يساعده
في العثور على سامر، وكان مكتوبا بها بخط الملك:

- لم يعلم أحد من الناس ماهية هذا الشيء الذي سطع في
السماء وسقط منه الطفل، والحقيقة هي أن هذا الشيء هو



أحد المركبات التي تستخدمها الكائنات التي هاجمت أرضنا قديما في عصر الملك ساجمون، وقتل منهم الكثير وفر هاربا القليل منهم، وهم الآن يحاولون الاتصال بنا من جديد من خلال رسولهم الصغير، والذي اختلف في صفاته الشكلية والبدنية وفي كل شيء عنهم، وذلك على حسب رواية الملك ساجمون عن وصف هؤلاء الكائنات وعندما بدأت الحديث مع هذا الطفل أخبرني أنه أتى كي يسترد عقل المو أو القطعة الذهبية التي يحتفل بها مع الشعب على أنها رسالة من الشمس، وهي ليست كذلك إنما هي من حق كائنات أخرى تعيش في سلام وأتت إلينا ذات يوم فقتلنا الكثير منهم دون وجه حق، وكانت هذه القطعة الذهبية قد سقطت في البحيرة التي وجدوا بها ليزا قبل أن يخرجوها حراس الملك ويبعثوا بها إليه، وعندما روت إليه قصتها مع الملكة كاليترون وأنها أعطت لها عملة ذهبية، تأكد له أنها سقطت منها في تلك البحيرة ولكن كيف يستطيع إخراج عملة ذهبية صغيرة من بحيرة كبيرة ممتلئة عن آخرها بالمياه؟

وهنا اصطحب ڤاستن إلى تلك البحيرة وأمره أن يجفف كل هذه المياه ليأتي له بتلك العملة، وفعل ذلك ڤاستن دون صعوبة بفضل السحر الذي تعلمه من ذلك الكلب الصغير، وأعطى له العملة وأخفاها في صندوق صغير بجانب المفتاح الذهبي، وعندما طلب سامر هذه العملة الذهبية من الملك ديسترون ليعود بها لهؤلاء الكائنات أهل مملكة هيرطاقيا، رفض



إعطائها إليه وقال له:

- أعلم أنك ليس من بين هؤلاء الكائنات التي أتت من السماء فمن تكون ؟

فقال سامر وهو يلوح بوجهه غاضبا:

- إني أحد أفراد هذا العالم الكبير الذي لا تعلمون عنه شيئا، فأنتم تريدون أن تعيشوا في عزلة لا يشارككم أحد في الأرض أو الحياة، ولو كنتم تعلمون أنكم وأرضكم بالنسبة لهذا الكون الشاسع مجرد رؤوس بلا أعناق، فأنتم غبار كوني لا قيمة لها ونحن وباقي هذا العالم الأعناق بل وباقي الجسد الذي لابد له من أن يكتمل لتعود إليه الحياة، أنتم الآن موتى مجرد حفنة من الجثث، فرفضك لوجود هذه الكائنات بينكم وأن تعيد إليهم حقوقهم هذا سيجعلكم موتى لا محالة، ما تنعمون به من نسمات الحياة الآن يشبه كثيرا نوبات الرياح التي تسبق العاصفة.

وأعطى سامر الملك مركبا خشبيا صغيرا يشبه مراكب الشمس عند الفراعنة قائلا:

- هذا هو الطريق الوحيد لنجاة هذه الأرض، عليك بإيداع عملاتنا الذهبية في هذا المركب قبل أن تضعها في أعلى قمة لديكم تواجه الشمس...



وكان معروفا أن ليس هناك قمة توازي قمة برج قصر الملك في الارتفاع، فغضب الملك بشدة وقال له عاقدا حاجبيه:

- عندما أفصل رأسك عن جسدك ستصبح مثلنا رأسا بلا عنق.

وضحك الملك كثيرا قبل أن يطلب من حراسه أن يرسلوه إلى السجن إلى حين إعدامه ذاكرا بعد ذلك مشهد اختفاء الطفل قبل أن تفصل رأسه المقصلة التي أعدها لإعدامه، ولكن الجديد في الأمر والذي لم يروى من قبل على مسامع فؤاد، أن السياف الذي كان يقف على المقصلة ويستعد لفصل رأس سامر عن جسده وبعد أن رفع سيفه عاليا، وأثناء نزوله لحظة اختفاء الطفل، قسم سيفه الكبير لفافة من الجلد كانت بمثابة رسالة سقطت من المركبة الخاصة بهؤلاء الكائنات التي سطعت في السماء لحظة انقاذ الطفل من الإعدام واختفت باختفائه، وأعطى هذا السياف نصفي الرسالة الممزقة للملك، واحتفظ بها الملك ديسترون وكان ما جاء بهذه الرسالة التي وجدها فؤاد بغرفة الأسرار بعد أن قام بتجميعها، تحذير من هذه الكائنات يقول:

- إلى سكان هذه الأرض، إلى هؤلاء من ظنوا أنفسهم قادرين على هزيمتنا، سيأتي يوم قريب نجعل فيه أرضكم هذه تلالا من بقايا رماد النيران، وسوف يعلم العالم بأسره من بعدكم بآلاف السنين أنه كانت هنا ذات يوم أرض وبشر وحضارة، أحرقت وأغرقت واختفت من هذا الوجود نهارا تحت أشعة الشمس التي ستشهد نهايتكم.

هذا ما جاء بالرسالة التي لم يهتم الملك بأمرها، فقط احتفظ بها ضمن خزائن أسراره، ووجد فؤاد هذا المركب الخشبي بالفعل في غرفة خزائن الملك ديسترون ولكن كيف يدخل غلى البرج الذي بناه الملك أعلى القصر واضعا به العملة الذهبية التي وجدها معه وقام بتأمينه بأقفال تحميه من أي عابث؟ وقضى فؤاد ليلته داخل هذه الغرفة المليئة بالأسرار التي لم يكن يعلم بها سابقا، وعند شروق الشمس ومع بدء إرسالها لخيوطها الذهبية، سمع ضجيج الحراس بالخارج يتحدثون عن تأثير الحدث الأكبر لذلك اليوم، حيث كان الكاهن ڤاستن حاكم البلاد حدد موعدا لإعدام ليزا معشوقة فؤاد، والتي لم يخبرها بعشقه لها إلى الآن ولكن قلبه يقول:

- لم تطأ أقدام فرسي تلك القلعة المحصنة

ربما ترتعد من الأغلال، لا تخف يا فرسي تحطيم القلاع وانتزاع الحب حلال

لماذا تعتبرها الكعبة وانا أبرهة وانت أحد الفيلة

وانتظر فؤاد رحيل الحراس، وخرج مهرولا من غرفة الكنوز مصطحبا معه الكلب الأسود الصغير، وذهب إلى ساحة الإعدام قبل لحظات من الإطاحة برأسها، وصعد أعلى منصة الإعدام ملوحا بيديه القابضة على الكلب الصغير قائلا بصوت عال:

- ڤاستن عليك أن تأتي إلى هنا...

وكادت الحراس أن تنقض لتقبض على الحارس الهارب فؤاد لولا إشارة ڤاستن لهم بأن يتركوه وهو في شدة الفزع، وأخذت تسابق خطواته

الرياح المواتية في تلك اللحظة إلى أن أصبح أسفل المنصة، فطلب منه فؤاد بأن يأمر حراسه أن يتركوا ليزا، فأشار لحراسه بتنفيذ ما قاله فؤاد فورا محاولا إخفاء ارتباكه الذي بدا واضحا كالشمس، واتبع فؤاد قائلا:

- عليك بإعادتنا أنا وليزا إلى هيئتنا الشكلية التي كنا عليها سابقا.

ونفذ ذلك في الحال وانتابت الدهشة جميع الحضور وزادت الهمهمات بينهم وأتبع فؤاد قائلا:

- إن أردت أن تحكم شعبا بالحديد والنار فاختر لنفسك قصرا تحت الماء حتى لا يطولك جحيمهم...

وأتبع مطالبا ڤاستن أن يخبر من حضر اليوم من شعبه بحقيقة من قتل الملك ديسترون ليستولي على حكم البلاد، وصمت ڤاستن والرعب يملأ صدره فقبض فؤاد بيده على عنق الكلب الصغير، فاتسعت عينا ڤاستن وارتجف من الخوف، فانطلقت الكلمات كطلقات الرصاص من فمه معترفا بقتله للملك ديسترون وإلقاء التهم على فؤاد وليزا للاستيلاء على الحكم، فنظر له فؤاد مستنكرا وقال:

- لا تكترث بما وصلت إليه من مجد، فالهاوية على شفي حفرة من القمة...

وهنا قال فؤاد في صوت حاد موجها حديثه للحشود المتواجدة من الشعب:

- ماذا ترون لمصير هذا الكاهن الخائن ؟

فاهتزت الأرض من قوة أصوات الحشود المطالبة بإعدامه، فتقدم حارسان أشداء واقتادوا ڤاستن إلى المقصلة لتنفيذ حكم الشعب ونظر له فؤاد مبتسما قائلا:

- إذا كنت صبورا حقا فلن يشعر أحد بضيقك درعا من الصبر...

وهنا ترك فؤاد الكلب الصغير من يده ليذهب ويجاور ڤاستن والذي سيسبقه إلى الموت، وقبل أن يطيح السياف برأس ڤاستن تحت المقصلة حدث أمر جلل تسمر أمامه الجميع من الدهشة، حيث أن ڤاستن نظرإلى كلبه الصغير نظرة فيها أمر أن ينجيه من ملاقاة حتفه، وفجأة تحطمت المقصلة وسقط السياف أرضا وجسده يرتجف وكأن أصابته صاعقة، ونهض ڤاستن وأمسك بكلبه الصغير موجها حديثه للحراس:

- كل من سيتصور أن باستطاعته خيانتي سيكون مصيره كهذا الأبله.

وأشار إلى السياف الذي بات صريعا، وأمر الحراس بالقبض على فؤاد وليزا لإعدامهم، وهنا طلب فؤاد من ڤاستن أن يترك ليزا وشأنها لتعيش في سلام نظير أن يدل ڤاستن على مكان كنوز الملك ديسترون والتي يعلم مكانها دون أحد غيره على هذه الأرض، فصمت ڤاستن قليلا وهو يفكر بالأمر، وأمر الحراس بإطلاق سراح ليزا وأن تنفض الحشود قبل أن يصطحب معه فؤاد، وباتت ليزا تعشق فؤاد بشكل جنوني وتحدث نفسها وهي تنصرف وسط الجموع، كيف له أن يعرض حياته للخطر من أجلي عدة مرات، وأسرعت في طريقها للقصر الملكي لعلمها بانشغال

جميع الحراس في تأمين موكب الحاكم ڤاستن، لتدلف إلى القصر لتلقي نظرة على شجرة ماجنوم التي جمعت بينها وبين فؤاد، فلفت انتباهها كلمات تبدو لشخص متيم بها كتبت بالدماء منها:

- إذا أحببت أميرة في قصر منيع فلا تنشغل بجمع الورود من أجلها، بل تدرب جيدا على تفادي ضربات السياف، فهي لن تقبل إلا فارسا مغوارا، فلن تزيد الورود حدائقها شيئا...

فاحمر وجهها خجلا فتخيلت أن يكون هو ومن غيره سيفعل هذا، وخرجت قبل أن يتوافد الحراس إلى القصر وانصرفت الحشود وهي تشعر بمرارة شديدة وغضب كبير، وكراهية تجاه ڤاستن الذي اعترف بقتله الملك، وكان هذا الجرم الأعظم والخيانة الكبرى لأي من أبناء الشمس، ولم تغب عن ذهنهم طريقة استيلائه البشعة على الحكم، وكيف لهم أن يرضوا بحاكم يقدس كلبا صغيرا تاركا الشمس مقدستهم وديانتهم الأولى والأخيرة، وانفرد ڤاستن بفؤاد في إحدى غرف القصر ليخبره بمكان أسرار وكنوز الملك ديسترون، وكيف علم بمكانها، فقال فؤاد وهو يدور على كعبيه واضعا يديه خلف ظهره:

- علمت بهذا السر من السيدة ليديا، أو بالأحرى من روحها فقد رأيتها وقالت لي عليك بتخليص الشاب الذي أحببته وإنقاذ حياته، والذي أخفاه الملك وبالمقابل ستخبرني بمكان غرفة الأسرار وعندما أنقذت هذا العشيق أخبرتني أن أذهب إلى الغابة الشمالية وأن أبحث عن شجرة بها رسم للحية ڤوتيلا، عندما أصل إليها أقوم بالحفر أسفلها لأجد صندوقا به مفتاح بجانبه مخطوطة بها مكان الكنز.

وكان فؤاد ذكيا عندما راوغ ڤاستن، فهو يعلم أن ڤاستن قد يكون
وهو يبحث عن السراب في تلك الغابة بالإضافة أنه قال لڤاستن إن اجتاز
هذه الخطوة سأتبعك بباقي الخطوات، وذلك حتى يطمئن أنه سيبقيه حيا
ولا يأمر بقتله، وهنا سأله ڤاستن:

- كيف علمت بسر هذا الكلب الصغير؟ ومن أين أتيت به
طالما أنك لم تطلع على أسرار الملك بعد ؟

صمت فؤاد قليلا قبل أن يقول:

- إن روح السيدة ليديا عندما دلتني على مكان المفتاح أخبرتني
بأن هناك كلبا صغيرا به روح الكاهن ڤاستن، ومكانه أسفل
بئر عميق في الغابة الشمالية واستطعت الوصول لمكان
هذا البئر، ومددت حبلا إلى أسفل البئر كنت قمت قبلها
بتوثيقه بأحد الأشجار وهبطت إلى الأسفل، وقمت بإخراج
الكلب...

وأراد أن يخادعه ولم يصارحه بالحقيقة، وهنا سأله ڤاستن:

- كيف أذهب إلى الغابة الشمالية لأبحث عن تلك الشجرة التي
بأسفلها مفتاح الكنز وسط هذه الغابة التي تعج بالحيوانات
المفترسة وأعود حيا؟

فصمت فؤاد قليلا ثم أتبع ذلك قائلا:

- من أراد أن يكافئه القدر بكل هذه الهدايا القيمة يتعين عليه
أن يغامر.



فابتسم ڤاستن وقال:

ـ المرء غالبا لا يستطيع المغامرة إذا كان هناك شعب مسؤول عنه.

وربت على كتف فؤاد برفق وأتبع:

ـ أنت من سيقوم بهذه الرحلة بدلا عني، فرد فؤاد بثقة:

ـ أستطيع القيام بتلك المغامرة لكن ألا تود إطلاق سراح هدايا القدر يا سيدي كي أحصل عليها نظير مغامرتي ؟

فارتسمت علامات الدهشة على وجه ڤاستن وقال:

ـ وما هي تلك الهدايا التي لازالت في قبضتي كي أفرج عنها لتحصل عليها ؟

فرد فؤاد وهو يدور على كعبيه:

ـ أريد أن أدخل ذلك البرج الشاهق أعلى القصر وأحصل على العملة الذهبية والتي من شأنها ستهديني لطريق العودة إلى الأرض التي أتيت منها ذات يوم، فأنا أعلم أن الملك ديسترون كان يستعين بك في كثير من الأمور، لعله أخبرك بسر دخول هذا البرج ومن ثم تستطيع مساعدتي.

وابتسم ڤاستن مبديا قبوله للعرض، ولكن كل منهما يملأه الحذر والريبة ويدبر أمرا للآخر للتخلص منه، وأبدى ڤاستن موافقته على طلب فؤاد بأن يترك له هو وليزا حجرتين بالطابق السفلي للقصر ليعيشا فيهما، هذا ليكون فؤاد قريب من حجرة الأسرار بالأسفل وهو ما أراده فؤاد، أما ڤاستن فوافق ليكونا في حيز محيط رؤيته طيلة الوقت، وذات ليلة



اطمئن فيها فؤاد للهدوء التام الذي ساد القصر منتصف الليل دلف إلى باب غرفة الأسرار الملكية ليعرف المزيد من الأسرار التي قد تهديه إلى الخروج من هذه الأرض، فوجد رسالة مكتوب بها أن الملك ساجمون قد فارق روحه بشكل مروع عندما قامت حرب ضروس بين جيوش الملك ساجمون وتلك الكائنات التي هبطت من السماء، والتي طلبت مقاسمته في الأرض وقتل كثير جدا من تلك الكائنات العزل وقام بالفرار القليل منهم، ورفض عدد كبير من الشعب ما قام به الملك من وحشية مع هؤلاء الكائنات السلميين، وتجمهروا أمام قصر الملك لإعلان غضبهم مما حدث، فأمر الملك ساجمون حراسه بأن يقبضوا عليهم جميعا وسجنهم وإعداد حفرة كبيرة عميقة في الأرض تصل مساحتها لأكثر من ثلاثة كيلومترات، استغرق العمل في حفرها شهورا طويلة، وبعد الانتهاء منها طلب من الحراس أن ينشبوا بها حريقا هائلا لتكون أكبر محرقة عرفتها الدنيا، وليقيم من خلالها عذاب إله الشمس للخونة والمذنبين، وفي مشهد مأساوي أمر جموع الشعب هؤلاء من تبقوا بعد معارضة الكثيرين أن يجتمعوا ليروا جزاء من يعترض على أفعاله، وأمر الحراس أن يلقوا بكل هؤلاء المعترضين الذين زج بهم في السجن لاعتراضهم عليه في حفرة الجحيم الملتهبة، وهم مكبلو الأيدي والأرجل بسلاسل من حديد، لم تشفع لهم صرخاتهم واستغاثتهم والبكاء الشديد هو حال من يشاهدون في حسرة مصير ذويهم وأشقائهم، وقبل أن ينصرف هذا الحشد الهائل من الناس جاء انتقام الرب سريعا حيث هاجت السماء وأمطرت بغزارة حتى أنها أطفأت هذه النيران الهائلة في ثوان معدودة، ولكن بعد أن تفحمت



هلاك الضحايا وتراطمت في السماء الشحنات الكهربائية التي أضاءت السماء بأكملها، وسقطت إحدى هذه الصواعق علي الملك ساجمون وأعوانه ليسقطوا قتلى في الحال، وانتهت الرسالة دون أن تكشف الغموض عن الفترة التي أتبعت حكم ذلك الملك الظالم، وكان من كتب هذه الرسالة أحد هؤلاء المتواجدين أثناء المحرقة التاريخية وبقيت لتكون سجلا لأحداث تلك الواقعة في هذه الحقبة الزمنية، وأثناء تواجد فؤاد في غرفة الأسرار وجد ضالته أخيرا ورقة قديمة من البردى مرسوم بها البرج الموجود أعلى القصر الملكي، ومكتوب تحتها:

- مفتاح هذا الباب الحجري القديم الملحق بالبرج موجود في مكان تدل عليه خريطة صغيرة مقسمة إلى أربعة أجزاء أول جزء منهم موجود لدى سيدة عجوز ستطلب منك مقابلا لهذا الجزء من الخريطة، سنا وخصلة شعر من امرأة شابة، نفذ هذا الأمر لكي تعطي لك ما تريده منها، ستجد تلك السيدة في كوخ صغير بجانب النهر الجنوبي...

ابتلع فؤاد ريقه بصعوبة عندما علم أن أمامه الكثير من الوقت والمشقة ليحصل علي ذلك المفتاح اللعين، فذهب إلى ليزا مسرعا ولم يخبرها بشيء مما رأى وقال لها وهو يبتسم:

- يبهرني جمال طاقم أسنانك الناصع البياض...

فتعجبت مما يقول فاغرة فاها فمد يده واقتلع أحد أسنانها بخيط قوي، وباليد الأخرى اقتلع خصلة من شعرها، وتركها تنزف دما مودعا إياها بدمعة لمعت في عينيه قائلا:



- معذرة يا عزيزتي فالطريق مليء بالصعوبات، ولابد من اجتيازها...

وراح يبحث عن السيدة العجوز بطول النهر فلم يجد أكواخا أو أي شيء فأمتلأ قلبه بالحزن، وهم مسرعا في طريق العودة وكان يشعر بالرعب في هذا الليل المطبق فوجد صوتا يتحرك خلفه فاستدار ببطء شديد وجسده يكاد ينهار من الارتجاف فوجد أمامه سيدة عجوز دميمة جدا ارتعد قلبه خوفا من هيأتها فهي نحيفة جدا ترتدي السواد وتتكئ على عصى وتستطيع حين تنظر إليها أن تحصي عدد خصلات شعرها من فروة رأسها المنحولة، ولا يوجد في فمها أي أسنان فبادرته بالحديث بصوت مرعب كفحيح الثعابين:

- أتريد أن تعطيني شيئا؟

رد فؤاد بصوت متحشرج:

- نعم...

ومد يده وأعطاها السن وخصلة الشعر اللذين كانا بحوزته، وابتسمت المرأة ابتسامة مخيفة وقامت بوضع السن بفمها وخصلة الشعر برأسها، ولقتربت من فؤاد وقبلته وأعطته ورقة أخذها وانصرف مهرولا من الخوف، وهو يسمع أصوات ضحكاتها في الخلف، فكان مشمئزا منها ولكنه حصل منها على ما أراده فنظر للخلف وهو مازال يلهث مسرعا فلم يجد المرأة فاختفت ولم يعد لها أثر، فزاد خوفه أكثر وزاد ذلك من سرعته أكثر حتى ابتعد تماما عن تلك المنطقة، وأخذ ينظر للورقة التي كانت الجزء الأول من الخريطة الدالة على مفتاح البرج، ولكي يحصل



إلى الجزء الثاني من تلك الخريطة، كما علم من ورقة البردى في غرفة الأسرار عليه أن يذهب إلى المنطقة الجنوبية هناك سيجد مزرعة صغيرة الطيور ومزارعا بسيطا يمتلك هذه المزرعة يجلس حزينا أمامها، وإذا أردت الجزء الثاني من الخريطة عليك بإسعاده، فهناك ثلاث من الكلاب السود الضالة هاجمت المزرعة وافترست أكثر من نصف الطيور التي كانت بها، وهم يحومون حول المزرعة بين الحين والآخر عليك بقتلهم، هذا سيسعد المزارع كثيرا، وتحصل منه على ما تريده. وذهب فؤاد متجها إلى الجنوب ومعه السيف الذي كان أخذه من شوبان ذات يوم باحثا عن تلك المزرعة، فوجدها على أطراف المنطقة الجنوبية فقام بالبحث عن تلك الكلاب الضالة فلم يجد شيئا، وكرر الأمر عدة أيام كان يبيت فيها بجوار أحد أسوار تلك المزرعة، وذات مساء كان نائما بجوار أسوار المزرعة هاجمه كلب أسود كبير وانقض عليه وغرس فكه في كتف فؤاد الذي صرخ بقوة من الألم وسحب سيفه من جواره وقام بغرسه في عنق الكلب، ولم يبال بجرحه الذي استمر في النزيف وأخذ يبحث عن الكلب الثاني فلم يجده، وبعد ثلاثة أيام كان راقدا فؤاد بجوار السور في ليلة كاحلة السواد رأى كلبا يتسلل بجانب السور وقام بالقفز عاليا أعلى سور المزرعة، وقبل أن يقفز للداخل نهض فؤاد مسرعا وطعنه بالسيف الذي مزق أحشاءه فسقط داخل المزرعة جثة هامدة، واستمر فؤاد بالبحث عن الكلب الثالث فلم يجده، أياما تليها أيام حتى اقترب فؤاد من المزارع الذي يملك تلك المزرعة فوجده مبتسما سعيدا وبين يديه لفافة صغيرة من الورق وهو يقول له:

ـ لقد قتلت الثالث بنفسي...

فابتسم فؤاد وأخذ منه اللفافة الورقية وانصرف، وكان الجزء الثالث من هذه الخريطة الخاصة بالدلالة عن مكان مفتاح البرج مع فتاة صغيرة كانت تعيش في بيت صغير بعد موت والدها الذي لم يكن لديها غيره وكان قد دفن لها كنزا أسفل هذا البيت قبل أن يأتي عمها ويأخذ هذا البيت لنفسه ظلما ويبيع الفتاة إلى أحد النبلاء لتعمل خادمة لديه بعد ذلك، وعلى فؤاد إعادتها لمنزلها والبحث عن كنزها وإعطاؤه لها، فذهب فؤاد إلى غرفة الأسرار وأخذ منها ثلاثة من الجواهر وذهب إلى المدينة يبحث عن بيت صغير كانت تسكنه فتاة بعد وفاة والدها فلم يدله أحد على شيء، حتى أن أظهر إحدى الجواهر وهو يسأل أحد الفقراء عن هذا البيت، والذي لمعت عيناه وسال لعابه وفؤاد ممسك بها قائلا للرجل:

ـ كلما استيقظت من أوهامك مبكر اعلم أنها دلالة قوية أنك لن تحقق أحلامك، فالأوهام عادة تكون نواة النجاح...

فأخذ الرجل بلهفة شديدة يدله على مكان البيت، فأعطاه فؤاد إحدى هذه الجواهر وذهب إلى منزل الفتاة، وكان يقع في منتصف المدينة فبعد أن طرق الباب وجد شخصا حاد الملامح ذا صوت رخيم ممتلئ الجسد ينظر له في حيرة قائلا:

ـ ماذا تريد؟

فرد فؤاد وهو يمسك الجوهرة بيده:

ـ ما رأيك أن تكون هذه لك؟

فاتسعت عينا الرجل وهو يلهث بالكلام:

- تقول هذه الجوهرة لي ؟ إني أستطيع فعل أي شيء فقط أشر لي عما تريد؟؟

فرد فؤاد:

- هناك فتاة قمت ببيعها إلى أحد الأشخاص وأنا أريد أن أعيدها إلى منزلها من جديد...

فقال الرجل في دهشة كبيرة ارتسمت على وجهه:

- وكيف علمت بهذا الأمر ؟

فرد فؤاد وهو يستدير ويبدأ في المغادرة:

- يبدو أنك لا تحب هذا النوع من الجواهر...

فلاحقه الرجل مسرعا قائلا:

- تمهل فقط لن أسألك ثانية، سأطلعك بالأمر كله، في حقيقة الأمر أعلم أنني جنيت على هذه الفتاة ولكني ندمت على هذا الفعل، سأترك لك هذا البيت لتعيده لها وسأخبرك بمكانها...

وتنهد وأتبع قائلا:

- هي لدى رجل غني يمتلك الكثير من الممتلكات في غرب البلاد، يلقب بصاحب حدائق النهر لما لديه من حدائق بطول النهر...

ونظر إليه بحزن شديد قائلاك

ـ لا أظن أنك قادر على إعادتها مرة أخرى، فهذا الرجل يملك الكثير من الحراس وأيضا لا يغويه المال الذي يمتلك منه الكثير والكثير فماذا أنت فاعل؟

أجابه فؤاد وهو يدور على كعبيه عاقدا يديه خلف ظهره:

ـ لا عليك من هذا أترك الأمر لي فحسب

وأعطى فؤاد الجوهرة للرجل وانصرف ومازال يخفي سيفه متجها إلى غرب البلاد حيث دله الرجل على مكان هذا الثري الذي اشترى الفتاة، وما إن وصل بعد أن قضى نهاره في السفر، وبدأت تتشابك خيوط الليل ومع أول خطوة تطأ قدماه فيها حدائق ذلك الثري وجد مجموعة من الحراس الأشداء يمسكون به ويكبلون يديه، ولم يقاومهم فؤاد بل طلب منهم أن يقتادوه إلى قصر ذلك الثري صاحب تلك الحدائق، فوجده رجلا ذكيا لا يتحدث كثيرا ولكن كلماته تأتي في مواقيتها المثالية، ولا يغضب بسهولة ولديه قدرة كبيرة على التحكم في انفعالاته، فباغت الرجل الثري فؤاد بالحديث قائلا:

ـ أطلب ما أتيت من أجله...

وهو يومئ للحراس برأسه لتحرير قيوده، فرد فؤاد قائلا:

ـ أريد الفتاة الصغيرة التي كنت حصلت عليها من عمها لأعيدها لمنزلها.

وهو يقدم له الجوهرة الثالثة والأخيرة لديه فابتسم الثري قائلا:

ـ ألا ترى ما لدي من مال؟ هل تعتقد أني بحاجه لمثل جوهرتك هذه؟

فأجابه فؤاد:

ـ لا هذه الجوهرة مقابل ما دفعت من مال من أجلها، أما أنا سوف أقدم لك ما هو أهم من المال.

فرد الرجل الثري في دهشة:

ـ وما هو بظنك الشيء الذي تراه أهم من المال؟

فأجاب فؤاد بثقة:

ـ القوة...

وأتبع:

ـ تعلم أني لو كنت استعنت بالقوة لكنت تغلبت على كل رجالك ثم قذفت برأسك في النهر...

فنهض الرجل الثري من كرسيه الوثير وأشار لأحد حراسه في غضب ناحية غرفة صغيرة بالحائط، يطل منها باب حديدي فذهب إليها الحارس وقام بإخراج أسدين انطلقا بقوة في أتجاه فؤاد الذي لم يفزع من رؤيتهما، وبقي مكانه فقط أشهر سيفه وقام بغرسه في ظهر الأول بعد أن وثب لأعلى ثم أستدار في الهواء موجها سيفه لعنق الثاني الذي انتزع رأسه، فاندهش الرجل الثري من قوة فؤاد وشجاعته، وقال له:

ـ لديك براعة فائقة في القتال...



فأومأ فؤاد برأسه رافضا لحديثه قائلا:

- لا ليست براعتي في القتال كما تصورت، بل هي قوة هذا السيف الذي يعد رمز القوة، وأهم من المال لذلك سأقدمه لك فلن يؤذيك أحد مادام معك رجاء أن تستخدمه في الخير...

وهنا صافحه الرجل مبتسما وأحضر له الفتاة الصغيرة وقام بإعادة الجوهرة لفؤاد مرة أخرى قائلا:

- القوة أهم من المال والآن أصبحت لدي، فعليك الاحتفاظ بالمال، أبقي جوهرتك معك...

وودعه الرجل بعد أن سلمه الفتاة و، أخذ فؤاد الفتاة واتجه إلى بيتها القديم وقد قام بحفر الأرض تحت البيت حتى وجد الكنز الذي كان قد تركه والدها لها، وفرحت كثيرا وأعطت لفؤاد الورقة التي تعتبر الجزء الثالث من الخريطة، وودع الفتاة وانصرف ليبحث عن آخر جزء من هذه الخريطة، وكانت مع رجل عجوز في فراش الموت يسكن بيتا في جنوب البلاد تحده الأشجار من كل جانب، وكان يعمل صيادا وله قارب صغير، وكان يقسو على ولده عندما يطلب منه أن يعلمه الصيد فكان الأب يرفض أن يمتهن ابنه مهنة الصيد لدرجة كبيرة، وذات يوم كان الوالد يقضي بعض احتياجاته بالأسواق تاركا ابنه بالمنزل وحيدا، وحينما عاد لم يجد ابنه الصغير بالمنزل وخرج يبحث عنه فوجده يستقل قاربا صغيرا للصيد، ونزل به إلى البحر، فما كان من الأب سوى أن يعنف ولده ويقسو عليه ضربا، وبعدها هرب الولد الصغير من المنزل ولم يره



الوالد مرة أخرى، وحزن عليه حزنا شديدا وتمنى أن لو انقطعت يداه قبل أن يقوم بتعنيفه، والحقيقة أنه كان لهذا الأب العجوز ابن آخر شاب يعمل معه بالصيد، ولكنه خرج ذات يوم للصيد بالبحر ولم يعد مرة أخرى، فالبحر رغم جماله أظهر له وجهه القبيح وأخذ منه ابنه وسط هياج وتلاطم الأمواج، فخاف أن يتكرر الأمر مع ابنه الآخر، ذلك الصغير الذي يحبه حبا جما رغم قسوته عليه أحيانا، ولذلك كان يمنعه من الاقتراب من البحر خوفا من بطشه، والآن يشعر الأب العجوز بالوهن والمرض الشديد وكأن الموت يدق أبوابه، وهو مازال يتنفس ليس هواء بل أملا أن يرى ابنه الصغير لآخر مرة كي يقبله ويحنو عليه ويطلب منه أن يسامحه، فلم يعد في العمر بقية وعلى فؤاد أن يعود بهذا الغلام لأبيه، وذهب فؤاد ليبحث من هذا الطفل ربما يجده وسط الأعداد الكبيرة من البحارة ومن يعملون بمهنة الصيد، فهذا العمل كان من أهم هواياته منذ نعومة أظفاره، إلى أن تقابل مع أحد صناع السفن الكبيرة وبادره فؤاد بالطلب منه أن يصنع له سفينة كبيرة جدا مقابل الجوهرة الثمينة الأخيرة في حوزته، وأعطاه مدة أقصاها أسبوع واحد ليتسلمها منه، وبالفعل في الموعد المحدد أتى فؤاد وتسلم السفينة العملاقة، وذهب فؤاد وسط جحافل شباب الصيادين موجها حديثه لهم قائلا:

- من منكم يريد أن يعمل على متن هذه السفينة الكبيرة ويترك تلك القوارب الصغيرة الخطرة والبالية؟

فرد أحدهم بفرحة تكمن في عينيه:

- جميعنا بالتأكيد نريد العمل على مثل هذه السفينة العملاقة...

فرد فؤاد مبتسما:

ـ هي لكم ولكني أحتاج منكم فقط موافقة أبائكم...

وهنا هلل الجميع بابتهاج موافقين على طلبه، إلا شابا واحدا فقط أدار وجهه وابتعد عن الجمع في حزن شديد فلاحقه فؤاد متسائلا:

ـ ما سبب هذا الحزن الذي يكسو ملامحك؟

فأجاب الشاب وقد لمعت عيناه بالدموع:

ـ لا أعلم شيئا عن والدي بعد أن قمت بالفرار منه منذ عدة أعوام...

فرد فؤاد مبتسما:

ـ لكني أعلم كل شيء عنه...

فتبدلت ملامح الشاب من الحزن للدهشة الكبيرة وأتبع فؤاد:

ـ ألا تود مقابلته؟

فأومأ الشاب برأسه إيجابا في لهفة كبيرة، فرافق فؤاد في طريقه إلى والده وقال له فؤاد:

ـ السقوط الحقيقي للإنسان ليس الفشل في الصعود للقمة وإنما أن يصنع لنفسه قصرا في القاع...

وأتبع بنبرة صوت يملأها شجن دفين:

ـ يريد أن يلقي عليك النظرة الأخيرة بعد أن أوشكت سماء الدنيا سحب بساطها من عينيه معلنة رحيلها عنه...



وربت علي كتفه قائلا:

ـ أما هذه السفينة الكبيرة فهي لك، فقط أحسن معاملة شباب الصيادين الذين يتلهفون للعمل بها...

وإذ بدموع الفرح تختلط بدموع الحزن، كم كان يتمنى وتراوده أحلامه بسفينة كهذه والتي أصبحت ملكا له، ولكنه حزن بشدة وأجهش بالبكاء عندما رأى أباه على بعد خطوات قليلة من الموت، فاحتضنه بشدة، وهنا فرح الأب وتوغلت الدموع بجفونه وتساقطت على وجنتيه ونظر الأب إلى فؤاد مبتسما وأعطى له الجزء الأخير من الخريطة الخاصة بمفتاح برج القصر، الذي ظل شامخا مليئا بالأسرار، والذي يحمل أحلام فؤاد وأختام سعادته بالعودة مرة أخرى إلى بلاده، وبعد أن جمع فؤاد الأربعة أجزاء للخريطة الدالة عن مكان مفتاح البرج وجد مفاجأة مزهلة في أنتظارة حيث تشير الخريطة إلي القصر الخاص بالملك ديسترون بالأضافة إلي حجرة الملك الخاصة ثم تشير بداخلها إلي حذاء الملك مقلوبآ ومرسوم أسفله المفتاح أي أن الملك قام بوضع مفتاح هذا البرج في نعل الحذاء الخاص به والأن ليس أمام فؤاد سوي الحصول علي هذا المفتاح وكان في ذلك التوقيت يتزايد السخط من قبل عدد كبير من عامة الشعب علي قاستن ذلك الحاكم الظالم فكان رفضهم له لمعرفتهم أمر خيانته وقتل الملك ديسترون بالإضافة لابتزازهم وإرغامهم على تنفيذ ما يطلبه من أفعال مشينة لطبيعة نفوذه عندما كان كبيرا للكهنة، ويختار أقلهم إيمانا لإعدامه، وكان قد أعطى أوامره للحراس بالقبض على كل من يتجمهر ضده أو يتآمر عليه من الشعب الذي اشتعلت رؤوسه وقلوبه

بنيران الغضب من فساد حاكمه، أمر أيضا مجموعة كبيرة من الحراس بحفر حفرة عميقة وعلى مساحة كبيرة جدا وإشعال النيران بها لكي يلقي في الخونة الإعدام في تلك المحرقة العظيمة التي ستُضيء سماء الدنيا في أشد الليالي الحالكة، قام فؤاد بسؤال ڤاستن عن مصير متعلقات الملك ديسترون من ملابس وأحذية وغيرها، ابتسم ڤاستن الذي رافقت ابتسامته نظرة فارس منتصر على صهوة جواده قائلا بصوت يكسوه الغرور:

- سوف ألقيها في النيران التي أمرت الحراس بإعدادها للمجرمين اليافعة، هؤلاء من تجرؤوا وأصدروا أصواتهم الغاضبة سنستمتع بمشهد رائع وهم يقفون على ذيولهم وتنبعث منهم رائحة الشواء، سنرى ما إذا كانت هذه المتعلقات الخاصة بالملك ديسترون ستنجيهم من العذاب، ماذا سيقدم لهم ذلك الملك اليوم ؟ هل سيسمع لاستغاثتهم ويأتي على فرسه شديد الزوافر يزأر فيتبدل لون النيران التي اتخذت الشفق الذي يلوح في الأفق إلى لون الرماد الذي بللته الأمطار؟

فرشقه فؤاد بنظرة حادة حاول أن يبددها بنبرة صوته الحانية ناصحا له في رفق بألا يكرر ما فعله الملك ساجمون في سالف العصر، مذكرا له بعقابه السماوي الذي تلقاه قائلا:

- ابتسامتك في وجه عدوك أشد من السيف في حدتها، فربما السيف يستطيع اختراق قلوب الأعداء لكنه لا يحرقها مثل الابتسامة.

فنظر له ڤاستن متعجبا، وكان قد اتخذ قراره، قضي الأمر وماض فيه فماذا يفعل فؤاد؟ الآن حراس ڤاستن مستمرون في حفرهم ويقتربون من إنجاز مهمتهم، لابد له من إيجاد ذلك الحذاء الخاص بالملك مهما كلفه الأمر، قبل أن يلقي به ڤاستن في النيران ويضيع كل شيء بالنسبة لحلم العودة الذي خيم بمخيلة فؤاد، باغت ڤاستن فؤاد بسؤال قطع به الطريق على رواق أفكاره الذي كان يسير فيه يبحث عن مخرج قائلا:

- هل نفذت ما قلته لي بأنك ستذهب إلى الغابة الشمالية لتبحث فيها عن الشجرة التي بأسفلها مفتاح كنوز الملك ديسترون ؟

استيبس ريق فؤاد من مفاجأة السؤال وأسبط قليلا من الخوف ثم تحدث بصوت هسيسا: _نعم ذهبت لكني لم أجد تلك المفتاح، بل وجدت شيئا آخر.

فرد ڤاستن بفضول كبير:

- ما هو هذا الشيء ؟

قال فؤاد:

- إحدى خوذات الحرس الخاص بك، هذا يعني أن أحد هؤلاء الحراس علم بمكان المفتاح فذهب إلى هناك وأخذه، ربما طاردته إحدى الحيوانات المفترسة وفر هاربا فسقطت خوذته.

كان فؤاد قد أتى بخوذة الحارس الذي قتله أمام البئر القابع بأسفل ذلك الشاب المدعو ألبرت الذي كان يجمعه علاقة حب بالسيدة ليدا ذات الرداء الأسود التي كان ملاذها الأخير عودة روح ألبرت إليها لتعانقها للأبد أسفل الشجرة ماجنوم، هنا أصبح ڤاستن أكثر شكا في كل حراسه ويريد أن يسبر أغوار كل منهم ليعرف من بينهم من استولى على مفتاح الكنز، وتفتت خوار عقله في البحث عن حيلة يعلم بها من هو ذلك اللعين، ورمقه فؤاد بنظرة رجل مالق بينما هو كان يتحين سقوطه لينقض عليه كصقر يتابع فريسته التي حل بها الهوان متسائلا:

- ألم تقل أنك سوف تشد من أزري لبلوغ برج القصر؟

فرد ڤاستن وكلماته تتلكأ في طريقها للخروج من شفتيه:

- نعم ولكنني لا أعلم كيف أساعدك؟

فرد فؤاد وهو ينظر في عينيه مبتسما:

- أريدك أن تطلعني على متعلقات الملك ديسترون، ربما تحوي أمرا يهدينا إلى حل هذا اللغز...

فماطله ڤاستن في الحديث قائلا:

- قريبا سيحدث ذلك...

وقد ساوره الشك أن فؤاد يعلم أن هناك شيئا في متعلقات الملك وهو يريده، فصعد في المساء إلى غرفة الملك وأخذ يبحث عن أي شيء فيها، فلم يجد شيئا وذهب إلى قائد الحرس وأمره أن يأتي بجميع الحراس للاجتماع بهم، وبعد حضورهم أمرهم أن يبلغوه عن الحارس الخائن ويطردوه من بينهم، أو سيكون مصيرهم جميعا الإعدام حرقا مع

الخونة، فجميعهم نظروا إليه مشدوهين لم يفهموا عن ماذا يتحدث الملك فاستن، وطلبوا منه أن يشرح لهم فرد عليهم بوجه ملامحه كالرخام خال من المشاعر:

- هناك خائن قام بالاستيلاء على مفتاح غرفة كنوز الملك ديسترون، وعليه إعادته الآن فقد علم مكانه أسفل شجرة عملاقة بالغابة الشمالية، فنظر الجميع وتملأ وجوههم علامات الذهول، وزادت الهمهمة بينهم مرددين في صوت واحد:

- من منا يستطيع الذهاب إلى هناك فهي أخطر مكان بالبلاد ؟ ولا يجرؤ أحدنا على الاقتراب منها...

هنا نظر إليهم ڤاستن بغضب شديد وكبل أيديهم بالسلاسل الحديدية،و زجَّ بهم في السجن قائلا بصوت حاد وغاضب غير مبال لتوسلاتهم:

- الموعد اقترب والنهاية لكل الخونة حتمية، قليل من الوقت ويقضى الأمر...

وذهب إلى غرفته يتفكر قليلا في ما آلت إليه الأمور، وأخذ يفكر في حديث الحراس معه ويشعر أنهم صادقون حقا، كيف لأحدهم أن يجتاز تلك الصعاب في الغابة ويصل إلى ذلك المفتاح ويعود سالما دون أن يمسه السوء؟ ولما لا قد يكون ذلك خدعة من فؤاد ليبقى على قيد الحياة؟ ولا يوجد مفتاح ولا يعرف مكانا للكنز من الأساس، ثم حدث نفسه قائلا:



- أعلم مدى كره فؤاد لي، لكنني لن أتخلص منه...

وأتبع:

- عندما تجد شخصا حاقدا وحاسدا لنجاحك فاحرص على ألا تتخلص منه، فلن تتقدم سوى بنيران نظراته، فهي التي تبعث بداخلك قواك الكامنة...

وفي تلك الأثناء اختفى فؤاد مع حبيبته ليزا من القصر بعد أن قام بالاستيلاء على المركب الخشبي الصغير والعملة الذهبية من غرفة الكنوز وأحرق لفافات الأسرار التي وجدها بها بعد الاطلاع عليها، وهرب بعيدا بعد ما علم بأمر حراس ڤاستن المزجي بهم في السجون خوفا من أن يكتشف ڤاستن لأمره ويلقي القبض عليه أيضا، وفكر فؤاد في حيلة يخدع بها ڤاستن فهو يعلم جيدا أن هذه الأرض سوف يكون لها نهاية حتما، فأخذ مفتاح الكنز الخاص بالغرفة التي أسفل بهو القصر وأعطاه إلى ليزا، وقام بتلقينها دورا أخيرا ستقوم به، ولابد أن تؤديه باحترافية شديدة حتى لا ينكشف الأمر، لأن الفشل معناه الموت هنا في هذه الأرض، وطلب منها أن تذهب لڤاستن وتخبره أنها انفصلت عن فؤاد هذا الوغد الذي قام بخيانتها مع إحدى الفتيات، وأن تدعى سرقتها لمفتاح الكنز منه، ووصف لها مكان غرفة الكنوز التي سوف تصطحب ڤاستن إليها، وتقوم بلصق العملة الذهبية التي أعطاها لها في كف يدها بحيث لا يراها ڤاستن عندما تضعها على مكان قرص الشمس بجانب باب غرفة الكنز أثناء قيام ڤاستن بفتح باب الغرفة، فتفتح أمامه فيرى هذا الكنز فيضع كل ثقته في ليزا ويقربها منه فهي من كشفت له عن كل هذه الكنوز،

وإن ثم سيكتب لها النجاح في مهمتها بأن تأتي بالمفتاح القابع في كعب حذاء الملك ديسترون، بالإضافة إلى العملة الذهبية التي أعطاها لها فؤاد وأتت ليزا إلى القصر، ورآها ڤاستن فاقترب منها قائلا في غضب لم يخفه ابتسامته:

ـ أتت الخائنة، يتبقى الخائن الهارب...

فقالت له وهي تهمس في أذنيه:

ـ لو انتظرت لترى مفاجأتي لك لعاملتني بمنتهى اللطف.

فرد ضاحكا:

ـ خدعة جديدة تحملينها إلي أليس كذلك ؟

قالت مبتسمة بصوت حان:

ـ لا تتعجل قبل أن ترى وتحكم.

وأظهرت المفتاح الذهبي الذي كان بين طيات ملابسها قائلة بثقة:

ـ هذا مفتاح غرفة الكنوز فلتأت معي...

واصطحبت ڤاستن إلى الممر السفلي بالقصر متجهه إلى حجرة الكنز وقامت بوضع يدها التي تخفي تحتها العملة الذهبية على الحائط بمكان القرص الذهبي دون أن يلحظ ڤاستن قائلة:

ـ افتح الباب لترى ما ينتظرك خلفه...

وهنا نظر لها في توتر مصاحب لقطار محمل بالأشواق والترقب وقام بفتح الباب ليرى أنوارا تسطع من الأحجار الكريمة وكنوزا كثيرة لا تحصى فطار من الفرح وقلبه زاد في الخفقان بشدة قائلا لها:

ـ سأجعلك ملكة على هذه الأرض فهي أقل مكافأة لك...

وعبر لها عن حبه وطلب منها الزواج، أومأت برأسها بالإيجاب وطلبت منه مهلة من الوقت لكي تستعد لمراسم الزواج، فلم يؤخر لها طلبا وقام بإطلاق سراح حراسه بعد تأكده من براءتهم، ولكنهم أصبحوا يرتابونه ويبغضونه ويودون لو يستطيعون التخلص منه ويتساءلون فيما بينهم أين يخبئ ڤاستن ذلك الكلب الأسود الصغير، فإذا أستطعنا الوصول إليه لقتلناه وتخلصنا من ڤاستن للأبد، وكانت ليزا تنصت إليهم متخفية وراء الجدران وهم يتهامسون بذلك الحديث، وفي المساء كانت تتناول العشاء مع ڤاستن وسألته ليزا عن مكان هذا الكلب الصغير، غضب بشدة وقال:

- لا تسأليني عنه مرة أخرى...

فحكت له ما سمعته من حراسه، وأنهم يدبرون له أمرا، فزمجر غاضبا:

- لا يستطيعون أن يصلوا لهذا الكلب أولا لأني أخفيه عن كل العيون بعيدا، ثانيا لأني سأعدمهم جميعا لخيانتهم هذه المرة...

ولكنه لم يواجههم بالأمر، وطلبت ليزا من ڤاستن مهرا لزواجها منه، فقال مبتسما:

- لك ما تشائين...

قالت بحدة:

- لا أريد أي شيء سوى أن تأتي لي برأس فؤاد ليلة الزفاف كي يدفع ثمن خيانته لي...

فرد ڤاستن وهو يرمقها بنظرة إعجاب:

ـ سأجعل من رأسه حذاء لقدميك...

وراح ڤاستن يجتمع مع حراسه وفاجأهم بأمر علمه بأنهم يدبرون لقتله وهناك أمر واحد ليعتق رقابهم هو أن يأتوا له برأس الهارب فؤاد، وحدد لهم مهلة محددة بثلاثة أيام فقط، وحدد ڤاستن نفس اليوم الثالث ليكون يوم زفافه على ليزا، وتركهم وانصرف وظل الحراس مجتمعين يتناقشون فيما بينهم بالطابق السفلي للقصر فراحت ليزا تقترب من مكان اجتماعهم تتحدث وكأنها تفكر بصوت عالي يستطيعون سماعه وبنبرة تطغي عليها السخرية _ مخدوعون هؤلاء الحراس فهم لا يعلمون أني طلبت من الملك ڤاستن رؤوسهم بجانب رأس فؤاد مهراً لي وأن هذا الشخص الذي في ظنهم أن رقبته ستنجيهم هو الوحيد الذي بمقدورة أن يقضي على ڤاستن وتعالت ضحكاتها وهي تبتعد.فارتعدوا الحراس من الخوف من مستقبل غامض ينتظرهم فلا يعلمون الأن كيف ينجون أنفسهم لكنهم حينما تأملوا في كلمات ليزا وجدوا أن فؤاد يستطيع تخليصهم من ڤاستن والموت المحقق، وأصبح لهم طوق النجاة فكيف يصلون إليه؟ وكان في هذه الأثناء انتهى بعض الحراس الذين كان كلفهم ڤاستن منذ فترة بعمل محرقة في حفرة كبيرة لإعدام الخونة، وحدد يوم الإعدام بالتزامن مع يوم الزفاف ليكون الفرح بموت كل من خانوا، وليتبقى فقط من يناصر الملك ڤاستن على أرض المملكة، وذهبت الحراس تبحث عن فؤاد بقوة في كل مكان، حتى فات اليوم الأول من الأيام الثلاثة في البحث دون جدوى وفات اليوم الثاني أيضا في البحث وهم يحاولون إيجاده قبل أن تنتهي

المهلة المحددة من قاستن، وبدأ الحراس يشعرون باليأس والاحباط الشديد
والخوف أيضا من المصير المحتوم و، في صباح اليوم الثالث والأخير
يوم المحرقة العظيمة لإعدام الخونة التي أعدها قاستن ليهلك بها حراسه
والكثير من الشعب الرافض لحكمه، تزينت حافة المحرقة الكبيرة من
كل اتجاه بمصابيح مضيئة بألوان مبهرة استعدادا لحفل الزفاف فهو اليوم
الذي ستتحدث عنه كل العصور القادمة لهذه الأرض، فالمحرقة والزفاف
سيَتمان ظهرا أمام الشمس التي ستشهد هذه الملحمة التاريخية، وسيكون
هناك من يتراقصون فرحا على رائحة شواء لحوم الأموات، في ذلك
الصباح المشؤوم وجد الحراس فؤاد وهو متخف يحوم حول القصر من
بعيد ليتعرف عن ماذا يجري هناك، ولم يواجههم أو يحاول الهرب وقاموا
باقتياده لمكان بعيد حتى يستطيعون التحدث إليه، وقاموا بتوضيح الأمر
برمته له بأن رأسه مطلوبة مهرا لليزا وأنهم علموا مصادفة أن رؤوسهم أيضا
مطلوبة قبل رأسه ضمن ذلك المهر، واليوم هو الأخير لتلك المهلة التي حددها
قاستن فاليوم زفاف الملك على ليزا فماذا يرى؟ فأبتسم فؤاد لهم قائلا:

- افعلوا ما أُمِرْتُم...

فقالوا مشدوهين:

- ماذا؟

قال مكررا:

- افعلوا كما طلب منكم قاستن، فلتقيدوني وترسلوني إلى الملك فقبل الزفاف سيضع رأسي تحت المقصلة، وسيطلب مني أن أتمنى شيئا أخيرا، سوف أتمنى شيئا ينجينا...

فرد أحد الحراس غاضبا:

- بل قل سوف ينجيك وحدك، ماذا عنا نحن؟ هل سوف يترك رؤوسنا وهي جزء من المهر الذي طلبته ليزا ؟

رد فؤاد بحزم:

- إني قلت طلبي سيكون العفو عنكم، فقط عليكم أن تتركوني أهرب بعد أن أطلب طلبي الأخير، لأني سأخلصكم منه للأبد...

قبل الظهيرة وقت الزفاف بساعتين صعدت ليزا إلى الغرفة الخاصة بالملك ديسترون، وظلت تبحث عن حذاء الملك فوجدته ونزعت الكعب فوجدت مفتاح البرج به ونظرت له مبتسمة قائلة في همس:

- هذا المفتاح سيجمعني بفؤاد خارج هذه الأرض...

وكان هناك حارس يترقبها دون أن تراه، فقد طلب منه ڤاستن أن يجمع متعلقات الملك ديسترون ليلقي بها في المحرقة مع محبيه من الخونة، وعندما خرجت ليزا دخل الحارس وجمع متعلقات الملك وذهب بها إلى مكان المحرقة العظيمة الماثلة في حفرة عميقة كبيرة تتوهج منها النيران بكثافة شديدة، وسط الحشد الهائل من الجموع يتقدمهم الملك ڤاستن وإلى جانبه ليزا والآلاف من المصطفين في أسراب مكبلي الأيدي والأرجل بسلاسل حديدية وهم يستعدون لملاقاة حتفهم بمعانقة النيران التي ستتلذذ بشواء جلودهم وعظامهم، لاتهامهم برفض نظام حكم الملك ڤاستن، ويحيط بهم الحراس من كل جانب وجمع كبير من ذويهم ينظرون إليهم بمرارة وأسى يحتبسون الدموع في جفونهم وصرخات الألم تكاد

تفجر صدورهم في صمت خوفا أن يلقوا حتفهم معهم أيضا، مشاعر رهيبة من الألم تواجهها على بعد أمتار فرحة عارمة لمناصري الملك قاستن، والذين يستعدون لمراسم الزفاف الملكي، موقف عاصف محمل بالمشاعر المتضاربة، وبالجانب مقصلة كبيرة عملاقة أعدت خصيصا لإعدام فؤاد الذي تواجد أسفلها مطأطأ العنق، ومنتظر السياف الإدارة من قاستن لكي يقصف برأسه ويضعها على أحد الأطباق الكبيرة كمهر لليزا ليتم الزفاف، وبعد لحظات من الصمت المرعب الذي حل على المكان والجميع ينتظر مصيره المحتوم، والقلوب تنفجر من الألم أطلق قاستن هذه الكلمات قائلا بغرور وكبرياء:

- أخبركم اليوم لماذا قتلت الملك ديسترون، وهو لمن لا يعلم وهبني لنفسه عبدا أمتثل لأوامره فقط، وأنا لم أكن يوما هكذا فقد خابه الظن بأني سوف أستسلم إلى هذه المهانة للأبد فإن كنت رحيما فالرحمة لا تجوز مع الخونة، واليوم ستعود هذه الأرض نقية من هذا الدنس الأخلاقي، وسيحتفل فقط بالبقاء في جنة مملكة مو من كان ولائه لي فقط، كل هؤلاء قد خانوني...

مشيرا بأصبعه إلى فؤاد والحراس والآلاف من المكبلين بالأغلال الذين ينتظرون لحظة النهاية. وتساءل:

- هل ظلمت أحدهم؟

تابع:

- لا لم أكن كذلك هم من ظلموا أنفسهم، أعلم أن هذا المشهد قاس ولكن الخيانة أشد قسوة، والآن سأخلص نفوسكم من شرورها...

وأعطى الإشارة إلى حراسه فألقوا الآلاف من الناس في المحرقة، وألقوا معهم متعلقات الملك ديسترون والأصوات تتعالى من شدة العذاب والعيون تظهر لمعة الدموع والقلوب ترتجف من المشهد المرير، والهواء ملبد برائحة كريهة من احتراق الجلود والجثث تتفحم في الحال من شده الهجير، من يستطيع تحمل قساوة المنظر، ليس فقط بل يحتفل مع ڤاستن، بعد قليل بعد إتمام الزفاف وسط كل هذه الأجواء الصاخبة ورائحة الجلود المنصهرة والعظام التي تتحول إلى رماد، والأبصار مازالت شاخصة من روع المنظر، الكل يتمنى لو كان مات قبل أن يرى هذا اليوم، والآن عاود الملك ڤاستن حديثه وقد شابه الغرور والكبرياء موجها نظره لأنصاره قائلا:

- من ظن منكم اليوم أنه قد نجا من العذاب مع هؤلاء فذلك لأنه أبدى ولاءه لڤاستن، فسعداء الحظ فقط هم من فعلوا ذلك، لكن لم لا قد يأتي يوم آخر مثل هذا...

وأشار إلى فؤاد وأتبع حديثه:

- ذات يوم دبرت أمرا ما لقتل الملك ديسترون، ولكني تكفلت بالمهمة بدلا منك، وكنت قاب قوسين من أن أقصف برأسك، ولكنك خدعتني بعد أن عفوت عنك، جاء

اليوم لأسعد ناظري برؤية رأسك منبطحة بين قدمي، ليس
هذا فحسب وإنما هناك شخص آخر ستغمره السعادة بفصل
رأسك عن جسدك_ في إشارة منه إلى ليزا_ فأنت الخائن
الأعظم في هذه الأرض وسأقوم بتزيين سيفي بدمائك لتكون
رأسك مهرا للملكة ليزا، فقط هناك طلب أخير من حقك
قبل أن تفارق الحياة فلنر ماذا يكون؟

وهنا تحدث فؤاد بعد أن أشار الملك ڤاستن لحراسة بأن يبعدوه عن
المقصلة فقال فؤاد:

- أود أن أوضح شيئا هاما، حراسك لم يتآمروا عليك وأنا فقط
من فعلت ذلك والدليل على براءتهم أنهم اقتادوني إلى هنا
لكي تفصل رأسي عن جسدي على الرغم من علمهم أني
أستطيع التخلص منك، ورغم محاولاتي أن أساومهم على
ذلك لكنهم رفضوا وأبدوا ولائهم لك....

ففرح الحراس عندما قال ڤاستن:

- لقد عفوت عن حراسي.

وقال فؤاد:

- أما بخصوص طلبي الأخير أن تقترب الملكة ليزا إلى هنا
وأقبل يدها ندما وأسفا على خيانتي لها..

فأشار لها ڤاستن وأومأ برأسه، فتقدمت ليزا إلى فؤاد وهي تمد
يدها وبها المفتاح الذهبي الخاص بالبرج والعملة الذهبية التي كان
أعطاها لها وأخذها وهو يقبل يدها في محاولة إخفاء ذلك، وهنا قال

فاستن بصوت حاد:

- الآن بعد أن حققت لك طلبك الأخير جاء دوري لأحقق طلب ليزا، وأن آتي برأسك مهراً لها.

وكانت ليزا مازالت تقف بجانب فؤاد، وفي أثناء اقتراب فاستن من فؤاد مشهرا سيفه، تعرض فؤاد للخيانة من حراس الملك الذين وعدهم أن يخلصهم من الهلاك حيث تحدث أحد حراس الملك قائلا:

- أريد أن أخبر الملك أني رأيت الملكة ليزا تعطي مفتاحا صغيرا لفؤاد وهو يقبل يدها الآن.

وتابع حارس آخر للملك فاستن:

- كنت أمرتني أن أجمع متعلقات الملك ديسترون لكي ألقيها في المحرقة العظيمة مع الخونة، وقد شاهدت اليوم الملكة ليزا وهي تقوم بنزع كعب حذاء الملك ديسترون وتأخذ منه مفتاحا ذهبيا صغيرا، وقامت بإخفائه.

جن جنون فاستن وقال بصوت كالبركان الغاضب:

- الموت للخونة...

وهو يرمي بسيفه تجاه فؤاد، وقبل أن يصل إلى صدره احتضنته ليزا ليخترق ظهرها في مشهد دموي حزين، وفؤاد يمزق قميصه لتنظر ليزا لصدره العاري وبه الجرح الغائر ومحفور به اسمها وتغرق عينيها الدموع، وفؤاد يحتضنها بقوة وتنسكب دموعه معبرة عن يأسه من الحياة وهو ينظر في عينيها قائلا:

- كمصباح دري أنار الرواق ما بين قلبي ووجداني

تأملتك وجدتني في حياة برزخية تائه لا أعلم فيها
سواك عنواني من بعدك لا أمل لا طريق لا حياة فالقلب فاني
وأتبع وكأنه يرثيها قبل أن تقفل جفونها معلنة النهاية:

- ظمآى يا أراضي قلبي البور
متى تُروين وحبيبك كالسحاب نستجديه الندى... كمن في البحر
ولم يكتب له أي من الحور

أبهر ذلك المشهد المتواجدين من وفاء ليزا لحبيبها، وهو يقبلها ودموعه تسقط بغزارة غير مصدق ما حدث، قبل أن تشتعل في عيونه وقلبه نار الانتقام من تلك الأرض اللعينة، وتركها على الأرض وأطلق ساقيه للريح مسرعا ناحية أعلى القصر يطيح بكل من يقابله بصورة إعجازية وبقوة أشعلها الحنين للثأر لحبيبته ليجعل هذه الأرض بأكملها كتلة من الرماد بمن عليها، إلى أن صعد إلى برج أعلى القصر ليفتح بالمفتاح الذهبي الصغير مسرعا يجتاز عتباته لأعلى، حتى وضع المركب الخشبي الصغير الذي كان أخفاه بين طيات ملابسه ووضع بها العملة المعدنية التي معه، والعملة الأخرى التي كانت أعلى البرج التي كان وضعها الملك ديسترون من زي قبل لحظة وجوده بالأرض لأول وهلة، وإذ بالسماء تبرق وتسطع بضوء هائل يكاد يعمي الأبصار ومن شدته طغى على ضوء الشمس الحاضرة، لينظر للجموع شاخصة الأبصار في تشف لنار قلبه ذات الحمم المشتعلة على فراق حبيبته والرعب يملأ عيون كل الحاضرين وقاستن بالأخص حيث رفعت أيديهم للسماء يتوسلون للرب أن يرحمهم مرددين:

ـ يارب يا راع مو أنقذ عبادك الطيبين

و كانت هذه نظرة فؤاد الأخيرة لأهل هذه الأرض قبل أن يدخل في إغماء رأى فيه أن هذه الأرض تنفجر كبراكين من النيران تلتهم كل من عليها وتتحول إلى رماد، ثم تغرق بالمحيط لتنتهي أسطورة هذه الأرض للأبد، ثم يستفيق ليجد نفسه في أحد حقول قريته بدمياط، وبجواره أخوه الصغير سامر وهو يحتضنه باكيا على فراق حبيبته ليزا، وهنا بدت عيناه المليئتان بالدموع جاحظة من هول ما رأت، خسراف في هيئة ذلك الغراب الضخم اللعين ذو الرائحة النتنة يقف أمامه وينظر إليه في ترقب شديد، أبدى فؤاد تماسكه وقال بصوت خفيض متقطع لأخيه:

ـ عليك أن تتركني الآن عد إلى المنزل، سأنتظر هنا قليلا ثم أتبعك...

فأومأ سامر بالإيجاب وأنصرف وأطلق فؤاد كلماته صوب خسراف بنبرة شديدة الغضب _ماذا تريد مني الآن بعد أن دمرتني؟

فرد خسراف بهدوء شديد بصوته الذي لا يختلف عن نحيب الثكالى:

ـ هناك دين لي يجب عليك أن توفيه الآن.

رد فؤاد مستنكرا:

ـ عن أي دين تتحدث وأنت لم تفِ بوعودك لي ؟

أطلق خسراف ضحكة مرعبة جعلت الأرض تهتز من تحت أقدام فؤاد متبعا:

- منذ متى كان الشيطان يفي بوعد يا صغيري؟ الرب حين يأمر يجب على العبد الطاعة، كنت كريما معك وحققت لك ما لم يتحقق لبشر، وجعلت أقدامك تطأ أراض لم تأت على بال أحد من البشر، والآن لك الاختيار، كيف ستقدم لي روحك التي هي ملك لي؟

رد فؤاد مندهشا:

- كيف هذا قبل أن تجعلني أحد أساطير هذا الزمان وتخلد ذكراي بين البشر؟ كيف هذا قبل أن تظهر لي بصورتك الحقيقية كما وعدتني ؟

فارتفع خسراف عن الأرض قليلا وأصبح مواجها لرأس فؤاد، ووجه جناحه الأيسر ناحية رأس. فؤاد فارتفع هو الآخر عن الأرض عدة أمتار قليلة وتحدث خسراف إليه بصوت خشن متحشرج قائلا:

- أستطيع أن أفتك بك بإشارة لكني لن أفعل، سأترك لك تلك المهمة فهي الشرط الوحيد لأعود لأسلافي في مملكة سليمان.

وألقى به على الأرض متبعا:

- غدا ستكون أشهر شخص على وجه الأرض، أما لكي تراني فذلك سيكلفك مشقة الإيمان بي الإيمان الكامل، ولا أظن أنك عبد صالح فكيف تكون لك تلك الصفات وأنت تعصيني بهذا الشكل المنفر؟ فأنت لا تستحق تلك المكانة الرفيعة.

فقال فؤاد مترجيا:

ـ أعط لي الفرصة لكي أثبت لك أني أستحق ذلك.

فأدار خسراف له ظهره مبتعدا حتى اختفى وهو يقول في صوت هادر:

ـ موعدنا غدا.

بات فؤاد ليلته في غرفته يتذكر ويكتب كل ما حدث له في حياته وفي رحلته الأسطورية، في حزن على فراقه لحبيبته وعلى نهاية حتمية بدت وشيكة، وخوفا على الصغير سامر الذي سيتركه وحيدا يواجه المجهول، ترك قصته بالكامل في رسالة مكتوبة على جلد ثعبان كبير كان اشتراه، ووضعها في صندوق نحاسي صغير وألقى به في ترعة السلام القريبة من منزله كما كان اتفاقه الأول مع خسراف أن يكتب كل شيء عن رحلته الأسطورية، وتعيس الحظ فقط هو أول من سيقرأها ليكمل نفس رحلته ويكون له نفس المصير، وفي الصباح دخل سامر غرفة فؤاد ليجد منظرا بشعا جعله يصرخ بشدة في رعب مشدوها من الصدمة بعيون جاحظة وجثى على ركبتيه فلم تستطع قدماه التحمل من قسوة الألم، حيث رأى فؤاد مشنوقا بحبل غليظ ولكن في حالة أعجب من العجب، رأسه مرتفعة فوق الحبل قليلا ثم لا عنق له وباقي جسده معلق في الهواء أسفل الحبل بشكل مرعب وغريب، وبعد عدة دقائق من الصراخ المتواصل وبعد أن استطاع مقاومة هزلان جسده ذهب في حزن وبكاء لا ينقطعان إلى أقرب قسم للشرطة ليحكي للضابط المدعو عصام رشدي ما رآه، فتعجب الضابط من رواية الطفل سامر وحاول تهدئته دون جدوى وقام سامر باصطحابه

إلي المنزل ليتبين الأمر الذي أصاب الطفل بالفزع، ووصل بالفعل إلى المنزل ودلفا إلى غرفة فؤاد، وما إن تجولت عينا الضابط بالمكان لـ... قدميه قد تثاقلتا وشلتا عن الحركة ولم يصدق ما تراه عيناه، فشعر بدوار شديد كاد أن يفقده توازنه فاتكأ على كرسي خشبي بالجوار وجلس على... في صدمة شديدة، وبدأ يردد بصوت خفيض:

- ما هذا بحق الجحيم ؟

فأغلق الغرفة وخرج منها وتحدث مع سامر الصغير والغريب أن سامر بعد أن عاد من رحلته الأسطورية بوجوده في الحقل الزراعي بجوار فؤاد فقد هذا الجزء من ذاكرته وسقط تماما ولم يستطع تذكر أي شيء خاص بهذه الرحلة، فلم يقدم إجابات واضحة على تساؤلات الضابط عصام تهدئ من بركان الغموض الذي يحيط بالقضية، فقرر الضابط جلب فريق من العلماء وأطباء من المعمل الجنائي وعدد من رجال الصحافة لتغطية الحدث النادر شديد الغرابة في مؤتمر كبير، ليكشف عنه أمام الرأي العام وبالفعل في خلال ثلاثة ساعات مع اقتراب وقت الظهيرة كان هناك حصار أمني حول المنزل، ودخل عدد محدود جدا من رجال الصحافة ليلتقطوا الصور للجثة الغامضة العجيبة في حضور فريق من الطب الجنائي الذي قام بأخذ عينة من الحمض النووي من الجثة ومطابقتها بعينة من الطفل سامر ليتأكدوا من صلة القرابة بينهما، لم تمض دقائق قليلة حتي تبينت إيجابية العيّنة وصحة صلة القرابة بينهم فعليا، وفي تلك الأثناء قام اللواء أدهم صفوت الحاضر لكشف غموض الحادث ذلك الرجل الذي يبدو في العقد الخامس من العمر طويل القامة قوي البنية الجسدية كثُ الشارب

يدقق في الجثة بعويناته الأنيقة وقام بالاقتراب من الجثة المعلقة، ووضع كرسيا خشبيا بجانبها وقام بالوقوف أعلاه ومد يده اليمنى بين الفراغ الموجود بين رأس الجثة والجسد المعلق، فمرت يده دون أي عائق بشكل أذهل الحضور وأرعبهم في آن واحد، وكأنها أحد فقرات السحرة التي تقدم في السيرك حول العالم، فأمر اللواء أدهم من فوره بجلب عالم فيزيائي شهير يدعي سامي موسى، باحث أكاديمي متخصص في علوم الفيزياء بجامعة كمبريدچ بأمريكا، كان متواجدا بمصر لقضاء عطلة مع عائلته وعندما أتى سامي لمسرح الحادث اندهش مما رأى مبديا تعجبه من مخالفة تلك الجثة لقانون الجاذبية، وأمر بحفر بسيط أسفل تلك الجثة المعلقة ليرى مكونات التربة ليقوم بعمل أبحاث عليها ليتأكد من عدم اختلال المجال المغناطيسي بالمنطقة، ومدى مقاومة الجثة للجاذبية الأرضية، وبعد عدة ساعات قليلة وجد أن نتيجة الأبحاث التي قام بها طبيعية جدا ولا يوجد أي شيء غريب يفسر ما يحدث، وفي ظل حضور ذلك الجمع من رجال الصحافة والشرطة والأطباء والعلماء والذهول الذي يكسو الوجوه ويملأ العيون الشاخصة، حدث ما جعل الجميع لا يستطع ابتلاع لعابه من هول المفاجأة أذ بفؤاد يدخل أمامهم ويلقي عليهم التحية ويصعد على الكرسي الخشبي أمام جثته وينظر لها قائلا:

- إن أردت أن تعبر عن فرحك فابتسم، وإن أردت أن تعبر عن حزنك فابتسم، فإن لم تجد الابتسامة فأنت غير قادر على التعبير، وستدرك أنك ميت لا محالة.

ويطلب من رجال الصحافة بالتقاط بعض الصور له بمرافقة جثته قائلا:

- صورة للتاريخ قبل أن أفارق هذا العالم.

لحظات من الصمت عدت كسنوات من الصواعق على رأس الجمع المتواجد بالمكان قبل أن يقطع ذلك الصمت الرهيب صوت يكسوه الرهبة من اللواء أدهم: _من أنت؟

فرد فؤاد مبتسما وأشار بسبابته للجثة المعلقة:

- أنا هذا

وكاميرات المصورين لا تتوقف عن التقاط الصور والفيديو، فصاح الضابط عصام قائلا:

- هل لنا أن نتأكد من مصداقية إن كنت بالفعل تمثل شبيها لتلك الجثة؟

فرحب فؤاد قائلا:

- بكل سرور سيدي الضابط لك ما شئت.

فأشار عصام قائلا لقائد فريق الطب الجنائي:

- نريد مطابقة البصمة الوراثية له مع الجثة المعلقة.

وبالفعل تم ما أراد، وبعد دقائق ساد فيها الصمت والترقب، كانت النتيجة الإيجابية المطابقة صادمة للجميع، وجه هنا اللواء أدهم حديثه لفؤاد مستنكرا ما يحدث ورافضا لما يرى الذي هو بمثابة ضرب من الخيال في زمن نضبت فيه الأساطير:

ـ احكِ لنا كيف عدت للحياة مرة أخرى بعد الانتحار يا سيد فؤاد؟

فأبتسم فؤاد قائلا:

ـ أنا لم أنتحر فقط فارقت جسدي لكي أتحرر وأذهب لعوالم أخرى، وسأعود إليه مرة أخرى قريبا.

فتعجب اللواء أدهم ورد غاضبا:

ـ كيف لإنسان عادي أن يفارق جسده ويَعود إليه وقتما يشاء؟

فنظر إليه فؤاد بغضب قائلا:

ـ وهل تراني إنسانا عاديا ؟ أذن من هم الأساطير من وجهة نظرك؟

متبعا:

ـ لقد خضت معارك لم تخطر ببال بشر ويعجز الخيال عن وصفها، وها أنت الآن تنعتني بإنسان عادي، إذا كان ما تراه بناظريك شيئا طبيعيا فلك المفاجأة القادمة التي ستجعل منك شاهدا على قصة جديدة ستضاف إلى كتب الأبطال الخارقين. وأشار بيده مودعا الجميع وانصرف من المكان، وبعد لحظات من مغادرته للمكان حدث جلل قد حل بالمكان جعل الجميع وكأنهم يشاهدون أحد أفلام ما وراء الطبيعة والأساطير القديمة، إذ بالجثة المعلقة تسقط بكاملها لتتحول إلى تمثال ذهبي ليخلد فؤاد ويصبح لغزا أسطوريا تاريخيا لهذا العصر، ويصدم الجميع مما يرون

والمصورون لا يتوقفون عن التقاط الصور مطلقا، وبعد
عدة أيام من البحث والكشف عن أثرية التمثال وفحص
تكوينه من المعادن، والتي تتمثل في الذهب الخالص وعدم
العثور على فؤاد مرة أخرى واختفائه، تم تكليف اللواء أدهم
صفوت من قبل القيادات العليا للأمن العام بإغلاق القضية
وتحويل منزل فؤاد وصفي إلى متحف، ووضع حراسة حوله
ليسدل الستار على أغرب قضية شهدتها البلاد منذ قرون
بعيدة، وكان هناك محاولة لإقناع سامر بتوفير مسكن آخر
له لكنه رفض وأصر على التواجد بمنزله، فتم بقاؤه بالمنزل
وتم فصل الغرفة الخاصة بفؤاد التي تحولت إلى متحف
أثري تاريخي للزوار والباحثين في مجال الماورائيات،
وكان في المساء قد ذهب فؤاد بعد أن غادر منزله في
وجود الجمع الحاشد حول جثته متجها إلى الحقل الزراعي
لملاقاة خسراف فوجده بانتظاره لم يطله أي تغيير نفس
الريش الأسود الكثيف ذو الرائحة الكريهة وصوت الفحيح
والعيون الجاحظة، صاح خسراف مهللا مادحا فؤاد:

- شرف عظيم أن التقيت بأسطورة هذا الزمان ذات يوم، كم
كنت محظوظا بتلك الوعود التي قطعناها سويا، وها أنا قد
التزمت بها، ونفذت لك ما أمرتني به وجعلت منك أسطورة
لن ينساها البشر ولن تكف الأحاديث عنك على مر العصور،

الآن ماذا ترى يا صغيري؟ ألم يحن الوقت لكتابة النهاية السعيدة وتضع بين يدي ما هو ملكي؟

رد فؤاد ساخرا:

- أرى أنك رغم قوتك وبراعتك في قلب الحقائق إلا أنك ضعيف الذاكرة.

كان لي طلب منذ رأيتك أول مرة في الصحراء وهو أن أراك في صورتك وهيأتك الحقيقية، والآن زاد طموحي لشيء أكبر من ذلك، عليك تلبيته قبل أن أسلم روحي لك، نظر خسراف بغضب شديد وقد تحول المكان الذي يقف فيه إلي نجمة خماسية الشكل مشتعلة ويحيط به النيران في شكل دائري من كل جانب، ثم رد بصوت أجش مخيف كصوت الرعد في صداه:

- لا تلعب دور البطولة المطلقة إذا كانت لا تناسبك، فالأدوار الثانوية أحيانا تحقق ما لم تحققه البطولات

وأتبع:

- عليك أن تعلم إن أردت رؤيتي ستحترق لا محالة، فأنا طريقي الجحيم مقارنة به واد أخضر تحيطه الأشجار.

فابتسم فؤاد متجاهلا تحذيرات خسراف قائلا:

- دعك من هذا، عليك حسن استقبالي في قصرك أمام ملوك الجان من بني جنسك والاعتناء بنفسك أثناء مبارزتي، فهم لن يرحموك إذا انتصرت عليك وإن هزمتني فلك روحي، وهنيئا لك رجوعك لأسلافك ملكا متوجا.

فضحك خسراف كثيرا وارتفع عاليا قائلا وهو يشير
الظلام إلى باب يحده النيران من كل جانب:

- إذا استطعت عبور أرض الحكمة ستجد بنهايتها
أنت هالك لا محالة أردت فقط أن أخبرك بما ينتظرك
تضجر مني، الوداع أيها الأحمق الصغير.

وأطلق عدة ضحكات عالية واختفى عن الأنظار، فنظر فؤاد إلى
الباب الذي تحده النيران في هذا الليل المطبق فلم ير أي شيء في الظلام
سواه، فسار في تؤده حتى وصل إليه وحفز نفسه قائلا:

- يمكنك تصنيف نفسك تبعا لأحلامك، فإن رأيت
مستحيلا فتأكد أنك عاجز.

ودلف منه وأغلق الباب خلفه من تلقاء ذاته حتى وجد أرضا
الغابات الإفريقية الشاسعة، وهناك من على مسافة بعيدة طفل عاري
الجسد يركض فوق عدد من الثيران ذات الأحجام الكبيرة بشكل عجيب
وبالقرب منه بعض البشر ذوو البشرة السمراء يصفقون له بشدة ويشيرون
بعلامة النصر، في مشهد أشعر فؤاد بالرهبة ويسمع صدى تساؤلات عقله
كيف لهم أن يأمنوا على هذا الطفل من شر غدر تلك الحيوانات الشرسة
؟ وعندما اقترب فؤاد أكثر من هؤلاء الناس تقدم كبيرهم وهو رجل طويل
ونحيف الجسد شبه عار، يغطي أسفله بقطعة من جلد النمور وله ذقن
مدببة وعيون جاحظة، حليق الشعر وتحدث إلى فؤاد بصوت جهور:

- من أنت؟ وماذا تريد أيها الغريب؟

فرد مبتسما:

ـ كنت أظن أن اللغة ستكون عائقا بيننا.

فرد الرجل ساخرا من فؤاد:

ـ ألا تعلم أن أهل أرض الحكمة يستطيعون الحديث بأي لغة ولهم من العلم ما لم يصل إليه أحد من البشر قط؟

فنظر فؤاد تجاه الطفل الراكض فوق الثيران متعجبا وأتبع:

ـ أي علم يجعلك تلقي بهذا الطفل إلى التهلكة وتغمرك السعادة في حين توشك نهايته على الاقتراب ؟ سأخبرك أنا بما أردت معرفته عني ولكن عليك أن تخبرني ماذا جناه هذا الطفل ليتم معاقبته بهذا الشكل؟

وأتبع:

ـ أنا فؤاد وصفي، أتيت إلى هذه الأرض لكي أصل من بعدها إلى قصر الشيطان خسراف، وعليك أن تدلني على الطريق.

فابتسم الرجل قائلا:

ـ نحن كل ما نفعله في هذه الأرض نابع من الحكمة التي توارثناها عبر أسلافنا وأجدادنا، فلا يبلغ لدينا طفل ويصبح رجلا قبل أن يجتاز ذلك الاختبار الشاق الخطير، ولتجتاز تلك الأرض ستقابل العديد من الأمم، لا أظن أنه بمقدور شخص مهما كانت استطاعته فعل ذلك، لكن عليك أن تعلم أنه لن يتركك أحد أن تغادر على قيد الحياة قبل أن تبلغه بحكمة، فنحن لا نقدس شيئا مثل الحكمة.



فرد فؤاد مبتسما:

- كل إنسان هو في الحقيقة مروض أسود، فبداخل كل ... أسد رابض، الناجح فقط هو من يستطيع إخراجه ليلتهم ... الصعاب في طريقه، أما الفشلة فيقدمون أنفسهم فرائس بدلا من تلك الصعاب.

فابتسم الرجل وأشار إلى فؤاد بيده وأتبع قائلا:

- عليك اجتياز ذلك الطريق المنحدر.

وأبتعد فؤاد عنهم متجها في طريقه للمكان المشار إليه، فوجد جمعا من الناس يحتفلون بزفاف فتاة، وقد وجد أشياء عجيبة تحدث حيث أن الرجال يبصقون في أيديهم قبل السلام على الآخرين، وهناك أطفال صغار بين أيدي أمهاتهم يقوم الكبار بمداعبتهم ومباركتهم أيضا بالبصق عليهم، ووجد رجل كبيرا يرتدي ثيابا بيضًا مزينة، يبدو أنه والد العروس يقوم بالبصق على صدر ورأس العروس في مشهد أذهل فؤاد بشدة، وحين اقترب فؤاد منهم، اقترب الرجل الكبير صاحب الثياب المزينة وقام بالبصق على يده ومد يده لمصافحة فؤاد، تقزز كثيرا فؤاد من فعلة الرجل وقال في غضب:

- ماذا تفعل أيها المأفون؟

فرد الرجل مُتبرِّما من ردة فعل فؤاد:

- هكذا دوما حال الحمقى من الغرباء، دائما يكررون تلك الاسئلة، ولكن لن أمل من إجابتهم، نحن نتبرك بهذه العادة

ونبعد بها الشياطين عن أبنائنا، أجبني أنت ما الذي أتى بك إلى هنا؟

فاجاب فؤاد:

- أريد الذهاب إلى القصر الملعون القاطن بآخر هذه الأرض.

فرد الرجل:

- هلْ تعلم ما يجب عليك فعله؟

فابتسم فؤاد واومأ برأسه قائلا:

- من يمتلك حديقة من ثمار النجاح ستعلمه حقا من مجرد مصافحته، فمنحنيات تشقق الجلد هي طرق صغيرة للكفاح والتعب والآلام، لا يصلها إلا المثابرون.

فأشار الرجل إلى الغابة التي تبعد عشرات الأمتار قائلا:

- عليك اجتيازها.

فاتجه فؤاد إليها مباشرة، فوجد عددا ليس بقليل من الرجال يلبسون ملابس بيضاء فضفاضة خفيفة، ويحملون جثة يطوفون بها، ثم وضعوها على الأرض وقام أحدهم بقطع حلق الجثة ثم أسال المياه النظيفة داخل الجسد، وقام بالضغط على المعدة حتى تصل المياه إلى أنحاء الجسد كاملا في مشهد أذهل فؤاد من غرابته، وظل ينظر إليهم فؤاد في توجس ورهبة اجتاحت جسده وشلت أطرافه، حتى صاح به كبيرهم:

- ماذا تريد أيها الفتى؟



فرد فؤاد:

- أبحث عن قصر خسراف، لكن فضلا أتشوق لمعرفة ماذا يحدث هنا ؟

فرد الرجل:

- هذا أحد افراد عائلتنا سيلقى ربه، فكيف يفعل ذلك قبل أن نطهر جسده من الخطايا والذنوب ؟ والآن يمكنك أن تتذوق لذة ذلك الأمر إن لم تأسرنا كلماتك.

فرد فؤاد في رعب شديد:

- أذا عرف المستحيل طريقا لك فامْحُ كل الطرق وأحرق الخريطة ولا تستنشق الدخان المنبعث منها فهو الموت المحقق.

فرد الرجل وهو يبتسم:

- هناك قارب صغير على حافة ذلك البحر...

وأشار بيده ناحيته:

- عليك استقلاله فما تبحث عنه في الجانب الآخر من البحر.

وعندما استقل فؤاد القارب الصغير واقترب من الشاطئ وجد عددا من سكان القبائل القديمة يرتدون ثيابا مزركشة وغريبة الشكل على نحو غير مألوف، ويتجهون ناحية البحر الذي يمتلئ بالآلاف الجزر وهم يرقصون ويغنون بأهازيج غريبة، وهناك من خلفهم مجموعة أخرى من الناس قادمة ترتدي أقنعة من رؤوس الحيوانات الغريبة يخفون بها

وجوههم، وبينهم فتاة جميلة يحملها خمسة أشخاص يقودهم في المقدمة شاب يحمل رمحا مزخرفا بأصداف البحر، ثم يقوم بإلقاء هذه الفتاة في البحر، فيسود صمت عميق يدبُّ في أركان المكان، وتظهر الفتاة بعد برهة من الزمن تحت صخرة كبيرة بالماء تشبه كهفا في باطن أحد الجبال، فيتعالى الصياح والصراخ مهللين فرحا ويرقصون مجددا حول الفتاة التي تجلس بعد ذلك على الصخرة تحدق في البحر، فاقترب فؤاد أكثر منهم بعد أن هبط من القارب، فرفع الشاب ذو الرمح المَزخرف رمحه تجاه فؤاد قائلا:

- من أتي بك إلى هنا وماذا تريد ؟

رد فؤاد بملل شديد:

- أنا جئت من أجل الوصول لقصر الشيطان خسراف، لكن أريد تفسيرا واحدا لمقتل تلك الفتاة.

فابتسم الشاب قائلا:

هذه طقوسنا ومعتقداتنا الخاصة، نحن نقدم قربانا بشريا كل عام للبحر، فنحن نعيش على صيد حيواناته كما كانت تلك عادة أجدادنا الفايكنج، فهذا البحر ابتلع كل أصحاب الغارات المعادية ضدنا، وتقديمنا له ذلك القربان لترضيته كي يهدأ من ثورته.

وأتبع الشاب:

- هل تعلم مقدسات وقوانين أرض الحكمة؟

أومأ فؤاد برأسه بالإيجاب قائلا:

ـ بداخل كل منا صنم لشيطان يحاول بشتى الطرق صداقتنا فمنا من يرافقه ومنا من يذهب معه للعشاء في مكان هادئ ومنا من يقدسه ويقدم له القرابين ومنا من يهدم الصنم ويفرغ فأسه على حطامه.

قال الشاب بصوت يملؤه الثناء وتسكن عيناه نظرات الأعجاب بشجاعة فؤاد:

ـ أكمل السير في هذا الطريق الضيق الوعر، ويتوجب عليك أن تأخذ حذرك وأنت تتخطى الجسر الخشبي المعلق.

فابتسم له فؤاد قبل أن ينصرف وأخذ بنصيحة الشاب وهو يجتاز الجسر الخشبي المتهالك، وبعد أن تعداه تسمرت قدماه عندما رأى شخصا نحيفا أسمر البشرة ذو أنف مفلطحة يحمل على كتفه سيدة متوفاة لا يتبقى منها إلا هيكلها العظمي، فهي مجرد جثة لسيدة ترتدي الثياب بكاملها في مشهد عجيب ومرعب في آن واحد، وعلى الجانب فتاة في ريعان شبابها تجلس بجانب هيكل عظمي يبدو من مظهره أنه لرجل عجوز أيضا، يرتدي الثياب كاملة وزكمت أنف فؤاد من رائحة الجثث التي تملأ الهواء والجو البارد تسوده القتامة، فهناك العديد من الجثث التي يصطحبها ذووها من الأهالي، فبادر فؤاد الرجل الذي يحمل جثة السيدة العجوز قائلا:

ـ لماذا تحمل جثة هذه السيدة كاملة الثياب؟

فرد الرجل بوجه خال من المشاعر كالرخام:

ـ هذه طقوس ومعتقدات قبيلتنا، فنحن نحتفظ بجثث ذوينا عدة أشهر لنتبرك بها قبل دفنها، توارثنا هذه العادة من أسلافنا.

وأتبع:

ـ عن"ماذا تبحث هنا أيها الفتى؟

رد فؤاد بقليل من الارتباك:

ـ لا أعلم إذا كان ما أبحث عنه هنا أو في مكان آخر ف، قط دلني عن قصر أبحث عنه طيلة رحلتي في هذه الأرض يدعى قصر خسراف، وقبل أن تطلب مني مقابل ذلك أريد إخبارك أن:

للموت مزايا عديدة لهؤلاء من لم يقدموا شيئا ليستحقوا الحياة، فتذكرنا لرحيلهم أفضل من نسيان وجودهم أحياء.

فأشار الرجل باتجاه الجنوب قائلا:

ـ هناك قلعة عتيقة تحدها البحار من كل جانب، فهي تقع بجزيرة ندر العيش بها.

وأتبع:

ـ عليك اجتيازها من خلال السير فوق جسر صخري ضيق، هو المعبر الوحيد إليها.

فانصرف فؤاد واتجه إلى الجسر، ووجد في مقدمته عمودا حديديا معلق عليه دمية بشكل عجيب، وبعد أن اجتاز الجسر ووصل إلى القلعة العتيقة على متن الجزيرة، دب الرعب في قلبه فوجد الآلاف من دمى الأطفال معلقة في كل مكان بالجزيرة، فهي ليست كمثل الدمى التي نراها واعتدنا عليها إنما هي غريبة الشكل ومشوهة على فروع الأشجار، وعلى نوافذ وأبواب القلعة وعلى الشرفات، وما زاد من قلقه وانفلات أعصابه أن هذه الدمى تحدق به بغرابة، وعندما يجتاز أيا منها يشعر كأنما كانت هذه الدمى تتهامس في ما بينها، فهي بلا شك دمى مسكونة، أسرع فؤاد خطاه بارتياب متجها للقلعة التي تعج بالدمى وقلبه يكاد ينفجر من الخفقان بشدة، وما إن دفع باب القلعة قليلا حتى سمع له صريرا مرعبا، أيقن أن هذا الباب لم يفتح منذ زمن بعيد ويعد مهجورا تماما، انقبض قلبه أكثر من الفزع الذي يجتاحه دلف إلى الداخل فوجد رجلا يبدو راهبا من ملابسه، طويل القامة جسده نحيل والتجاعيد تكسو وجهه وله شارب كبير وعينان جاحظتان ظلتا مفتوحتين على اتساعهما كأنه لا يغلقهما أبدا، يهبط سلما دائريا في بطء شديد حاملا دمية في يده ويحدق في فؤاد بشكل مرعب، ويبدو عليه الضيق من دخول فؤاد إلى قلعته، يبدو أنه انعزالي لا يغادر تلك القلعة، ولا يرغب بوجود غرباء فاقترب من فؤاد قائلا بصوت مبحوح خفيض:

- هل أتيت إلى هنا لتعبث بالدمى الخاصة بي؟

فارتجف فؤاد نافيا بشدة:

- لا لا لم يصدر هذا مني، لقد أتيت في طريق بحثي عن قصر الشيطان خسراف في آخر حدود تلك الأرض.

متبعا:

- لا أخفى عليك، يثيرني فضول قاتل لمعرفة سر تلك الدمى المعلقة في كل مكان...

فتنهد الرّجل واغرورقت عيناه بالدموع وحاول أن يتماسك قليلا قائلا في حزن شديد:

- أنا الراهب سانتانا، أقبع في تلك الجزيرة منذ نصف قرن مضى، كنت أعشق فتاة في طفولتي لا أرى أجمل منها في هذه الدنيا، فهي كانت أجمل بكثير مما نظنه عن الملائكة، لا أدري كيف أصفها لك كنا سويا طيلة الوقت نلعب، نأكل، نتقاسم الضحكات نرقص على أنغام الموسيقى الهادئة كالفراشات، كانت الحياة قطعة حلوى لا تذوب نقتسمها دائما، وذات يوم اختطفها مني ذلك البحر اللعين، غرقت وانطفأت الشموع التي كانت تزين وتضيء هذا العالم.

ودلف سانتانا وفؤاد الى خارج القلعة تجاه البحر وأتبع الراهب حديثه:

- منذ ذلك اليوم وأنا أبعث بالدمى كهدايا إلى صغيرتي التي لم تفارقني لحظة واحدة.

فربت فؤاد على كتف الراهب قائلا في حزن اجتاح وجهه:

- بقليل من العطف تستطيع معالجة القلوب التي صدئت فهي وإن أصبحت جاهزة للعرض بين التحف غير صالحة للسكن.

أشار الراهب إلى فؤاد بأن يعود إلى داخل القلعة، سيجد قاربا صغيرا عليه استخدامه لعبور الجهة الأخرلا من البحر، فأطلق فؤاد ساقيه للريح ودلف إلى داخل القلعة وأخرج القارب وهبط به إلى البحر، ولم تفارق عيناه الراهب الذي ظل يسير في صمت إلى داخل البحر حاملا الدمية في يده متجها إلى الأعماق حتى أغرقته المياه وغطّته تماما واختفى عن الأنظار، يبدو أنه على موعد مع فتاته الصغيرة. بعد عدة ساعات من الإبحار بالقارب وصل فؤاد إلى الشاطئ وهبط من القارب، وجد قرويين آسيويين يرتدون ملابس الشرق القديمة المزركشة، والمكان تحيطه الطبيعة الخلابة من أشجار وارفة ونباتات تزين شتى أنحاء الأرض، لكن ما إن لبث دقائق قليلة وقلبه انقبض كثيرا من مشهد كاد أن يسقطه أرضا من الفزع، عندما اقترب منهم قليلا حيث وجد العديد من الأسرة الخشبية تنام فوقها مجموعة من الفتيات الرائعات الحسن والخلقة، يرتدين ثيابا جميلة منمقة وفوق رؤوسهن التيجان الذهبية البراقة، ومجموعة كبيرة من الناس ينظرون عن كثب من على بعد أمتار قليلة ما يحدث في ترقب، وهناك رجل يقف بجانب كل سرير يمسك بأداة حادة قاطعة تشبه قاطع السيجار ويمد يده مدخلا هذه الآلة إلى داخل فم الفتاة الراقدة في صمت ويفصل مقدمة لسانها، وتنهمر الدماء بغزارة في مشهد دموي مخيف فيقوم الأهل المتابعين بالتهليل والمباركة، وتعم البهجة المكان في شكل

عجيب، فاقترب فؤاد قليلا وهو يشغر بالغثيان مما يرى وقد تثاقلت قدماه من هول المشهد، وسأل رجلا عجوزا يرى أن له هيبة كقائد لتلك القبيلة:

- ماذا يحدث هنا بحق الجحيم هل مشهد الدماء يسبب لكم كل هذه السعادة؟

فابتسم الرجل الكبير قائلا:

- نحن بذلك نجلب الحظ لفتياتنا ونضمن لهم حياة سعيدة في المستقبل.

فتعجب فؤاد من قول الرجل ثم ردد في صوت منخفض:

- هل ألسنة النساء سبب تعاستهم ؟

وظل يتأمل تلك الفتيات فصاح به الرجل الكبير:

- لماذا أتيت إلى هنا؟

فتلعثم فؤاد قليلا وقال:

- أريد قصر الشيطان خسراف هل تدلني على طريق له ؟ ولكن قبل ذلك أريد إخبارك أننا:

- نظن دائما أن المحيطين هم من يضعون الألغام في طريقنا، على الرغم من أننا من وضعناها باختيارهم بجانبنا.

فأشار له الرجل إلى الطريق قائلا:

- اجتز هذا الطريق الجنوبي المُحاط بالأشجار، سيخبرك عن الطريق رجل هناك وهو حارس أشهر مقبرة في هذه الأرض.

فاتجه فؤاد الى هذا الطريق المليء بالطيور الجارحة مثل النسور وأيضا بعض القردة التي تقفز بين أغصان الأشجار العالية، واستمر فؤاد في السير حتى أقبل الليل، إلى أن وصل إلى مكان مقفر تنتشر به رائحة الموت، وهناك مقابر عتيقة على مرمى البصر، فتقدم أكثر محاولا تجاوز تداعيات الرعب المحيطة بالمكان والتي تقشعر لها الأبدان حتى رأى أمامه قبرا عليه بعض الرموز غير المفهومة، وصورة معلقة لرجل ذو ملامح حادة وبشرة بيضاء ذات ملامح كالرخام لا تعطي أي تعبيرات، وله عينان شاردتان ولحية خفيفة، وبروز في عظام وجنتيه يرتدي طاقية سوداء ومكتوب أسفل الصورة بالإنجليزية: أشهر سفاحي القرن العشرين ايدچين. وبجوار المقبرة صندوق زجاجي كبير محكم الغلق بإحكام شديد ويحده صندوق حديدي أكبر يحميه من العبث، وكأنه أحد واجهات العرض لأحد المتاحف ويحوي ذلك الصندوق حقائب وأحذية جلدية غريبة الشكل، وكرسي جلد أيضا كلها من جلود طبيعية بشرية، بارز منها أعين وشفاه وفروة رأس وأقنعة بشرية، مشهد مثير للرعب والضجر النفسي والغموض في آن واحد، قد تشعر من الوهلة الأولى بقلبك يتحرك بداخلك في رحلة هبوط تصل للأقدام، وظهر فجأة أمامي من خلف جدار المقبرة رجل كبير تكاد لا ترى وجهه من انحناءة ظهره، متدثرا في عباءة سوداء كبيرة ولا يغطي رأسه الأصلع شيئا ووجهه عبارة عن خطوط متعرجة من التجاعيد، وله عيون جاحظة واسعة يحيط بها هالات سوداء ولا تجد له أي أسنان لازالت صامدة في فمه، يتسكع على عكاز خشبي ويصطحب معه كلبا أسود ضخما يكبح جماحه بسلسلة حديدية ولكنه رغم مظهره



الحرس لا ينبح مطلقا، وسأل الرجل فؤاد:

- ماذا تريد أيها الفتى في هذا الوقت المتأخر من الليل ؟ أعلم جيدا أنك لست لصا.

وأشار بناظريه لكلبه قائلا:

- چاك هذا الكلب الوديع الذي تراه لم يمهل عشرات اللصوص من الاقتراب من هنا.

تلعثم فؤاد وازدرد لعابه بصعوبة قائلا:

- لا تجعل لعقلك مسطحا فكريا واحدا، واجعله مثل طبقات الأرض لكي ينتج ألوانا مختلفة من الدرر والجواهر.

وأتبع:

- أنت محق أنا لست كذلك، فقط في مهمة بحث شاقة أظنها لن تنتهي عند قصر خسراف تلك الشيطان اللعين، كل ما أعلمه أنه بنهاية حدود تلك الأرض ولكن استوقفني مشهد هذه المقبرة المرعبة وما يشملها من صندوق زجاجي به مقتنيات أعتقد أنها تخص صاحب المقبرة، أشعر أن لديك الكثير لتخبرني به سأكون ممتنا لك كثيرا إن فعلت ذلك.

تنهد الرجل وأخرج زفيرا معبأ برائحة الماضي قائلا بصوت هامس:

- جئت هنا من عشرات السنين مكلفا بحراسة تلك المقبرة ومقتنياتها، لا تسخر من هرمي وضعفي فأنا وكلبي الوفي لدينا الخبرات الكافية لنتخلص من أي لص أو عابث بسهولة، أما بخصوص صاحب تلك المقبرة فهو السفاح

إيد چين منفذ أبشع جرائم القرن العشرين، لن تصدق أن صاحب هذا الوجه الهادئ الذي أمامك في الصورة هو سالخ جلود الكثير من البشر لصناعتها في الحقائب والأحذية والأساسات.

إليك قصته:

- ولد إيدي كما كان يطلق عليه في عام الف تسعمائة وستة ميلادي، وكانت وفاته ألف تسعمائة وأربعة وثمانون ميلادي، نشأ وترعرع على يد أم مهووسة بالعقائد الدينية وأب سكير دائما ومخمور في مفارقة غريبة، يقبع كثيرا خارج المنزل ولا يهتم بأسرته مطلقا، وكان لإيدي أخ وحيد غير ملتزم أخلاقيا، فكان شديد التصارع وعلى إثر خلاف شديد مع أخيه قام بقتله، وكان هو أول ضحاياه لكن لم تثبت التهمة على إيدي لضعف الأدلة، قامت أمه بتربيته على كره النساء والشباب وخاصة الخائنات والخائنين، وبلغ شعور الحقد والكراهية مقامه بداخله ضدهن وضدهم حتى أصبحت هذه العقدة شغله الشاغل ومهنته، وكان يعمل بكل جد في اختيار ضحاياه بدقة شديدة من فتيات الهيبيز اللاتي يكبرنه سنا، وأغلبهن من الساقطات والمهووسين من فسدة الأخلاق، وكان ينفذ عمليات القتل الدامية بمنشار ثم يقطع الرأس بعد ذلك ثم الأعضاء التناسلية، وكان إيدي شخصا غريب الأطوار له طقوس وتقاليد غريبة جعلت منه أسطورة

في الرعب النفسي قبل جرائمه البشعة، وكان يرتدي قناعا من فروة رأس وجلود البشر الذين يقتلهم وأيضا صدرية من الجلد معلق عليها الأعضاء التناسلية لضحاياه بشكل بارز ومقزز، وكان السبب وراء ارتدائه لهذا القناع البشري العجيب هو كبح جماحه أمام فتنة النساء اللاتي يسفك دمائهن، وكان لديه مرض جلدي يطفو على الجلد ظاهرا كما ظهر في الفيلم الذي جسد حياته، ووجدوا لديه أطباقا من الجماجم ومن المفاصل العظمية لضحاياه، ذات يوم كثرت الشكوك حوله وتم القبض عليه بعد تنفيذ الكثير من الجرائم، لكن لحرفيته الشديدة استطاع المحققون بأعجوبة إثبات تهمتين فقط عليه، وبالرغم من نجاحهم في ذلك ضاع أملهم في عقابه بعد أن أثبت محاميه أنه مجنون غير سوي نفسيا وسلوكيا، وعلى درجة خطيرة من العدوانية، ووضع آنذاك في مصحة عقلية للخطرين حتى وفاته، كانت البداية لمحور تكوين شخصية أشهر سفاحي القرن العشرين بعد وفاة والد إيدي سنة ألف وتسعمائة وأربعين ميلادي، تحمل الأبناء على عاتقهم مشقة حمل الدعم المادي للعائلة لتوفير دخل مناسب لمساعدة والدتهم في احتياجات العائلة، فبدأوا بتثبيت أقدامهم بالعمل في الوظائف المتاحة أمامهم، وكانت كلها من الوظائف الشاقة التي تتسم بالصعوبة لكن إيدي لم يفضل هذا النوع من الوظائف، فأتجه إلى نوع آخر

حيث فضل العمل كمربٍّ للأطفال، وهو عمل يعتبر غريبا بالنسبة للذكور في المجتمع الأمريكي وغالبا ما يكون ذلك النوع من تخصص النساء، كان ينظر إيدي لأخيه هنري بنظرة أإعجاب شديدة لما يملكه من قوة شخصية وصفات بدنية هائلة، والتي كان لها الأثر الأكبر في قبوله في وظائف شاقة كتحميل البضائع الثقيلة ونقلها للمستثمرين، ولكن بمرور الوقت تحولت نظرة إعجاب إيدي لأخيه الي كره شديد، وكانت الشرارة الأولى لظهور السفاح عتيد الإجرام داخل إيدي، ففي أحد الأيام كان هنري عائدا لتوه من عمله الشاق ليجد أخاه إيدي المدلل عائدا لتوه هو الآخر من أحد البيوت التي يعمل بها كمربٍّ للأطفال، فاشتد بهنري الغضب من أخيه حانقا على وضعه الذي لا يليق بالرجال، فقام برفع صوته على أمه باعتبارها هي السبب فيما وصل إليه إيدي من حال، مطالبا إياها بتحرير إيدي من هذه الأعمال الهينة التي تناسب النساء حتى يتمكن من الاختلاط بشكل أكبر بالمجتمع، لكن جاء طلب الابن الأكبر بالرفض التام من قبل الأم أوغوستا، فكان ابنها إيدي ينفذ تعاليمها حرفيا في الابتعاد وعدم مخالطة المجتمع المذنب كما كانت تراه فرأي إيدي تصرف أخيه هنري مع والدته قد وصل من القبح والمهانة لمنتهاه لما كان يحمله إيدي من محبة شديدة وعرفان لقدر أمه وتولد بداخله الحقد والكراهية تجاه أخاه



بعد تصرفه غير المقبول تجاه والدته مما يلزم من إيقافه عند حده وتعنيفه فلم يسمح إيدي مطلقاً لأي كائن حي بأن يؤذي مشاعر والدته التي أحبها بشكل هيستيري أو يعبث بكرامتها بشكل أو بأخر في سنة ألف تسعمائة وأربعة وأربعون شب حريق هائل في المزرعة الخاصة بعائلة إيدي چين وكان قد حانت الفرصة المناسبة لإيدي من تنفيذ مخططه بمعاقبة أخيه الأكبر هنري عما فعله بحق والدته فنهض هنري وأخيه إيدي محاولين إطفاء الحريق ومنع أنتشاره في بقية أرجاء المزرعة للحد من الخسائر التي طالت المكان وفيما كان الأخوان يتصارعان مع ألسنة النيران المتصاعدة، عاد إيدي بعد وقت قصير إلى المنزل وحيدا وهو يصرخ باسم أخيه هنري، مدعيا أنه قد اختفى أثناء محاولتهما إطفاء ألسنة النيران المتطايرة في المزرعة، فقامت الأم المذعورة باستدعاء رجال الشرطة وفور وصولهم اندهشوا جميعا حينما قام إيدي نفسه الذي ادعي اختفاء أخيه بالقيام بإدلالهم على مكان جثة هنري الممددة على أرض المزرعة مع وجود آثار لعدة ضربات على رأسه، ولم يتوقع أحد من والدته أو رجال الشرطة أن يقوم الفتى الخجول هادئ الطباع إيدي بقتل أخيه، كيف يستطيع ذلك وهو من أكثر الناس براءة وانطوائية وحبا للوحدة، فاستغل تلك الصفات التي مكنته من إزهاق العديد من الأرواح على مر

السنين، عاش إيدي بعد ذلك في كنف والدته التي كان مهووسا بحبها فكان يراها الشخص الوحيد في ذلك العالم الذي يستمع له ويمكنه التحاور معه ببساطة دون خوف من التعرض للسخرية والاستهزاء من عاداته الغريبة، ولكن هذه الميزة لم تدم طويلا فتوفت أوغوستا والدة إيدي في التاسع والعشرين من شهر ديسمبر سنة ألف وتسعمائة وخمسة وأربعون إثر تعرضها لعدد من الجلطات في القلب أنهت معاناتها مع المرض، شعر إيدي بوفاة والدته بأنه أصبح وحيدا مشردا في هذا الكون الكبير، بلا مأوى فهي كانت صديقته وحبه الوحيد بهذه الدنيا، وظهر كأنما شبحا متدثرا بعباءة من الأحزان، فلم يعد يعرف كيف يتصرف وأضحى تائها هائما على وجهه وسط ظروفه النفسية الصعبة ومدى تأقلمه وتعوده عليها فقط كدرع للاحتماء والشعور بالأمان في ظل جهله وبعده عن المجتمع طيلة حياته، ونشأته المنطوية فبعد وفاة والدته آثر إيدي العيش في مزرعة العائلة، فهي الملاذ الأخير له وبدأ في إنشاء محيط ونشاط جديد وغريب وعشوائي ما بين مراقبة أطفال العائلات، ونقل بعض البضائع في سيارته القديمة وغيرها، أما بخصوص المنزل فقام إيدي بعزل كل الغرف التي كانت تنعش ذاكرته بوالدته والتي كانت تتردد عليها كثيرا لدرجة جعلته يؤثر العيش في المطبخ وغرفة جانبية أخرى صغيرة في الطابق



السفلي، وكان إيدي شغوفا بالقراءة وتعتبر من أهم الصفات الحميدة فيه لكنها كانت أيضا من أهم أسباب تطور الحالة السوداوية التي عاشها إيدي بسبب اختياراته الخاطئة في قراءة الكتب غير المفيدة، فكان يركز على مجلات القتل والكتب الخاصة بعالم الأموات ومع مرور الوقت بدأت عاداته الغريبة في الظهور مثل زيارة القبور، فكان إيدي حريصا على زيارة قبور أهل البلدة، وقام بعد ذلك بتدنيسها وحفر بعضها وسرقة أعضاء بشرية منها، وزادت وحدته وقراءاته تتطور لمراحل كبيرة من الغرابة والغموض كاهتمامه بكتب تشريح الجسد البشري وقراءة قصص قاطعي الرؤوس في البحار الجنوبية، وغالبا كان يقرأها على الأطفال الذين يقوم بحضانتهم للعائلات التي تستفيد من خدماته بالعمل لديهم، وبدأت زياراته للقبور في التزايد على مر الزمن حتى أصبحت شبه يومية، وكثيرا ما كان يتابع الصحف المحلية لمعرفة آخر الوفيات حتى يتجهز لزيارتها عندما تقبر وسرقة أعضائها التي لم تتحلل بعد، وكان إيدي يفضل جثث الفتيات ويقوم بسلخ جلودهن ومحاولة ارتداء جلودهن، فكان يريد معرفة حقيقة الشعور النسائي الذي كان يحبه بشدة، وأصبح لدى إيدي هاجس التحول وتغيير الجنس، فأصبح يحلم بأن يصبح فتاة ولعل تأثير حبه الهستيري لوالدته هو السبب الرئيسي في جعله يفضل الجنس النسائي

على الذكوري، وذات يوم قام أحد الأطفال الذين يقوم إيدي بحضانتهم بزيارته في مزرعته فأراه الرؤوس البشرية التي يملكها، وأخبره بأنه تحصل عليها من قاطعي الرؤوس في بحار الجنوب، وعندما قام الطفل بإخبار أهل البلدة أخذ الجميع حديثه على محمل الهزل حتى إنهم كانوا يتبادلون النكت والضحكات باستهزاء شديد مع إيدي نفسه وكانوا يسألونه عن الرؤوس، فيقول أنه يحتفظ بها في غرفة نومه وبعضها دفنها أمام غرفة المعيشة، فيقابل حديثه بالضحك الهستيري من الجميع ولم يتوقع أحد أن إيدي يقول الحقيقة منذ البداية، يعود تاريخ القتل لدى إيدي الى ما قبل حادثة السيدة ووردن، ففي أواخر الأربعينيات مرورا بالخمسينيات من القرن الماضي تلقت شرطة وسكنسون العديد من القضايا المتعلقة بأشخاص مفقودين وكانت حملات البحث شاسعة في ذلك الوقت، وقد قامت بتفتيش العديد من المقاطعات ولكن ظلت أربعة قضايا تحديدا محيرة بجميع المقاييس للشرطة، أولى هذه القضايا كانت قضية اختفاء الطفلة جورجيا ويكلر، والبالغة من العمر ثمان سنوات وكان ذلك في الأول من مايو سنة ألف تسعمائة وسبعة وأربعين، وبالرغم من مئات المتطوعين من السكان الذين شاركوا بمجهودهم فرق البحث في محاولة للعثور على جورجيا وقاموا بتمشيط مقاطعة جيفرسون بولاية وسكنسون، إلا أن القضية أغلقت

ولم يسمع أي شيء عن الفتاة ولم يعد فتح القضية حتى اليوم الذي تم القبض فيه على إيدي چين، والقضية الأخرى حدثت بعد اختفاء چورچيا بست سنوات لفتاة تبلغ من العمر خمسة عشر عاما في نفس المقاطعة التي ولد فيها إيدي وهي مقاطعة لاكروس، تلك الفتاة التي تدعى أيفلين هارتلي، كانت تقوم بحضانة أطفال إحدى العائلات المجاورة ليلة اختطافها وحاول والدها مرات عدة أن يتصل بها على المنزل الذي كانت تعمل به ولكن دون جدوى، عندها قام الأب بزيارة المنزل شخصيا ليُفاجأ بخلوه ووجود بقع من الدم تملأ صالة المنزل في شكل مرعب، ولم يجد سوى أحد حذاءيها ونظارتها الخاصة وبعض علامات المقاومة التي تظهر في تبعثر أثاث المنزل، حيث يبدو أن ايفلين كانت تحاول مقاومة المعتدي عليها ولكن الواضح أنها فشلت في ذلك، وقام الأب بالاتصال على الشرطة التي لم تتحصل سوى على بعض بصمات الأرجل والأيدي الدموية في الموقع، بعد أيام بسيطة وجدت الشرطة الملابس الخاصة التي كانت ترتديها ايفلين ملقاة بجانب أحد خطوط الطرق السريعة، وفي عام ألف وتسعمائة واثنين وخمسين من شهر نوفمبر توقف رجلان بأحد صالونات الشرب بولاية بلاين فيلد، ومكثا بضع ساعات قبل أن يرحلا إلى رحلة الصيد التي خططا لها مسبقا ولم يشاهدهما أحد منذ ذلك

الوقت، وفي شتاء ألف تسعمائة وأربعة وخمسين اختفت صاحبة أحد مقاهي الشرب في الولاية ذاتها وتدعى ماري هوغمان في ظروف غامضة ومشابهة للقضايا السابقة، حيث لم تجد الشرطة سوى بقع الدم التي لطالما اعتاد المجرم أن يتركها خلفه، ولكن هذه المرة وجدت الشرطة بعض خراطيش الرصاص الفارغة والتي استخدمت فيما يبدو لقتل الضحية، ولم يجد المحققون في القضايا الأربعة سوى بعض بصمات لإطارات سيارة تبين فيما بعد أنها من نوع فورد، واستمر المحققون في بحثهم وشعروا بأن المجرم في طريقه للسقوط قريبا في قبضتهم بسبب كثرة أخطائه في كل مرة يرتكب فيها جريمة جديدة، أخيرا تم القبض على إيدي چين ولكن ليس بدهاء او ذكاء المحققين ولكن بالصدفة البحتة التي مكنت الشريف سكالي من كشف الغموض، بعد أن أصبح إيدي في قبضة يد العدالة نفى كل الاتهامات الموجهة بحقه وصرح بأنه ليس لديه علم بالجثث المكتشفة، ولكن مع مرور الوقت بدأ إيدي يقر بالجرائم الموجهة إليه فاعترف بقتل كل من بيرنس ووردن وماري هوغمان، أما بقية الجرائم فقد نفى أي صلة له بها فما كان أمام الشرطة سوى البحث في مزرعة إيدي في محاولة للعثور على جثث للضحايا المفقودين قد تكون مدفونة في أرجاء المزرعة، وبعد أيام من البحث المُضْنِي تم الكشف عن عشر جثث،

ولكن إيدي أقر بأن كل هذه الجثث والجماجم المكتشفة تعود للمقابر التي كان يسرقها، فما كان من الشرطة سوى الاستئذان من أهالي الضحايا لتفتيش القبور وبالفعل وجدت الشرطة معظم المقابر قد فقد منها بعض الأجزاء ولم تستطع الشرطة أن تحاكم إيدي إلا في قضيتين فقط، وكان من الطبيعي أن يستخدم محامو إيدي حجة الجنون والمرض النفسي التي قد تنقذه من حكم الموت بالصعق على الكرسي الكهربائي، وبين ليلة وضحاها أصبحت مقاطعة بلاين فيلد واحدة من أشهر بقاع الأرض بعد كشف وسائل الإعلام الأمريكية عن جرائم إيدي البشعة بحق ضحاياه، كما جذبت القضية اهتمام الأطباء النفسيين الذين أبدوا اهتمامهم بدراسة حالة إيدي النفسية ومعرفة الأسباب التي أدت به للقيام بمثل هذه الكوارث الإجرامية، وأصبحت بلاين فيلد تعج برجال الإعلام والمصورين بعد أن كانت مهجورة من قبل الرأي العام والأنظار، وقام عدد من المستثمرين بالإعلان عن إقامة مزاد لبعض البقايا والأثاث الموجود في منزل إيدي، ولكن أحد سكان البلدة وَجد في هذا الإعلان اساءة لأهل البلدة وقام بإشعال المزرعة وحرقها في الليل، ليأتي رجال الإطفاء ويجدوا منزل إيدي قد سوي بالتراب ولم يتبق منه إلا هذه المقتنيات التي أمامك في الصندوق الزجاجي، ونظرا للحالة الصحية والهستيرية التي كان عليها



إيدي ليلة القبض عليه، فقد تم إرساله لإحدى المصحات النفسية والتي قضى فيها قرابة العشر سنوات قبل أن تقر المحكمة أنه قد أصبح جاهزا للمحاكمة، وتم عقد المحاكمة في السابع من نوفمبر سنة ألف تسعمائة وثمان وستين، وبعد عدة جلسات ومداولات والاستماع لعشرات الشهود قرر القاضي واكن الحكم التالي: أن إيدي وجد مذنبا لقيامه بجريمة قتل من الدرجة الأولى ولكن لحالته الصحية تحول الحكم فيما بعد إلى غير مذنب بحجة الجنون وتم نقله لمستشفى الولاية المركزي للصحة النفسية، وقضى إيدي بقية سنوات عمره فيها حتى وفاته في السادس والعشرين من يوليو سنة ألف تسعمائة وأربعة وثمانين، بعد معاناة طويلة مع مرض السرطان ليموت وحيدا كما عاش وحيدا، ولم يكن أهالي الضحايا راضين عن حكم المحكمة ولكن بعد سماعهم نبأ وفاته أحسوا ببعض الرضا، وقد تم دفن جثمان إيدي الملقب بسفاح القرن بجانب قبر والدته التي كانت السبب في ولادة هذا المعتوه، وعلى مقربة من مقابر الأشخاص الذين سرقت اعضاءهم من خلاله ذات يوم ليسدل الستار على أشنع وأعنف قضايا القتل في القرن العشرين، مات إيدچين ولكن قصته لم تمت.

نظر فؤاد للرجل الكبير حارس تلك المقبرة باشمئزاز شديد ورهبة يكاد يتوقف قلبه معها وسأله:

ـ كيف لك أن تتواجد هنا لحراسة قبر أبشع مجرم على هذه الأرض ؟

فابتسم الرجل قائلا:

ـ أنا هنا لتأدية عملي فقط، ولا دخل للعواطف في ذلك الأمر.

فنظر له فؤاد حانقا قائلا:

ـ الوغد هو شخص لم يستطع التعايش بين الأسوياء فقرر التحايل عليهم بتصنع ذلك، بينما هو يعيش على انكساراتهم.

فقال الرجل الكبير مشيرا بيده، عليك الخروج من حدود تلك المقابر والاتجاه إلى الشرق قليلا، ستجد طريقا عليك اجتيازه حتى تصل بنهايته إلى مجموعة من الجبال يعلوها قلعة عتيقة، عليك الوصول إليها لتصل إلى ما تريده فأنا أعلم عن ماذا تبحث.

فابتسم فؤاد مودعا الرجل متجها لذلك الطريق الذي تحدث عنه الرجل فوجد جبلا شاهقا، حاول فؤاد تسلق الجبل بصعوبة شديدة فهو يرى القلعة العتيقة تعلوه، وبعد مشقة بالغة ومحاولات بائسة، استطاع إنجاز المهمة بعد عدة ساعات من الألم والتحمل والتعثر في الصعود إلى قمة الجبل حيث القلعة العتيقة التي تشبه قلاع أفلام الرعب وأباطرة السحر الأسود، حيث الظلمة والقشعريرة التي تنتاب جسدك من رؤيتها، ومنظر خفافيش الظلام التي تعج بتشققات جدرانها المتهالكة، ودلف من بابها الحديدي العملاق والذي أصدر صريرا قويا أحدث جلبة شديدة



كادت أن تفقده حاسة السمع، ورأى في البداية طاولة خشبية بيضاوية الشكل ذات الحجم الكبير عليها بعض الآلات الحادة، ربما استخدمت في التعذيب أو التشريح من قبل لوجود بعض بقع الدماء عليها، ورائحتها المميزة من الدماء المتجلطة تعبئ الهواء، والمكان يسوده الصمت المطبق لا ينيره إلا مصباح زيتي صغير إضاءته خافتة، وهناك سلم دائري طالته التصدعات اتجه ناحيته وصعد إلى أعلى فأثار انتباهه رسومات النساء العارية على الجدران التي لا تخلو من بقع الدماء، اقشعر بدنه من المكان المقفر وظل يتأمل حتى وجد غرفة كبيرة أمامه لها باب خشبي واحد ملطخ أيضا ببعض بقع الدماء، ورسوم لبشر عارية وبالداخل أصوات هامسة وهمهمات منخفضة، أدار فواد مقبض الباب لينفتح الباب الذي كان يواري مشهدا جنسيا متكاملا، أربعة رجال أغنياء يبدو ذلك من مظهرهم وملابسهم الفاخرة يرتدون القبعات السوداء والحلي والجواهر، وعلى الجهة الأخرى أربعة سيدات تزينهن الجواهر يرتدون ثيابا شبه عارية تكشف أكثر مما تخفي، ويرتدون أيضا أقنعة غريبة على وجوههن يحكون عن قصصهن الجنسية ومغامراتهن مع الرجال، فهن بلا شك قوادات يرسلن الفتيات الصغيرات لزبائنهن من الأثرياء ويتحصلن على المقابل، وفي منتصف الحجرة الكبيرة يتواجد سرير ضخم يتجمع فوقه اثنان وأربعون من الشباب والفتيات الحسناوات عراة الأجساد تماما، في مشهد يبدو كومة من اللحم يمارسون الجنس بعنف شديد ويستخدمون الآلات حادة ومنهم من ينزف الدماء ولكنه لا يتوقف مطلقا، وهناك فتيات مكبلات الأيدي والأرجل بالسلاسل الحديدية والأحزمة الجلدية،

ويقوم أحد الشباب بخدش اجسادهن بالآلات الحادة حتى تسقط قطرات الدماء من أجسادهن، ويقترب شغف الشباب تجاه تلك القطرات الدامية ليرتشفوا منها في نشوة وسعادة بالغة، وتتلون شفاه الفتيات باللون القرمزي وأخريات تميل وجوههن إلى الزرقة مع توالي نزيف الدماء في مشهد بشع، ولاحظ وجود بعض الفتيان راكعين أرضا عراة الأجساد وتقوم إحدى الفتيات بجلدهم بالسياط حتى أن جلود ظهورهم أصبحت كقنوات الأنهار الصغيرة من الدماء، في تلذذ شديد وضحكات من السعادة المفرطة تنتاب الفتاة بخلاف كل طرق التعذيب، هناك البعض من يستمتع فقط لممارسة الجنس الجماعي ولا يبالي شيئا وتمتزج أصوات التأوه من الألم والتعذيب مع أصوات اصطكاك اللحم من جراء ممارسة الرذائل، وترتسم علامات السعادة على الرجال الأربعة الأثرياء ومرافقاتهم من القوادات الأربعة الأخريات، صدم فؤاد وبشدة من تلك المفاسد الأخلاقية والممارسات البشعة التي تتم أمام ناظريه، وتقدم إليه أحد الرجال الأثرياء ممن يشاهدون تلك المشاهد في سعادة غامرة قائلا:

- من أنت وكيف أتيت إلى هنا؟

قال فؤاد في ضجر شديد:

- أنا من أتيت بالخطأ لأسوأ مكان على وجه الأرض، في طريقي لقصر الشيطان خسراف اقتادتني قدماي إلى هنا، ولكن ماذا عنكم أنتم كيف لكم كل هذه السعادة جراء ما يحدث هنا؟



ابتسم الرجل الثري قائلا:

- نحن جماعة أسست لأحياء ذكرى الماركيز دي ساد، فهو ملهمنا وقائدنا وأساس معتقداتنا في هذه الحياة.

فنظر له فؤاد مشدوها مما يسمع متسائلا:

- ومن يكون هذا الملهم الأحمق ذو الأخلاق الرثة؟

فقال الرجل الثري ولم يتطرق لإهانات فؤاد:

- زعيم التحرر واللاقيود واللادين، أنت حر في كل شيء ما دمت تؤمن به، ونحن هنا الآن نجسد مشهدا من أهم رواية قام بتأليفها الماركيز دي ساد، وتدعى مائة وعشرون يوم في مدرسة الفجور.

وأتبع قائلا:

- الماركيز دي ساد هو مؤسس فكرة السادية، وهي بلا شك اللذة المتولدة لدي البعض من إلحاق الألم والأذى الجسدي والنفسي بالآخرين، وغالبا ما ترتبط بالعلاقات الجنسية، ومصطلح السادية مشتق من اسمه دي ساد وهو رجل فرنسي غريب الأطوار كانت حياته حافلة بالمغامرات والفضائح التي عصفت بسنوات طويلة من عمره خلف القضبان، لكنه لم يهدأ قط أو استسلم يوما، قام بتأليف العديد من الروايات الإباحية التي تدور فحواها حول السادية والعنف والتلذذ بالألم المصاحب للجنس، ولم تخل رواياته من النداء بالإلحاد ونبذ الأخلاق، ومنعت جميع كتاباته في أغلب



بلدان العالم، قضى من عمره سبعة وعشرين عاما في السجون، كانت كفيلة بخروجه علينا بالعديد من الروايات الإباحية، وقد وجد ضمن مقتنيات الماركيز بعد وفاته وسط رسائله الأخيرة رسالة يصف بها نفسه باختصار: "مستبد،غاضب،متطرف في كل شيء مع خيال فاجر فاسق وإلحاد إلى حد التعصب " هكذا وصف الماركيز دي ساد نفسه، أخذ الكثيرين من حياة الماركيز سبيلاً لهم من الحياة الجامحة العاصفة التي تتمرد على كل شيء، والتي أصبحت مرادفا للرذيلة والانحراف والهوس الجنسي والتحرر من القيود التي تكبل النفس البشرية، وتطلق بداخلها الرغبات الشاذة الخاملة في عقل وخيال أغلب البشر، إلا أنها تكبح بسوط من التقاليد والأخلاق والدين، لكن الماركيز أطلق لها العنان لتنطلق بقوة لتفعل ما تشاء، نشأ الفونس فرانسو دي ساد في الثاني من حزيران يونيو ألف سبعمائة وأربعين في أحد القصور الملكية الفرنسية،كانت عائلته من أعرق وأقدم العائلات الأرستقراطية الفرنسية،كان معلمه منذ الصغر هو عمه أبي دي ساد كان مثقفا ماجنا والتحق بعد ذلك بمدرسة تخص أبناء الطبقات النبيلة،وهو في عامه الخامس التحق بالجيش في فرقة الخيالة الملكية، وشارك في القتال أثناء حرب السنوات السبع التي نشبت بين القوى العظمى في أوروبا آنذاك، وكان فارسا جريئا يقتحم صفوف

الأعداء ببسالة وبلا خوف، وترقى إلى رتبة عقيد وهو في سن التاسعة عشر من عمره، وفي عام ألف سبعمائة وثلاثة وستين ترك الماركيز دي ساد الجيش عائدا إلى باريس، وكان شابا وسيما يبحث عن المتع واللذات ويهوى التحرر، وباريس كانت آنذاك المكان الملائم لتلبية رغباته، فلم تكن المدينة الفاضلة وكانت قصورها تزخر بالحفلات الجنسية الماجنة وخيانة الأزواج والزوجات، وكان البلاط الملكي نفسه مرتعا للفساد الأخلاقي والانحلال فكان الملك إذا ما أعجبته سيدة جميلة ينتزعها من أيدي زوجها لتصبح من محظياته وخليلات فراشه، وأشهرهن في هذا المجال كانت مدام دي بومبادور، وكان القصر الملكي معبأ برائحة الانحلال الأخلاقي فكانت نساء البلاط يتخذن العشاق لإشباع نزواتهن وأصبح الصراع محتدما على الرجال وكأنها ساحة للرهان والتحدي، في ذلك الوقت كانت هناك قوانين رادعة لمعاقبة الشذوذ الجنسي تصل إلى حد الإعدام وبالرغم من ذلك كانت علاقات اللواط والسحاق متفشية بين أفراد المجتمع الراقي فقط، ولم يخف المجتمع الفرنسي آنذاك شغفه بالمنشطات والألعاب الجنسية والأدوات الخاصة لذلك، والتي كانت رائجة في مجتمع ينخره الفساد الأخلاقي الذي طال الكنيسة وتصاعدت حدة الحقد والكراهية من أبناء الفقراء التي كانت مهددة تحت وطأة الجوع والفقر،

للطبقة الأرستقراطية التي لا تخلو أيامهم من اللعب واللهو والملذات، وانتشرت الأفكار الثورية وعقائد الكفر والإلحاد وانتشرت الحانات ومواخير الدعارة، وكان الماركيز الذي ترعرع ونشأ وسط كل هذه المفاسد الأخلاقية والمجون يعكس حياة وثقافة المجتمع المنحل من خلال رواياته الماجنة الخليعة، ولكنه مزجها بالخيال وعبقها برائحة الدم وخافت عائلة الماركيز عليه من الانحلال والتورط في كل هذه الفتن، فخططت لإبعاده عن حياة الليل وأحضان بغايا باريس والمومسات اللواتس انتشرن في أنحاء البلاد كالنبت الشيطاني، وكان ذلك المخطط يتمثل في تزويجه من فتاة تدعى رينيه دي مينتري إحدى بنات العائلات البرجوازية الغنية ذات الثراء الكبير، والتي أعجبت كثيرا بالماركيز ذلك الشاب الوسيم فوافقت عليه من فورها، وتم الزواج وسكن الزوجان في أحد القصور بالقرب من باريس ولكن الماركيز لم يتغير مطلقا، فظلت طباعه الانحلالية تثور كالبركان وفضائحه الجنسية كانت حديث الصباح والمساء على كافة الألسنة، كان يقضي جل وقته في بيوت الدعارة ما بين الغانيات والشواذ من الرجال، وصاحبته الملاحقات القانونية على إثر شكاوى الكثير من المومسات من معاملته معهم بطريقة غير آدمية وتمتعه بإلحاق الأذى بهن وتعذيبهن، وتعرض الماركيز للاحتجاز والسجن لفترات لم تدم طويلا،

والأغرب أن الشرطة حذرت جميع بيوت الدعارة في باريس من خطر التعامل مع الماركيز وفي عام ألف سبعمائة وثمان وستين قام الماركيز بأحد مغامراته الغريبة ونزواته الشاذة، حيث دعى فتاة فقيرة تحتاج إلى المساعدة إلى قصره، تدعى هذه الفتاة روز كيلر، وبعد أن أتت إليه الفتاة تلقت صدمة كبرى كادت تنهي حياتها، حيث قام بحبسها وجلدها واغتصابها ولم يكتف بذلك فقام بسكب الشمع المصهور على جسدها الضعيف، وقد تمكنت الفتاة رغم الآلام الرهيبة من التخلص من قبضة الماركيز بإلقاء نفسها من نافذة في الطابق الثاني للقصر، وهربت مذعورة مهرولة لتخبر الشرطة، ورغم محاولات دي ساد من اقناع الفتاة بواسطة المال للتنازل عن دعواها ضده إلا أن الحكومة قررت بإبعاد الماركيز عن باريس نهائيا وإقصائه منها ليعيش معزولا في قلعته في دي لا كوست جنوب فرنسا،عاش الماركيز مع زوجته في تلك القلعة المعزولة والتي كانت تعشقه بشدة رغم أفعاله ونزواته، فكانت تحميه وتغطي على جرائمه، وفي عام ألف سبعمائة وواحد وسبعين حضرت شقيقة زوجته لزيارتهم في القلعة كانت شابة جميلة عذراء تعيش جل وقتها في الدير، كانت تحلم أن تصبح راهبة ولكن لم يمهلها الماركيز في تحقيق حلمها وسرعان ما أوقعها دي ساد في حبائله وشباكه وأقام معها علاقة محرمة، كان غرضه الأول من ذلك

إغضاب حماته التي كانت علاقته بها سيئة ويشتد الكره بينهما، ولم يكتف أبدا دي ساد من إشباع نزواته التي لا تنتهي واستمر في مجونه وخلاعته، ففي عام ألف سبعمائة واثنين وسبعين أقام حفلة جنسية صاخبة ليشبع بها رغباته الجامحة الملحة، ضمت الحفلة أربعة بغايا بالإضافة إلى خادمه لاتور الذي كان على علاقة جنسية شاذة به، وقام الماركيز كعادته باستعمال بعض المساحيق القوية كمنشطات جنسية مما أدى إلي تسمم إحدى الفتيات ووافتها المنية، لذلك صدر عليه حكم بالإعدام بتهمة استعمال السم والقتل إضافة لممارسة اللواط مع خادمه، لكن الماركيز تمكن من الفرار إلى إيطاليا قبل إلقاء القبض عليه مباشرة، واصطحب معه شقيقة زوجته وخادمه لاتور، وبعد فترة من العيش بايطاليا قامت قوات الشرطة بالقبض عليه وتم سجنه مع خادمه في أحد الحصون المنعزلة هناك، وكانت شقيقة زوجته قد التجأت لمسار آخر حيث مكثت بأحد الأديرة هناك ما تبقى لها من العمر، كان الماركيز شخصا حاد الذكاء فلم يبق بالسجن فترة طويلة، فتمكن هو وخادمه لاتور من الهرب من الحصن مرة أخرى تاركا رسالة في زنزانته موجها الشكر إلى سجانيه لحسن معاملتهم معه وتمنى ألا يعاقبوا إثر فراره، وعاد الماركيز مجددا إلى قلعته في لاكوست جنوب فرنسا ليعيش هناك، متخفيا مستترا عن العيون ليستكمل

رحلة حياته الماجنة وكانت زوجته خير عون، فكانت زوجته تعشقه حد الجنون وغفرت له كل خطاياه حتى علاقته الآثمة مع أختها، فوفرت له الخادمات الحسناوات والخدم ذوي الوسامة بشكل لافت ليتحصل على اللذة التي ينشدها زوجها الذي كان لا يمل ولا يكل من إقامة حفلات الجنس الجماعي الماجنة، التي تقام بها كل أنواع الشذوذ الجنسي بين الرجال والسيدات، وطرق السادية المختلفة من ضرب بالسياط ووضع اللجام على الأفواه وتكبيل الأيدي والأقدام، وكل طرق التعذيب التي ابتكرها الماركيز وكتب عنها في رواياته الإباحية، ولكن بسبب كل هذا التفنن في التعذيب والمجون الصارخ كان يفر سريعا أغلب من يوظفهم الماركيز وزوجته، وأيضا بسبب التحرش بهم واغتصابهم بشكل حاد وباستخدام آلات حادة للتعذيب وبسبب انتشار صيت أفعال الماركيز الشاذة، حدث له موقف كاد أن ينهي حياته لولا وقوف الحظ إلى جانبه عندما أتى والد إحدى الفتيات اللواتي يعملن في قلعة الماركيز سنة ألف وسبعمائة وسبعة وسبعين وحاول اغتيال الماركيز بإطلاق النار عليه، ولكن لحسن حظ الماركيز أن مسدس هذا الرجل تعطل ولم يطلق النيران، دبرت الشرطة فخا للماركيز في عام ألف سبعمائة وثمانية وسبعين حيث وصلت رسالة إلى قلعته تخبره بمرض والدته وأنها على مشارف الموت، فأسرع الماركيز لزيارتها



في باريس دون أن يأخذ حذره فاكتشف أنها قد فارقت الحياة وألقي القبض عليه، كان ذلك كمينا دبرته له حماته بمعاونة الشرطة، فهي لم تغفر إغواءه لابنتها الصغرى وهروبه معها إلى إيطاليا، وأودع الماركيز السجن في قلعة فينسن ولبراعته الشديدة استطاع الهروب منها ولكن لم تمهله الشرطة ينعم بالحرية طويلا، وسرعان ما ألقت القبض عليه مجددا وأعيد إلى سجنه مرة أخرى ليقضي به العديد من السنوات التي أمضاها في تأليف العديد من الروايات الإباحية الماجنة، وتم نقل الماركيز إلى سجن الباستيل في عام ألف وسبعمائة وأربعة وثمانين، وهناك قام دي ساد بتأليف أشهر رواياته مائة وعشرون يوم في سادوم، أو مدرسة الفجور التي نمثل مشاهد منها الآن، وأيضا روايات چستين وچوليت، وأشيع عن الماركيز أنه أحد أسباب انطلاق الشرارة الأولى للثورة الفرنسية ضد الملكية عام ألف وسبعمائة وتسعة وثمانين فكانت باريس تفور من الغضب، وذات يوم صرخ دي ساد من زنزانته للجموع الغفيرة في الخارج أنهم يقتلون السجناء هنا، ولم تمض سوى أيام قليلة جدا حتى قامت الثورة وسقط الباستيل، لم تنته محطات الماركيز هنا فقد أطلق سراحه من السجن عام ألف وسبعمائة وتسعين ليجد كل شيء تغير، سواء على المستوى العائلي أو المجتمعي، أبناؤه الاثنان وابنته تقدم بهم العمر وأصبحوا



شبابا يافعين بالكاد يعرفونه، نتيجة عوامل تقدم السن التي ظهرت على وجهه وزوجته التي طلبت الطلاق منه، وبالفعل حصلت عليه وبدأ يشعر بآلام الوحدة التي لم يعتدها أبدا، وبالرغم من ذلك لم يشعر بالحزن وظهرت عليه ملامح السعادة بالتحرر من قيود العائلة وتحول لرجل ثوري بدرجة كبيرة، رغم خلفيته الأرستقراطية وأطلق على نفسه بعد ذلك لقب المواطن ساد، واختار لنفسه سكنا جديدا في باريس لأن قلعته في لاكوست أصبحت لا تصلح للعيش بعد أن دمرتها الجموع الغاضبة أثناء الثورة، وفي هذه الأثناء كان على موعد مع القدر الذي صادفه بممثلة مغمورة تدعى ماري كويستانس كيسنه، هجرها زوجها منذ عدة سنوات تاركا إياها مع طفل صغير في السادسة من العمر، فأحبها الماركيز دي ساد وتزوجها ولم يفرقهما سوى الموت، وبدأت الحياة السياسية تشعل رأس الماركيز فانضم إلى اللجان الثورية وانتخب عضوا في الجمعية الوطنية الفرنسية، وبرغم من تأييده الشديد للثورة إلا أن الكثيرين كانوا ينظرون إليه على اعتبار أنه ذو خلفية أرستقراطية سابقة، وساء وضعه تدريجيا بعد التحاق ابنه بصفوف المعارضين للثورة، وكانت الصدمة الأولى له في حياته السياسية في عام ألف وسبعمائة وثلاثة وتسعين حينما تم فصله من منصبه وتوجيه اتهام له بمعاداة الثورة، ليزج به في السجن أثناء فترة الرعب



الشهيرة بفرنسا التي أعدم خلالها الآلاف من الفرنسيين بجرة قلم من مسؤول بدرجة سفاح، وهو رئيس لجنة السلامة العامة ماكسميليان روبسبير، لكن لحسن حظ الماركيز نجت عنقه من المقصلة بسبب خطأ حدث في السجلات، وفي عام ألف وسبعمائة وأربع وتسعين قام أحد الأشخاص المجهولين بقتل روبسبير لينهي بذلك فترة الرعب، وأطلق سراح الماركيز الذي بدأت أحواله المادية تنهار تماما فأجبر عليى بيع أطلال وما تبقى من قلعته وممتلكاته في لاكوست، في عام ألف وسبعمائة وستة وتسعين بسعر زهيد، واستمر بعد ذلك في تأليف رواياته الإباحية بالإضافة لبعض الروايات السياسية، وقدم عروضا لبعض مسرحياته ولاقي ذلك نجاحا وقبولا بين الجمهور الفرنسي، ولكن سبب ذلك النجاح عقبة وصدمة أخرى للماركيز ففي عام ألف وثمانمائة وواحد أمر نابليون بونابرت بالقبض على الماركيز لتأليفه روايتي چوستين وچوليت، وتم إيداعه بالسجن بدون محاكمة لما بهما من إباحية مفرطة لم يرغب بها نابليون ولا يريد وجود مثلها، وعاد الماركيز للسجن الذي اعتاد عليه وأودع بأحد السجون بباريس ولكنه تم نقله سريعا إلي سجن آخر بعدما حاول إغواء أحد المساجين الشباب لممارسة الفجور، وفي عام ألف وثمانمائة وثلاثة تبرأت عائلة الماركيز منه وأدعت أنه مجنون ودبرت لإخراجه من السجن،

وأودع في أحد المصحات العقلية وسمح لعشيقته ماري كيسنه أن تعيش معه، بعد ادعائها بأنها ابنته وستقوم برعايته بالمصحة وهناك استمر الماركيز بتأليف رواياته ومسرحياته، ولم يتوقف يوما عن البحث عن اللذة الجنسية رغم بلوغه السبعين من عمره، وأقام علاقة آثمة مع ابنة أحد الموظفين بالمصحة، وكانت تعد في عداد المراهقات الصغيرات حيث لم تبلغ ثلاثة عشر عاما، واستمرت هذه العلاقة لأربع سنوات حتى وفاته عام ألف ثمانمائة وأربعة عشر، ومن غرائب الماركيز أنه كتب في وصيته أن تترك جثته في الغرفة التي يموت فيها لمدة ثمانية وأربعين ساعة دون أن يمسها أحد، ثم تنقل بعدها إلى أحد ضياعه لتدفن فيها، ورغم أن ماركيز كان ملحدا ويرفض أي مظاهر دينية في جنازته استدعت عائلته كاهنا ليصلي عليه، ووضعت صليبا على قبره، وبعد عدة سنوات تم فتح المقبرة الخاصة بالماركيز دي ساد وأخذت جمجمته من أجل دراستها في علم قراءة الجماجم (وهي نظرية قديمة يرفضها العلم الحديث وهي قائمة على أساس محدود وهو أن شكل جمجمة الانسان يؤثر في تصرفاته وسلوكه) وربما كان ذلك لكشف الغموض حول شخصيته غريبة الأطوار، بعد وفاة الماركيز قام ابنه الأكبر بإحراق جميع رواياته ومسرحياته التي لم تطبع لنفور الابن من معتقدات أبيه وأفكاره الماجنة، وكذلك العائلة



قامت بتغيير لقبها وإلى اليوم يتحاشى أحفاد دي ساد ذكر أي صلة لهم به، ومن أهم أعماله التي ظلت باقية إلى اليوم ولم تطلها النيران رواية مائة وعشرون يوما في السادوم، التي نقوم بتمثيل أحداثها هنا إيمانا منا بمعتقداته وأفكاره، ورواية چستين وهي عن امرأة شابه ترتكب الكثير من الجرائم فيحكم عليها بالموت، وقبل تنفيذ الحكم تروي أحداث حياتها لسيدة أخرى بالتفصيل وكيف تعرضت للاغتصاب في عمر الثالثة عشر من عمرها وكيف كان لسوء الحظ دور كبير في حياتها حيث اغتصبت في كل مكان حلت به، وأيضا رواية الفلسفة في المخدع وهي عن فتاة في الخامسة عشر من العمر اسمها يوچين أرسلها أهلها لتتعلم على يد ثلاثة أساتذة وامرأة وأخيها وخنثى، ويقوم هؤلاء بإقناعها أن الأخلاق والتقاليد مجرد أكاذيب ويعلمونها شتى فنون الجنس ويقيمون حفلات ماجنة يشارك فيها الجميع، وتحضر أم الفتاة يوچين لتخلص ابنتها من قبضة هؤلاء الفجرة، فيقوم الجميع باغتصاب الأم وتعذيبها أيضا، وتشترك يوچين معهم في حماسة بل وتتمنى قتل أمها فيأتون بعبد مصاب بمرض الزهري ليغتصب الأم وينقل لها المرض، ثم يتركونها تعود إلى بيتها تجر أذيال الخيبة والعار، وهناك مفارقة غريبة في حياة الماركيز دي ساد بالرغم من ممارسته للعنف الجسدي واحتواء أغلب قصصه ورواياته

على التلذذ بالقتل وإراقة الدماء، لم يعرف عنه أنه قتل انسانا سوى في ساحة المعركة، وكان آخر ما كتبه عن نفسه (لقد تخيلت جميع أنواع المعاصي لكنني بالتأكيد لم أقترفها كلها ولن أقترفها)

انتهى الرجل الثري ذو القبعة السوداء من حديثه إلى فؤاد قائلا:

- هذا كل شيء.

تنهد فؤاد ونظر إلى الرجل نظرة بائسة لما وصلوا إليه من اعتقاد وإيمان بذلك الرجل المهووس بالملذات والمفاسد الأخلاقية قائلا:

- إني أريد منك إخباري عن مكان قصر خسراف.

وقبل أن ينبس الرجل ذو القبعة السوداء ببنت شفة أتبع فؤاد:

- الشريف في هذا العالم هو الشخص الذي لم تواته الفرصة ليدنس أخلاقه

فأبتسم الرجل الثري وقال لفؤاد:

- عد من حيث أتيت بالأسفل وأسلك الطريق المحاذي للغابة التي تبعد مائة ميل ناحية الشمال، ستجد رجلا كبيرا أخذت التجاعيد من وجهه مقاما كبيرا والشيب من رأسه وطنا رحبا، ستجد لديه ما تريده.

فاتجه فؤاد من فوره ليبحث عن ذلك الرجل بعد معاناة أخرى تتمثل في الهبوط من قمة ذلك الجبل الوع، ر وسط الشعور بالرهبة من منظر الغابة المقفرة وأشجارها الموحشة ذات الأوراق اليابسة والفروع الطويلة التي تلازمها الكثير من الطيور الجارحة، وسط كل هذا الجو من الرعب

القوطي الذي يملأ صدره وجد ضالته أخيرا، حيث كان يمكث الرجل أسفل شجرة تبتعد قليلا عن الشاطئ، حيث كان في الجهة المقابلة للغابة ولاحظ لافتة كبيرة مكتوب عليها: "ممنوع الاقتراب من تلك الشجرة حتى لا يلاحقك الموت" فتسمر في مكانه ينظر إليها بشغف معرفة حقيقتها ويتأملها، فكانت ذات ارتفاع يبلغ تسعة أمتار ولها ثمار خضراء تشبه التفاح كثيرا، ومع نسمات الهواء المواتية تحركت أوراق الأشجار الجافة الذابلة تحت أقدامه فوجد بينها ورقة صفراء قديمة مهترئة تبدو من إحدى الصحف الاخبارية القديمة، فتناولها بيده وبدأ يقرأ بصعوبة ما جاء بها، فوجد بها صورة لتلك الشجرة التي أمام ناظريه مكتوب أسفلها عن حادثة راح ضحيتها عشرة سائحين كانوا ممددين أسفل تلك الشجرة للاسترخاء وقاموا بتناول بعض ثمارها في غفلة من أمرهم غير مدركين للعواقب الوخيمة من آثار ثمارها شديدة السمية، ثم استرسلت الجريدة في وصفها التفصيلي للشجرة، جاء فيه: " يطلق على تلك الشجرة شجرة المينشينيل يبلغ ارتفاعها عادة تسعة أمتار، تنمو تلك الأشجار في أنحاء أمريكا الوسطى ومنطقة الكاريبي، وبعد عدة دراسات تمت علي تلك الشجرة وثمارها تم اعتبارها أخطر شجرة مميتة، في العالم حيث استخدمها قدماء سكان الكاريبي الأصليون بعد معرفة قوة درجات السم الناتج عن ثمارها التي تشبه التفاح الأخضر تماما في محاربة أعدائهم، فكانوا يطمسون سموم ثمارها على رؤوس سهامهم وأيضا يضعون أوراقها في آبار مياه أعدائهم، ليس ذلك فقط فكانوا يقيدون أعدائهم بالأغلال في جذوع هذه الأشجار فيلاحقهم الموت أيضا فثمارها تسبب تورم

الحلق وغلقه وإلحاق الضرر ومشاكل جمة في الجهاز الهضمي والتنفسي، حتى وإن تم إحراق الثمار أو الأوراق تنتج دخانا يسبب العمى أيضا، لك أن تتخيل إن هطلت الأمطار علي الشجرة وبالمصادفة كان هناك شخص مار أو جالس أسفلها يصيب ذلك جسده بتقرحات رهيبة قد تصل للموت نتيجة السمية الشديدة لتلك الشجرة، فلا تتعجب عندما تعلم أن هذا السائل في شكل أمطار اغتسلت بها الشجرة قادر على انتزاع طلاء سيارة" وانتهى التقرير... وحدث فؤاد نفسه قائلا:

- لا يغرنك الجمال الخارجي للأشياء، فقد تعجبك أسراب الطيور في حسنها والقلب يبغضها لهجرتها الدائمة لأوطانها "

عند ذلك دب الرعب في قلب فؤاد فأشار بيده مناديا لذلك العجوز رث الثياب الذي كان راقدا أسفل الشجرة في هدوء وسلام وكأنه في أحد المنتجعات السياحية، فأتي الرجل بخطوات متثاقلة قائلا:

- ماذا تريد يا بني ؟

فتعمد فؤاد تجاهل سؤال كان يراوده، وهو كيف له أن يرقد أسفل تلك الشجرة دون أن يصيبه مكروه وقال:

- أردت منك أن تدلني على قصر الشيطان خسراف؟

فصمت العجوز ولم ينبس ببنت شفة، فابتسم فؤاد قائلا في صوت منخفض لا يدركه العجوز، يبدو أنني قد نسيت قوانين تلك الأرض اللعينة ثم قال له:

ـ لن تشعر بحلاوة الأيام قبل أن تتذوق مرارتها، فالأيام مثل الجروح التي لا تندمل قبل أن تطمس بالملح.

فنظر إليه العجوز بعيونه الجاحظة في صمت وأشار بيده ناحية الغابة وأتبع قائلا بصوت متحشرج واضح قليلا:

ـ الكوخ الأسود...

وأعطى له أسطوانة كبيرة تبدو مثل أشرطة الأفلام السينمائية القديمة، واستدار الرجل العجوز وبدأ في مغادرة المكان فألقى فؤاد نظرة للأسطوانة وأتبعها بأخرى ناحية الغابة لعله يجد هذا الكوخ، وما أن لبث دار على كعبيه ليسأل الرجل مجددا لكنه لم يجده واختفى فأصبحت دقات قلب فؤاد كآلة الدفّ التي تعزف بشدة في زار أعد خصيصا لطرد المردة والجان، فانقبض قلبه بشدة من الرعب المصاحب لتلك الأجواء وذهب يبحث عن ذلك الكوخ حتى رآه يقع خلف عدة فروع متيبسة الأوراق لأشجار عتيقة عالية تحيط به، لا يحده الضوء من أي اتجاه ولكن يوجد مصباح صغير ناري على جانب الباب الحديدي المصفد بالسلاسل المغلقة بالصدأ، اقترب فؤاد في حذر وأزال فروع الأشجار ووجد صعوبة بالغة في إزاحة السلاسل الحديدية عن الباب ولكنه أستطاع ذلك بعد عدة محاولات، ودلف من الباب الذي أصدر صريرا أكد على مرور زمن بعيد على بقاء هذا الباب مقفلا، والذي ارتد وراءه ليقفل من جديد، وما إن ألقى بناظريه ليتجولا في المكان المقفر شاهد صور معلقة على الجدران بأحد الصور فتاة بجسدها كدمات وبعض آثار الدماء حول العنق والصدر، وتبدو في حالة هزلان شديدة ربما تعرضت لحالة اغتصاب، وصورة أخرى



لرجل يبدو من الصورة أن هناك من قام بقطع أطراف أصابعه بآلة حادة، وقام بسكب مادة حارقة على ذراعيه وهناك نزيف من الدماء يتساقط من الرأس مارا بوجهه، وصورة أخرى لشاب مصلوب على عامود خشبي وقد فصلت رأسه ووضعت بين قدميه بشكل مرعب، والعديد من الصور لقتلى ومعذبين بأشكال عدة غريبة ومقززة، وما إن أدار فؤاد وجهه متحاشيا النظر للصور المقيتة إلى أن رأى مشهد مروعا يتمثل في حوض للاستحمام يملأه الدماء ومعلق فوق الحوض فتاة رائعة الجمال بيضاء البشرة وذات شعر أشقر طويل، ولكن ما أفسد ذلك المشهد البديع لجمالها أنها كانت مذبوحة العنق والدماء تنزف منها بغزارة لتغطي الجسد كله وتسقط في حوض الاستحمام، وهناك دبابيس تحت أظافر الفتاة وهناك غيرها مغروزة في شفتيها وبعض آثار الحروق في جسدها، اتجه بناظريه بعيدا عن ذلك المشهد المقيت الذي يفجر نبض القلب من الفزع، ليجد دولابا خشبيا متوسط الحجم به العديد من ملابس النساء الداخلية ذات الأحجام المختلفة، والتي تبدو من مظهرها أنها قديمة قليلا، بما يعني أنها كانت لعدد من النساء وتظهر على الملابس بعد الخدوش والتهتك ربما انتزعت من على أجسادهن أثناء مقاومتهن لأحد المجرمين أو المغتصبين، وفي الجوار وجد صندوقا زجاجيا به عدد من الأحذية النسائية ذات الكعوب العالية، بأشكال وألوان ومقاسات مختلفة وكأنك أمام واجهات محال الأحذية، ولكن تقبع وسط هذه الأحذية ما جعل عيني فؤاد جاحظتين من الفزع، حيث وجد عددا من أقدام نساء مبتورة مرتدية الأحذية ذات الكعب العالي في مشهد ترتجف له الأبدان، ابتعد قليلا عن ذلك الصندوق



فوجد منضدة خشبية فوقها كأس زجاجي به سائل غريب، دقق كثيرا به حتى يتبين له ما هو، إلى أن وجد حفرا غائرا على المنضدة مكتوب عليه بماء الذهب أسفل الكؤوس:"هذا ما تبقى من سبعين لعابا لامرأة شابة لهن المجد " ظهر على فؤاد الامتعاض بشدة من هذا المشهد الذي يدعو للغثيان، فأدار عينيه إلى سقف المكان فوجد منظرا مرعبا لثلاثة جثث معلقة بالسلاسل ومتدلية من السقف، ومثبت بأيديها دمى غريبة الشكل وما انتفض له قلبه هو أن هذه الجثث مقتلعة الأعين من محجريها، وقد وضعت تلك الأعين البشرية للدمى لتظهر بشكل مرعب حاول فؤاد أن يهدئ من روعه، وأغمض عينيه برهة من الزمن، واستدار على كعبيه فوجد كرسيا وثيرا وكأنه لأحد ملوك الامبراطوريات الكبيرة، وأمامه شاشة عرض سينمائية قديمة جدا، وإلى جوارها جهاز قديم يشبه الجرامافون، متصل بها فاقترب منه ووضع الأسطوانة التي كان أعطاها له الرجل العجوز به وبخطوات متثاقلة تشهد على فزعه من ذلك المكان الذي يبدو كمقبرة لضحايا كوكبة من المجرمين الخارقين أو المختلين أيهما أقرب لعقلك، عاد فؤاد لكرسيه لتُضاء الشاشة القديمة اضاءة خافتة وتبدأ في بث فيلم وثائقي مرعب جدا، وبدأت أولى المشاهد بتقرير مصور جاء بصوت هادر يبدو من رداءة الأسطوانة وجهاز البث، وكان كالتالي: " تعريفٌ عن الخواص النفسية للسفاحين السايكوباتيين ومدى ولعهم الشديد باقتناء تذكارات أو بقايا بشرية من ضحاياهم، وذلك لإشعارهم بالنشوة التي قد حظوا بها أثناء تنفيذهم لجرائمهم وكأن التذكار الذي يحصل عليه السفاح بمثابة جائزة نوبل التي يتحصل عليها كبار العلماء والقادة، فهي لذة

الانتصار التي لا يضاهيها شيء بالنسبة لهم، وكان الكاتب جويل نوريس أشار في كتابه (القتلة المتسلسلون) أن هؤلاء السفاحين يمرون بسبع مراحل ابتداء من التخطيط للجريمة وانتهاء بمرحلة الاكتئاب بعد تنفيذ الجريمة، يتخلل فيما بينها مرحلة الطوطم، وهي الشعور الذي يقع مباشرة في نفس القاتل بعد قيامه بقتل شخص ما، والتي تكون بمثابة استيقاظ من نشوة القتل لتميل ميلا راسخا نحو الاكتئاب، والذي يمكن التخفيف منه فقط بممارسة القتل مرة أخرى، وهو على الأرجح ما يدفع بعض السفاحين للاحتفاظ بتذكارات من ضحاياهم للتقليل من وطأة مرحلة الاكتئاب التي تأتي بعد تنفيذ الجريمة. فهناك من المجرمين من يكتفي بجمع صور لمواقع الجرائم أو مقالات الصحف التي تتناول أخبار جرائمهم، ولأسباب أخرى مثل الاحساس بالعظمة والتمجيد والتخليد، ولكن بالطبع فإن تذكارات كل قاتل وأسبابه في الاحتفاظ بتذكار تختلف من واحد لآخر..." وبدأت الصورة الأولى بعد ذلك التقرير في الفيلم الوثائقي تختفي لتظهر مكانها صورة أخرى لشخص متوسط الطول، ولكن ذات جسد ضخم إلى حد ما يرتدي نظارة طبية عريضة، وله شارب كث وجبهته عريضة بعض الشيء، وله شعر أسود أشعث متوسط الطول، وكتب تحت تلك الصورة:" (روبرت برديلا) سفاح مدينة كنساس، قتل هذا المجرم الموتور ستة أشخاص لم يتم العثور على أي جثث لضحاياه، ولكن كان روبرت مغرما بترك تذكار للضحية في شكل صورة كانت له طريقة خاصة في القتل تقتضي بأن يستدرج الضحية التي في الغالب ما تكون رجلا إلى منزله، وبعد أن يكرم ضيفه بما لذ وطاب يقوم بتخديره

وحبسه في القبو ليقوم هنا بالجزء الأكثر إثارة والمحبب إلى قلبه وهو تعذيب واغتصاب الضحية قبل قتلها مباشرة، فكان يبقي الضحية على حياتها لعدة أيام إلى أن تضعف وتنهار، فيقوم باغتصاب الضحية ويقتلها في نهاية المطاف، الجدير بالذكر هو أن برديلا كان يأخذ صورة تذكارية لضحيته في كل مرة ينفذ فيها أحد جرائمه كما كان أحيانا يكتب تفاصيل ما يفعله في مذكراته الشخصية، حيث اعتاد برديلا على هذا الفعل إلى أن وصل عدد صور ضحاياه إلى مائتي صورة، وكانت نهايته بأن تم القبض عليه في عام ألف وتسعمائة وثمانية وثمانين والزج به في السجن "

فالتفت فؤاد مباشرة بشكل لا إرادي إلى صور الضحايا المعلقة على الجدران وأيقن تماما أنها خاصة ببرديلا، ثم أتبعت صور الفيلم الوثائقي بصورة أخرى هذه المرة لامرأة شابة لها زي يشبه الأميرات، تمتاز بالطول إلى حد ما وبشرتها بيضاء ذات ملامح حادة وشعر أسود متوسط الطول، وكتب أسفل الصورة:" (الكونتيسة إليزابيث باثوري) صنفت كأكثر السفاحات الإناث فظاعة على مر العصور، باثوري التي ولدت بالمجر في أغسطس ألف وخمسمائة وستين ميلادي قتلت أكثر من ستمائة وخمسين فتاة من القرويات الشابات، إذ أن باثوري كانت تعتقد بأن الاستحمام في دماء هؤلاء الشابات ستبقيها شابة وجميلة إلى الأبد، بل ذهبت تبحث عن دم ملكي يقيها الشيخوخة، فقتلت خمسة وعشرين من فتيات الأسرة المالكة آنذاك ووجدت في نفسها شهوة كبيرة تجاه الفتيات، فأخذت تلهو مع الخادمات الصغيرات وبعد أن تمارس معهن الجنس تقوم بتعذيبهن وتمزيق لحمهن وفي النهاية ذبحهن، كان يساعدها في التعذيب



والتقاط الفتيات من الريف خادمها الأعرج وسيدة سوداوية شريرة الطباع اسمها دارفوليا، وكانت الكونتيسة تتمتع بتجويع الفتيات أسبوعا كاملا ثم غرز الدبابيس في الشفتين وتحت الأظافر وحرق مناطقهن الحساسة وبعدها قتلهن، والاستحمام في حمام من دمائهن حيث كانت تتلذذ بأن تعلق ضحاياها التي نحرتهن لينزفن وتصفي أجسادهن من الدماء في حوض الاستحمام لتقوم بأخذ حمامها الدموي الممتع، ألقي القبض على الكونتيسة الدموية في عام ألف وستمائة وعشرة ميلادية، وحبست في قلعتها في هنغاريا حتى موتها " ما إن رأى فؤاد هذه القصة على الشاشة حتى التفتت عيناه بشكل تلقائي للجثة التي تقطر دما في حوض الاستحمام أمامه، وأعاد ناظريه في انقباض شديد للشاشة التي عرضت صورة أخرى كانت لرجل في متوسط العمر يبدو في الأربعينيات، ذو بشرة بيضاء ومقدمة رأسه أصابها الصلع، متوسط الطول ضئيل الجسم وكتب تحت الصورة: "(أناتولي أونوبرينكو) الملقب بالمبيد، ولقب أيضا بوحش اوكرانيا هو سفاح عتيد الإجرام قتل اثنين وخمسين شخصا على مدى ست سنوات فقط، كان له طقوس خاصة في اختيار ضحاياه فكان يختار المنازل المنعزلة البعيدة عن الضجيج السكاني، ليغزوها ويقتل كل من في المنزل لا يبقي أو يستثني أحدا حتى الأطفال، ثم يحرق المنزل بالكامل وفي وسط هذا الدمار كان يقوم بعادة غريبة جدا أشبه بأفعال المختلين عقليا، ففي كل مرة يتخلص من ضحاياه بهذا الشكل كان يقوم بسرقة الملابس الداخلية التي تخص جميع ضحاياه، وينتقي منها الملابس الداخلية النسائية ليقدمها كهدية لمعشوقته (أنا أناتولي)، أثار الرعب في

اوكرانيا كان مجنونا بكل معنى الكلمة، ولحسن حظ الكثيرين من الضحايا المحتملين أن تم إلقاء القبض عليه عام ألف وتسعمائة وستة وتسعين، ونال حكما بالسجن المؤبد " ما إن نظر فؤاد للدولاب الخشبي المكتظ بملابس النساء الداخلية المستعملة كأنما بدأ يستنشق رائحة أناتولي في الهواء، عاد فؤاد بناظريه للشاشة التي كانت تعرض هذه المرة صورة لرجل ذي شعر أسود خفيف عريض الجبهة المصاحبة لوجهه المستدير، ذو بشرة بيضاء تطل منها ملامح هادئة، ممتلئ الجسم بعض الشيء قصير القامة إلى حد ما وكتب أسفل الصورة:" (جيروم برودس) الملقب بعاشق الأحذية والأقدام ولقب أيضا بقاتل الشهوة، كان جيروم مولعا بالأقدام والأحذية النسائية ذات الكعب العالي على وجه التحديد ولعا مريبا لدرجة الهوس، بدأ ذلك في عمر الخامسة حيث وجد زوجا من الأحذية في مكب النفايات واحتفظ به وسط مقتنياته، وفي مراهقته بدأ بملاحقة النساء وإفقادهن الوعي بالضرب على الرأس من الخلف لسرقة أحذيتهن، ومع تقدم جيروم في العمر كبر معه هوسه بالأقدام والأحذية فبدأ يتسلل لمنازل النساء ويقوم بقتلهن ثم يلبس الجثة حذاء ذا كعب عال ليمارس الجنس مع الجثة، وكان في بعض الأحيان يبتر القدم ليأخذها معه لمنزله ويجمدها للاحتفاظ بها لأطول فترة ممكنه ليشبع شغفه بالأحذية، أشهر ضحاياه ليندا سلاوسن بائعة الكتب، تعتبر ليندا سلاوسن واحدة من أبرز ضحايا جيروم برودس وذلك بسبب قصتها الغريبة حيث أن جيروم لم يبذل جهدا في العثور عليها بل جاءته هي حتي باب بيته عندما دق جرس الباب وفتح جيروم وجد فتاة حسناء ترتدي حذاء



من النوعية التي يفضلها جيروم، كانت الطارقة هي ليندا سلاوسن وكانت تحمل بيدها مجموعة من الكتب وعرضت على جيروم الشراء منها، بالفعل أدخلها منزله مرحبا بها بحجة أنه سوف يختار الكتب التي سيشتريها، ولم يلبث إلا أن ضربها على رأسها وأفقدها الوعي ثم جرها إلى القبو أسفل المنزل، وبدأ جيروم يمارس عادته في لعق أقدام سلاوسن وتحسس جسدها ثم اغتصبها ولم يأخذ الأمر ساعة واحدة إلا وكانت سلاوسن قد فارقت الحياة، لكن جيروم لم يأبه بذلك وتابع ما يقوم به بل قام بعد ذلك بقطع أقدامها ووضعها في الثلاجة للعودة إليها عند الحاجة، ثم ألقى بباقي أجزاء الجسد في النهر، وكان سقوط جيروم برودس بالصدفة ففي أحد الأيام كان هناك صياد عجوز يدعى چون يجلس قرب النهر ليقوم بعمله بشكل طبيعي وعندما ألقى بشباكه وجد شيئا ثقيلا تعلق بها، ولم يستطع سحبها فهرع إلى قسم الشرطة وجاء بمن يتحققون من الأمر، وعند سحب الشبكة وجدوا جثة لفتاة عرف بعد الفحص أنها لليندا سلاوسن آخر ضحايا جيروم برودس وأشهرهم، وبالمزيد من البحث عثرت الشرطة على الكثير من الجثث كلها كانت مبتورة الأعضاء ومقتولة عن طريق الخنق، لكن الشيء الأكثر قربا بينهم هو الحبل السلكي الذي كان يتم ربط وتكبيل أيدي الضحايا به، فقد كان متشابها عند الجميع مما دفع الشرطة إلى التقصي حول هذا الأمر ليكتشف في النهاية أنه من نفس النوع المستخدم في مرأب جيروم برودس، وكانت نهايته قد اقتربت للغاية عندما توجه على الفور مجموعة من رجال الشرطة والمحققون إلى منزل جيروم للبحث في مرأبه، حيث عثروا على أجزاء كثيرة من أجساد الضحايا



الذي قام جيروم بقتلهم، وبعد القبض عليه تم الكشف عن قواه العقلية والتحقق منها وبالفعل أثبت الأطباء النفسيين أن جيروم يعاني من أمراض نفسية عدة، لكنها لا تغفر له ما فعله بالطبع لذلك تم تخفيف العقوبة من الاعدام إلى السجن مدى الحياة، وبالفعل قضى جيروم سبعة وثلاثين عاما في السجن حتى مات في عام ألفين وستة، بعد أن رفضت كافة المحاولات التي قام بها للعفو عنه لتنتهي بذلك قصة أغرب سفاح في العالم" فاتجه فؤاد بعينيه بشكل تلقائي ناحية الصندوق الزجاجي الذي يضم الأحذية والأقدام وعيناه آسفتان مواسيتان تكاد تلمع بالدموع على هؤلاء الضحايا، وعاد مرة أخرى بعيون لاهثة للشاشة اللعينة التي أودت بقلبه ومشاعره للوديان السحيقة المرعبة، وظهرت أمامه صورة رجل أسمر اللون قصير القامة له شعر أسود مجعد قليلا لا يختلف عن الأجناس الآسيوية في الشكل ونحافة الجسد، كتب أسفل صورته:"(أحمد سوراجي) أحد أفظع المجرمين والسفاحين في أندونيسيا، قتل هذا الشخص الموتور اثنين وأربعين فتاة خلال أحد عشرة عاما فقط، كان سوراجي يؤمن إيمانا تاما بالأضاحي البشرية، كان يقوم بدفن الضحية حتي خاصرتها أي النصف العلوي فقط من الجسد فوق الأرض، قبل أن يشنقها بسلك كهربائي أو حبل وكان يحرص على أن يكون وجه الضحية مواجها لمنزله لاعتقاده بأن هذا الفعل سيجلب له القوة، زعم سوراجي بأن شبح والده ظهر له مرة في المنام مخبرا إياه أن باستطاعته أن يصبح معالجا صوفيا بارعا ومشهورا، ولكن يتوجب عليه أولا قتل سبعين امرأة وشرب لعابهن بعد قتلهن، فما كان من سوراجي إلا ان نفذ الوصية التي أتته في منامه وسرعان ما صار

مهووسا بجمع لعاب ضحاياه، ولكن لم يدم ذلك طويلا فالقدر لم يمهله أن يصل لمبتغاه إذ تم القبض عليه في عام ألف تسعمائة وسبعة وتسعين وإعدامه رميا بالرصاص " أدار فؤاد وجهه ناحية الكأس الزجاجية ذات السائل الغريب الذي كتب أسفله (ما تبقى من لعاب سبعين امرأة لهن المجد) فارتجف قلبه بعنف لمعرفته قصة تلك الكأس ومصير الضحايا، ثم عاد مسرعا بعينيه في شغف مطبق ناحية الشاشة السوداوية الشاهدة على المجازر الدامية ليرى صورة لشخص يبدو في الخمسينيات من العمر يميل وجهه إلى الحمرة ذو شعر أسود كثيف يتخلله الشعيرات البيضاء من على الأجناب والجبهة الأمامية ملامحه حادة تماما متوسط الطول نحيف الجسد، كتب أسفل صورته:"(تشارلز البرايت) الملقب بسفاح دالاس وقاتل العيون بسبب هوسه الشديد بالعيون سواء كانت حقيقية أم لا، اعتاد تشارلز على اقتلاع العيون من الدمى والصور، وسرعان ما بدأ يطور من هوسه ليبدأ باقتلاع عيون بشرية حقيقية، فبدأ بالتدرب على ذلك ليصل حد الاحتراف، تشارلز قتل ثلاث فتيات بإطلاق النار على رأس كل واحدة ومن ثم اقتلاع عينيها للاحتفاظ بهما لسبب مجهول، الشرطة عثرت على أول الضحايا شبه عارية في أحد أحياء دالاس بتكساس كانت عينا الضحية مقتلعتان بإتقان مما دفع المحققين للظن بأن القاتل جراح محترف، تم العثور على الضحيتين الآخرتين بنفس السيناريو جثة شبة عارية والأخرى عارية تماما وعينان مفقودتان من محجريهما، أخيرا بعد حيرة كبيرة من رجال الشرطة تم القبض على البرايت عام ألف وتسعمائة وواحد وتسعين بعد أن رآه شهود عيان وهو يتخلص من أحد ضحاياه



قرب أحد المدن خارج دالاس، في هذه الأثناء عثرت الشرطة على جثة لفتاة سمراء عارية تماما بالقرب من أحد المدارس خارج ضواحي دالاس وكان عليها آثار كدمات خصوصا وجهها وأنفها المحطم، ويبدو أنها قاومت قاتلها واستطاعت انتزاع بضع من شعرات رأسه بيدها قبل أن يطلق النيران على رأسها وينتزع عينيها على عجل مما أدى إلى كسر مشرط الجراحة الذي كانت شفرته مغروزة بتجويف عينها الأيمن، في هذه الأثناء أخبرت إحدى المومسات الشرطة في شكواها أن تشارلز البرايت هو سفاح دالاس، وتحدثت عن هوسه بالعيون وأنها رأت مشارط جراحية بسيارته، وعندما قام المحقق بفتح ملف تشارلز وجده مليئا بالجرائم وبعد مراجعة ملفات قضايا القتل والاعتداءات في منطقة دالاس لفتت شكوى فيرونيكا رودريجيز انتباه المحقق چون ويست فالين، فقرر استدعاءها للتحقيق معها، وفي غرفة التحقيق رمى المحقق صور زميلاتها التي قتلهن السفاح على الطاولة لكي يستثير مشاعرها ويجبرها عللى تحديد هوية القاتل فوافقت فيرونيكا على الاعتراف مقابل حمايتها من جانب الشرطة، وبعد أن رأت صور المشتبه بهم أشارت من فورها إلى صورة تشارلز البرايت وأخبرت المحقق أنه هو من حاول اختطافها، تم القبض على تشارلز في عام ألف تسعمائة وواحد وتسعين أنكر في البداية التهم المنسوبة إليه إلى أن تحققت هيئة المحكمة من ثبوت التهم عليه خصوصا جريمة قتل شيرلي ويليامز، ولم تثبت عليه تهم قتل ماري لوبرات وسوزان بيترسون، وحكم عليه بالسجن مدى الحياة"، هنا تسارعت نبضات قلب فؤاد بمرارة شديدة والألم النفسي يضرب أعماق صدره وشعر أن مقلتيه على

وشك الانفجار وهو ينظر إلى الثلاث جثث مفقودات الأعين المعلقة والدمى ذات العيون البشرية وكأنه يرى تشارلز وهو يقتلع أعينهم للتو، بدأت شاشة العرض في الخفوت حتى أظلمت تماما وبدأت خيوط كثيفة من الدخان تخرج منها حتى شبت فيها النيران بغرابة شديدة وبدا فؤاد مشدوها مما يحدث، وبدأ يسمع وقع أقدام تصعد لأعلى بواسطة سلم خشبي يبدو أنه كان في الركن المظلم تماما من الكوخ وبدأ في الظهور أمامه تواليا السفاحين الذي كان يشاهدهم من قليل وكأنهم رافضون البقاء بعيدا عن تذكاراتهم وها هم يعودون مصطفين أمامه ليروا من هذا الضيف الذي يعبث بمقتنياتهم، ربما ليقوموا بإكرامه وبدأوا يظهرون على التوالي، روبرت برديلا والكونتيسة إليزابيث باثوري وأناتولي اونوبرينكو، وجيروم برودس ومن بعدهم أحمد سوراجي، وتشارلز البرايت، يتقدمون تجاه فؤاد في خطوات متثاقلة ولحظات كان قد أرسل قلب فؤاد إلى الجحيم وشلت حركته يتصبب العرق بغزارة من الرعب وجحظت عيناه في محجريهما، بدأ يتمالك نفسه ويعود للوراء قليلا وهم مازالوا يتقدمون نحوه، كل منهم ممسك بيده سلاحا مختلفا، مسدس تارة وآخر معه سكين رفيع كبير، وآخر منشار كهربائي، وآخر مشرط طبي حاد، يبدو أنهم يتأهبون للانقضاض على فريستهم التي تترنح أمامهم ليمارسوا كل أنواع التعذيب الجسدي من قطع الأطراف وسلخ الجلود واقتلاع العيون وتصفية الدماء البشرية اللذيذة الملهمة لهم، ومازال فؤاد يهرول متراجعا للخلف وتتعثر قدماه وينهض من جديد، والجميع بدأ في رفع أسلحته تجاه فؤاد ذلك العابث بتذكاراتهم، وفي لحظة الانقضاض عليه لمح فؤاد وهو جاثٍ على



ركبتيه الأسطوانة الملعونة مازالت تدور في جهاز العرض، فمد يده بسرعة مذهلة وانتزعها منه قبل أن يشق صدره سكين أو تطاله طلقة كانت عللى وشك أن تأذن لها الزناد بالخروج، ليتبخر كل من حوله في الحال ولم يعد لهم أثر ويعود الهدوء المطبق للكوخ المقفر، وبدأ فؤاد في التقاط أنفاسه المتقطعة واستعاد قليلا من طاقته المهدرة بفعل الفزع الذي احتل أرجاءه، وعاد إلى الباب الذي أتى منه وفتحه ليسمع صريره مجددا ومازال حاملا للأسطوانة التي قد أعطاها له ذلك الرجل العجوز قبل أن يدلف للكوخ، فراح ينظر حوله بين أشجار تلك الغابة الوارفة فلم يجد سوى البوم والطيور الجارحة تقتنص مكانا عاليا فوق فروع الأشجار محدقين به، فنظر للأسطوانة بيده وأطاح بها عاليا بكل ما أوتي من قوة ليرى شيئا عجبا، وكأن الأسطوانة تحولت لأحدى أسطوانات منشار كهربائي يعبث به شيطان أخرق، تقذف برؤوس الطيور وتقطع فروع الأشجار وتجتز أشجارا أخرى من جذورها فتساقطت الأشجار واحدة تلو الأخرى، والدمار أصاب المكان وأطلق فؤاد ساقيه للريح هربا من ذلك الجحيم، ومازالت الأشجار المتساقطة تلاحقه حتى فرغ من الغابة التي كان يحيطها أسوار ضخمة، وما إن دلف خارجا من بابها ليرى صحراء شاسعة تطل عليها شمس حارقة سار بها حتى غربت الشمس، ولا يعلم لها نهاية أو منقذا منها، واشتد به الوهن والعطش أكل جسده لم تتحمله قدماه فسقط أرضا، ضوء القمر يخطف أبصاره في الظلام الحالك بدأ يشعر أن رحلته الشاقة في الحياة أوشكت على كتابة سطور النهاية فحدث نفسه قائلا:

- اجتهد لتكون من العمالقة حتى وإن كنت من الأقزام، فكم من بطل وهنت قوته الآن يركل بالأقدام.

وبدأ يستعيد جزءا من عافيته متحاملا على نفسه، وبدأ يستكمل رحلة السير في الصحراء تحت أضواء القمر الساقطة على الرمال جاعلة لها منظرا كحبات اللؤلؤ وسمع فؤاد صراخا هادرا، وبدأ يسترق السمع مرة أخرى ليتأكد مما سمع فعاد الصوت مرة أخرى كأنه لشخص ما يتعذب، وبدأت الروائح الكريهة تهبط على المكان بشدة لم يستنشق هواء كهذا قط طيلة حياته هواء ثقيلا معبأ بروائح نتنة كأنها لجثث متحللة، استكمل السير رغم المعاناة وجد نفسه في مكان يشبه الوديان وهناك بئر كبيرة ولها قاع على عمق لا يستطيع مدى نظره من الوصول إليه، دب في قلبه الرعب من رهبة البئر التي أمامه، أخذ فؤاد يتطلع المكان ويدور حول البئر فوجد صوت أوراق لكتاب أحدثت صوتا باحتكاكها بأقدامه فالتقط الكتاب ليتطلع على ما جاء بها على أضواء القمر الخافتة، ليجده كتابا قديما جدا له ورق مصفَر من فعل الطبيعة القاسية للمكان وله غلاف جلدي يبدو أنه صنع من جلد أحد الثعابين، بدأ يتصفح أوراقه ليجد به كل شيء عن هذه البئر التي يقف أمامها من رسوم وأوصاف يبدو أن هذا الكتاب كان سقط سهوا من أحد المستكشفين لطبيعة المكان أو أحد الرحالة ممن يعشقون المغامرات حول العالم، جاء بالكتاب كل ما هو آت وفؤاد يتحسس كلماته بناظريه في شغف كبير، بئر برهوت هي بئر أسطورية تاريخية موجودة في اليمن تحدث عنها أهل العلم قديما وخرجت الكثير من الإشاعات والأقاويل عنها لا يعلم أحد ما هو العمق



الحقيقي للبئر وإلى أين تمتد قاعه، ونسجت حولها الأساطير والحكايات المفجعة وسط غموض رهيب، فمن بعض الروايات المتداولة عنها أن رجل نزل إلى البئر مربوطا بحبل وعندما أعادوه مرة أخرى من أسفل لم يعد إلا نصف جثته، فلا أحد يعلم ماذا حدث له بالأسفل، وهناك رواية أخرى عن امرأة كانت ترعى الأغنام فوضعت ابنها الرضيع في مهده على مقربة من البئر لتقوم ببعض الأعمال الخاصة برعاية الأغنام فما أن عادت بعد دقائق معدودة لموضع طفلها فلم تجده واختفى فجأة.ومن الأقوال المأثورة عن البئر أن فتحة البئر سيخرج منها يوم القيامة المعذبون في الآخرة، تلك البئر العجيبة الغريبة الواقعة في منطقة فيجوت مديرية شحن محافظة المهرة، تتسع البئر لمائة متر مربع ولها عمق يقال أنه أكثر من مائتي وخمسين مترا، لا يعلم أحد تحديدا عمقها بشكل دقيق، لا يستطيع أحد النظر إلى داخل البئر إلا في حالة تعامد أشعة الشمس تماما مع فجوة البئر التي تسكنها الحمائم البيضاء والأفاعي الكبيرة النادرة بالأسفل، ومن الأثر أن الأجداد أتوا لجلب الماء من البئر بسبب شحة المياه ذات يوم، وكانوا يقومون بعملية إنزال أحد أفراد عشيرتهم ليجلب الماء بدلو كبير من خلال ربطه بحبل، وفي إحدى المرات صرخ أخرجوني وحينما رفعوا الحبل لم يجدوا غير رأسه ونصف جسده الأعلى المكبل بالحبال، يقال عن ماء البئر أنه له طعم محلى بالسكر، قول مأثور آخر عن البئر أن أحد أهالي الوادي قديما أشاع أنه رأى حقيقة مذهلة لم يكن ليصدقها لولا أنه رآها بعينيه وهي رؤيته لقاع هذه البئر والخضرة تحيط بها من كل جانب وسمع هدير ماء متدفق وكأنه نهر جار يسمع بوضوح وبدون

تشويش، فما كاد يصدق نفسه مما يرى فهو أمام ظاهرة حقيقية وطبيعية موجودة في منطقة قاحلة لا ماء فيها ولا خضرة رغم سماعه هدير الماء المتدفق وكأنه شلال في باطن هذه، الصحراء لم تنته سيرة بئر برهوت عند أقوال قدماء العلماء والأهالي بل كان له نصيب من أحاديث النبي والصحابة، فعنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في بئر برهوت، إن فيها أرواح الكفار والمنافقين وهي بئر عادية قديمة عميقة في فلاة عميقة في فلاة وواد مظلم، وفلاة هنا يقصد بها الأرض الواسعة المقفرة، وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: "أبغض البقاع إلى الله تعالى وادي برهوت بحضرموت، فيه بئر ماؤها أسود منتن يأوي إليه أرواح الكفار" وأيضا قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم:" خير ماء علي وجه الأرض ماء زمزم، وفيه طعام من الطعم وشفاء من السقم، وشر ماء على وجه الأرض ماء بوادي برهوت بحضرموت عليه كرجل الجراد من الهوام يصبح يتدفق ويمسي لا بلال فيه ".رواه الطبراني وصححه ابن حبان، وعن حذيفة رضي الله عنه عن أنس رضي الله عنه:" ارواح المؤمنين إلى الجابية وأرواح الكافرين إلى واد حضرموت يقال له برهوت ترد عليه هام الكفار " وذكر الأصمعي عن رجل حضرمي أنه قال:" أنا نجد من ناحية برهوت رائحة منتنة فظيعة جدا فيأتينا الخبر أن عظيما من عظماء الكفار مات" ومن الأثر أيضا أن هناك رجلا بات ليلة بوادي برهوت قال عنها كنت أسمع طوال الليل يا دومه يا دومه، فذكرت ذلك لبعض أهل العلم فقال أن الملك الموكل بأرواح الكفار أسمه دومه، وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال:" خير واد بين الناس وادي مكة ووادي ارم



بأرض الهند وشر واديين في الناس وادي الأحقاف ووادي بحضر موت يدعى برهوت يلقى فيه أرواح الكفار، وخير بئر في الناس زمزم وشر بئر في الناس برهوت وهي في ذاك الوادي الذي بحضر موت " وعنه ايضا رضي الله عنه أنه قال:"أما المؤمنون فترفع أعمالهم وأرواحهم إلى السماء فتفتح لهم أبوابها وأما الكافر فيصعد بعمله وروحه إلى سجين، وهو واد بحضر موت يقال له برهوت'' وذكر تلك البئر الإمام الشافعي في مذهبه حيث قال:" إن الماء المكروه ثمانية أنواع المشمس وشديد الحرارة وشديد البرودة وماء ديار ثمود، إلا بئر الناقة وماء ديار قوم لوط وماء بئر برهوت وماء أرض بابل وماء بئر ذروان " وهناك الكثير من الروايات التي أشيعت عن البئر، منها أن قامت جماعة من المستكشفين بمحاولة سبر أغوار تلك البئر الغامضة، فقاموا بربط أحدهم بحبل وأنزلوه إلى قاع البئر حاملا لكاميرا تصوير فيديو، وتمت عملية الإنزال تدريجيا حتى وصلت إلى مائة متر بالأسفل، فسمعوا صراخ الرجل الذي أنزلوه وهو يستغيث بإخراجه فورا من البئر، وعندما صعدوا به وأخرجوه قاموا بسؤاله عن ما حدث له بالأسفل حتى يستغيث ويطلب إخراجه أجاب:" رأيت حلقة البئر وكأنها ستغلق علي" وعندما أرادوا تفريغ ومشاهدة ما تم تصويره بواسطة الكاميرا صدموا جميعا، حيث أنهم لم يشاهدوا سوى ظلام دامس رغم اختيارهم لأنسب وقت لعملية النزول للبئر تكون فيها الرؤية واضحة، كيف ومتى أنشئت تلك البئر؟ لا أحد يعرف حقا الإجابة، لكن هناك قصتين متداولتين في هذا الشأن أولهما أن هذه البئر حفرها ملوك الجان من أجل أن تكون سجونا لهم يضعون فيها من يخالفهم أو يعصيهم،

واستدلوا على صحة هذه القصة بالظلمة الحالكة في قاع البئر في وضح النهار، وأيضا لسبب الغازات الكريهة والأبخرة التي تتصاعد منها آتية من قاع البئر وسماع أصوات الأنين الصادرة منها، والقصة الأخرى هي أن أحد ملوك الدولة الحميرية القديمة استعان بالجن في حفر هذه البئر من أجل إخفاء كنوزه، وعندما مات هذا الملك استوطن أتباعه من الجن هذه البئر، ولهذا السبب أطلق عليها برهوت حيث أن اسم برهوت في اللغة الحميرية القديمة معناه أرض الجن أو مدينة الجن، إلى هنا قد فرغ فؤاد من قراءة الكتاب الذي بين يديه وتملأ عيناه الدهشة والخوف من النظر للبئر التي يكسوها الظلام إلا من شعاع ضوء القمر، ورائحتها الكريهة النفاذة أصابته بالغثيان، وفجأة ظهر أمامه من العدم شخص يجلس على حافة البئر نصفه الأعلى عارٍ مرسوم على ظهره حيوانات غريبة الشكل، أقل ما يقال عنها أنها مرعبة أحصنة مجنحة وطيور ذات رؤوس ثيران لها قرون متعرجة وغيرها من الكائنات الأسطورية، يرتدي قلنسوة سوداء على رأسه تخفي وجهه تماما ويرتدي بنطالا أسود عليه رموز غريبة ونجوم ودوائر صفراء تكاد تشعر أنها مشتعلة، ويقبض بيديه على صدره بكتاب غريب الشكل، ارتجف فؤاد من هذا الغريب الذي لا يعلم من أين أتى وإذ بصوت جهور قائلا:

- لا تخف واقترب...

فارتعد فؤاد وتصبب عرقا وظل مكانه مرتابا لا يقوى على فعل شيء، فاستدار الغريب بشكل عجيب وارتفع عن الأرض سنتيمترات وهو مازال جالسا، وأشار لفؤاد بأن يتقدم فمشى متثاقلا في طريقه إليه في

خوف حتى اقترب منه، وهنا بادره فؤاد بسؤاله من يكون ؟

فضحك الغريب الذي لا يظهر من وجهه سوى عيناه السوداوين عبر القلنسوة السوداء قائلا:

- أتود أن أخبرك عن ما تلقبونني به ووصل إليكم؟ أم الحقيقة التي لا يعلمها سواي؟

فبدا وجه فؤاد شاحبا متجهما من غرابة الرجل وحديثه، فلم ينبس ببنت شفة:

- فقال الرجل أنا عبد الله الحظرد الشاعر اليمني (العربي المجنون) كما ادعيتم ولقبتموه، والذي أشيع عنه من قبل المؤرخ المسلم ابن خلكان انه كان يتصارع مع وحش خفي عظيم جدا أمام أعين الناس، فالتهمه ثم غاب عن العيون في وضح النهار.

وضحك بصوت رنان جهوري قائلا:

- قد أصاب هذا المؤرخ جزء من الحقيقة بالفعل، حاربت يومها ذلك الكائن الغامض واستطاع أن يشوه جزءا من وجهي لذلك أخفيه خلف تلك القلنسوة اللعينة، لكني استطعت يومها أن أختفي كما ظهرت لك من العدم الآن ولم أقتل كما أشاع المؤرخ وشهود العيان: "الكذبة تسافر على جناح طائرة نفاثة عابرة للقارات، بينما الحقيقة لازالت تهوى قيادة الدراجة"، سافرت عشرة أعوام عشت فيها وحيدا في صحراء الربع الخالي وعدت منها ومعي أكثر الكتب شهرة في مجال



السحر، مخطوط العزيف ومعنى الاسم صوت الحشرات في الليل الذي كانت العرب قديما تعتقد أنه صوت الجن، قابلت في رحلتي الجن والشياطين وتعلمت منهم أسرار السحر وخفايا الموتى ولغتهم الخاصة وكيفية استحضارهم، كتابي كان كتابا للتاريخ قبل أن يستخدمه الهواة من السحرة لما به من العديد من الطلاسم ولغات الكائنات الأسطورية الغريبة والصور المرعبة لتلك الكائنات، بالإضافة للمردة والشياطين الذين قابلتهم في رحلتي، تحدثت في كتابي عن كائنات عاشت على كوكب الأرض من ملايين السنين ويوما ما ستعود لاسترجاع كوكبهم الذي استولى عليه البشر، فلمن لا يعلم هناك عشرون شيطانا في الزمن السحيق تزوجوا من بنات الانس وأنجبوا منهم ذرية قتلت ودمرت وأفسدت شتى بقاع الأرض، وكانوا أشد فتكا بالإنسان من الشياطين الأصليين ولكن جاء الطوفان العظيم ليخلص الأرض من شرورهم ويطهرها، الكتاب ترجم للعديد من اللغات وهناك من يزعم أن الفاتيكان أمرت بإحراق كافة النسخ المترجمة منه، وأنها اختصت نفسها بنسخة وحيدة أخيرة منه، أما عن أكثر شيء أشيع عني محض افتراء من البعض هو أن الكاتب الأمريكي هوارد لافكرافت كاتب قصص الرعب والغموض هو من قام بإنشاء شخصية عبد الله الحظرد من وحي خياله وكتب كثيرا مما جاء في كتاب العزيف الذي ليس له وجود



في رواية له باسم أسماء الموتى، وها أنا هنا حي ولم يستطع الوحش الغامض قتلي والتهامي كما ادعى البعض، وعن آخر نسخة لكتابي العزيف أنها وقعت بين يدي الساحر أليستر كراولي الذي تحصل عليها من مكتبة الفاتيكان، وقام بتأليف كتاب القانون المستوحاة منها هذا أيضا لا يمت للحقيقة بصلة، كتبت نسخة وحيدة من مخطوط العزيف وإلى الآن هي في حوز تي.

ومد يده التي كانت تلتف حول صدره مقدما لفؤاد النسخة الوحيدة من الكتاب قائلا:

- إني لم أعد في الحاجة إليها، فأنا لدي من العلم ما يكفي للقضاء على قبيلة كاملة من الجن في طرفة عين، هذه لك إن أستعنت بها لن يضرك شيء.

نظر فؤاد لنسخة الكتاب برهبة شديدة وهو لا يملك اختيارا أخر سوى قبولها، ربما تكون المنجية من المهالك التي ستجاوره الطريق، وأخذ الكتاب وما أن بدأت عيناه تغزو صفحاته التي تكتظ بالصور والطلاسم الغريبة حتى اختفى الحظرد كيفما ظهر من العدم، وما لبث ثواني معدودة حتى استقبلت عيناه مشهدا آخر مفزعا لأفعى عظيمة الطول لا يرى آخرها بناظريه، ربما تعدى طولها مئات الأمتار وسمكها يتعدى العشرين سنتيمترا، زاحفة تتقدم نحوه تصدر فحيحها المميز، شلت حركته فؤاد من الخوف المطبق وجحظت عيناه في محجريهما إلى أن وجد الأفعى تفعل شيئا عجيبا، تنحني أمامه في سلام وكان على حافة

البئر وتد ثُبت جيدا بالأرض يبدو أنه كان وضع في هذا المكان أثناء إحدى محاولات استكشاف البئر سابقا، فشاهد الأفعى العملاقة تلف ذيلها حول الوتد وتوثقه به لتكبل نفسها بقوة، وتلقى نظرة إلى فؤاد قبل أن تزحف إلى أسفل أعماق البئر وكأنها إشارة منها له، فأيقن فؤاد أنها تريده أن يتشبث بها ليهبط إلى قاع البئر، فتردد فؤاد الذي أنهكه المسير في الصحراء وأحاط بقلبه الرعب من المغامرة بعدما عرف الكثير عن البئر، فاقترب من حافة البئر ليرى شيئا عجبا، إذ جلد الأفعى اللامع الملون يعكس أضواء القمر الخافتة داخل البئر فجعل الرؤية به مقبولة إلى حد ما، وهنا حاول فؤاد أن يمتطي جواد الشجاعة قائلا:

- إن لم تستطع أن تكون ضمن عقد زهور الأساطير والعظماء فلا تخَجل، وحاول أن تكون الخيط الذي يربطهم.

وثب فؤاد متشبثا بالأفعى هابطا لأسفل قاع بئر برهوت وأثناء النزول شاهد فؤاد الكثير من الشقوق التي تطل منها الثعابين والحيات في ثبات، لكنها ليست كأشكالها التي نعرفها فلها رؤوس صغيرة لكنها تشبه رؤوس الشيران ذات القرون المتعرجة، ورأى في جدران البئر الكثير من الجماجم التي تبدو لأطفال صغار يبدو أنها قذفت في البئر كقرابين بشرية قدمت للجن للتقرب منهم لمساعدتهم في إخراج الكنوز من البئر، أثار في قلب فؤاد الرعب والرجفة مشهد لجثث معلقة من عنقها لهم وجوه عليها غبرة يملأها السواد، تصدر رائحة كريهة جدا عنها كان هناك قارب خشبي قاده فؤاد بعد أن أنزلته الأفعى به وانصرفت لأعلى البئر كما أتت وكأنها أدت مهمتها، ظل فؤاد ممسكا بالكتاب الذي أعطاه له الحظرد،



والقارب يسير بنهر كان في باطن بئر برهوت كانت المياه راكدة عطنة ذات رائحة شديدة الكراهة، ويسير القارب فيها ببطء شديد وكأن هناك من يتشبث بالقارب من أسفل المياه، كان النفق الذي يمر به القارب في باطن البئر مظلما إلى حد ما، ولكن كان هناك مصابيح نارية على جدران باطن البئر تعطى إضاءة خفيفة تسمح بالرؤية، ظل فؤاد يتأمل المشاهد التي تذهل عينيه مشدوها، وهو يتأمل فجأة ظهرت أمامه أعداد كبيرة جدا من الخفافيش الغريبة تقبع في الشقوق بالجدران، ولكن مهلا لم تكن خفافيش عادية كالتي نعرفها بل ذات أحجام كبيرة تصل لحجم الغراب، ولها ريش كثيف لونه أزرق داكن، ولها أجنحة كبيرة ملوثة بالمياه العطنة الراكدة، ولها عيون بنية براقة ومخيفة، وتجاورها الثعابين على الجدران تسعى بتمايل عجيب وكأنها تتراقص طربا، لكن أي ثعابين هذه ؟ التي كانت لها رؤوس تشبه رؤوس الديكة وأرجل تنتشر من باطنها كأرجل النمور الصغيرة تسير بها ولا تزحف، لا أعلم ان كانت هذه ثعابين حقا أم نوع آخر من الحيوانات الغريبة؟ وفجأة وجد فؤاد أن القارب يرج بعنف، فقتل قلبه الرعب حينما رأى أيادٍ لهياكل عظمية هي من تمسك بالقارب من أسفل المياه الراكدة، ولكن كان يكسو هذه العظام شعر أسود بشكل غريب شعر غير بشري، كان تماما شعرا لحيوان الماعز وبدأ يظهر له في النفق المعتم خيوط عنكبوت كبيرة وكثيفة تغلق الممر أمامه في ذلك النفق النهري الذي لا يعلم إلى أين سيصل به، كانت الخيوط لزجة شديدة الغلظة لم تكن لكائن عادي ولم يعلم لأي شيء تكون، فأحس أنه أقترب منها وأنها ستعيق حركته وربما يغرق بالقارب في جوف ذلك البئر

الملعون، ففتح الكتاب الذي كان بيده فأضيئت له رسمة غريبة بداخله بها كبش غريب الشكل تتدلى قرونه لأسفل قدميه، نحيف جدا وله رأس مطموسة المعالم، فقط شعرتان سوداوتان طويلتان جدا، وفمه به ناب واحد فقط وفي المنتصف، وكان ليس له عيون، ومكتوب تحت الصورة طلسم غريب: «مارش ظام جنجلموش همشيصكل خمياثيليام، صب جام غضبك لا تذر منهم على الأرض أحدا».

ومن فوره وجد فؤاد أربعة هياكل عظمية أقوياء يكسوهم الشعر الأسود يقومون برفع القارب الذي يتواجد به عاليا ويتقدمون به للأمام ويتقدمهم هيكل عظمي آخر قوي يمسك بسيف طويل جدا لونه أحمر ناري، يقوم بقطع الخيوط الغريبة عنكبوتية الشكل والتي تسد النفق، واختفى بعدها الخمسة هياكل، وقام فؤاد بالاستمرار بالسير بالقارب ولكنه وجد أن هذا المكان ليس كسابقه فهو كحديقة من كل جانب وهناك ممر مائي رائع المنظر دلف إليه بقاربه، الحديقة كانت غنًّاء وارفة الأشجار، لكن ثمارها كانت سوداء قبيحة المنظر، والطيور التي تقف على أغصان الأشجار تراقب سير فؤاد بقاربه، كانت ليست كالطيور التي نعرفها، هناك مثلا طائر ضخم طول منقاره يتعدى المتر وله أرجل بها حوافر طويلة متعرجة، ورأسه كان يشبه رأس الفيلة لا من حيث الضخامة بل من حيث الآذان الطويلة جدا فربما يستطيع انسان أن يحتمي بها من البرد أثناء غفوته، وله عينان مقوستان مثل هلال القمر، شديدتا الحمرة وريش أجنحته الرمادية تتدلى من فوق أغصان الأشجار إلى أسفل حتى ماء النهر الذي يسير به القارب، وطائر آخر في حجم الطاووس ولكن



ليس له رأس عنق وجسد فقط ألوان ريش أجنحته تجمع بين الأحمر والأسود، وله أرجل بها شفرات حادة لامعة كنصل الخنجر وأغرب ما يبدو على هذا الطائر العجيب أن عنقه تقذف دما أسود في كل اتجاه ما إن يسقط على شيء يشعل به النيران، وهناك أيضا حيوان غريب كالقرد في حركاته البهلوانية يقفز بين الأغصان واقفا على ذيله بغرابة شديدة، فهو كان عبارة عن رأس كلب أسود وله قرن طويل أزرق في منتصف جبهته وعينان سوداوان، وليس له جسد فقط يقترن بهذه الرأس ذيل غليظ طويل يتعدى الثلاثة أمتار، ذو فراء يشبه ألسنة لهب النيران، يقطف من شجرة كان يقف عليها جماجم لرؤوس أطفال صغيرة ويقذفها يمينا ويسارا، وما إن تسقط إحداها على شيء يتهدم، أو من تصطدم بجزع شجرة يقصف في الحال أو تسقط على الأرض فتجتث الأرض وتصنع حفرة عميقة، شاهد فؤاد الخطر يقترب منه ولا مفر يظهر في الأفق ويقترب من سور ضخم يعوق مجري القارب، أو تكون نهايته أسفل قذيفة من نيران الطائر الغريب مقطوع الرأس أو على إثر بطش ذلك الكلب الأسود اللعين الذي يقذف بجماجم الجحيم، ففتح الكتاب مرة أخرى على رسم مضاء لحيوان مجنح لونه أحمر دام، تشعر وكأنه ينزف، يشبه فرس النهر في ضخامته ولكن له أجنحة كبيرةً مقوسة، ورأس أصلع به عين واحدة وله عدة ذيول طويلة وقرأ أسفله طلسما يقول: "طيكال شينقولش، احضر باسم كل مدنس حارب سسمنتال وبهطش واسحقهم جميعا باسمك الأعلى وكرسي عرشك».

وإذ به يرى دابة غريبة الشكل تخرج من أسفل المياه، ضخمة جدا يصل ارتفاعها لعشرة أمتار ويصل وزنها لعشرات الأطنان، وبرأسها الكثير من القرون الضخمة التي تتعدى الخمسة أمتار تقوم بخبط أرجلها بقوة على الأرض، فتسقط أوراق الشجر من قوة الارتطام بالأرض وتندفع بقرونها تقتلع الأشجار من جذورها بمن عليها من طيور وحيوانات وتقذفها بعيدا عن مسار قارب فؤاد، حتى خلصته من الخطر في ثوان معدودة، وانقضت بقرونها عليى السور الضخم الذي كان يعوقه فتهدم في الحال، فوجد فؤاد ساحة شاسعة المساحة بها قصر ظلامي عجيب المنظر يعلوه تمثال لرأس نمر لونها رمادي ضخمة جدا طولها عشرة أمتار بالتقريب وعرضها يصل لخمسة أمتار ولها عينان حمراوان ناريتان مقبضة جدا، لقصر كانت أحجاره سوداء بالكامل ويسيل منها دماء بشرية تعبق برائحة الجثث لا تتوقف الدماء وتتساقط باستمرار بشكل مخيف...وله بوابة واحدة لكن كانت كبيرة جدا فيصل اتساعها لعشرين متر ا وكانت البوابة على شكل أفعى ضخمة مرعبة، وأمام هذا القصر ظهر في الساحة الكبيرة أمام فؤاد مبنى عتيق يتذكره جيدا، تتوارد مشاهده من الذاكرة لا ينساه بالطبع، وكان أغرب شيء رآه هو تمثال أبي الهول الذي تواجد بكامل هيئته وحجمه وسط هذه الساحة الكبيرة داخل هذا المبنى الذي يعلمه فؤاد تماما، فكان فؤاد من أشد المعجبين به وقرأ كثيرا عنه، ودارت أمام عينيه المعلومات الآتية عنه بشكل متوالٍ.مبنى الكولوسيوم أو المدرج الفلافي الذي كان يستخدمه أباطرة الرومان قديما في عروض المصارعين وصيد الحيوانات وإعدام السجناء وإقامة المعارك، يسير بتوءدة داخل ساحة

الكولوسيوم ليتأمله عن قرب، فيجد بداخله حلبة للقتال بيضاوية الشكل، طولها سبعة وثمانون مترا وعرضها يصل إلى خمسة وخمسون متر ذات أرضية خشبية مغطاة بالرمال، ويوجد أسفل تلك الحلبة مجموعة كبيرة من الأنفاق والدهاليز التي كان المقاتلون ينتظرون بداخلها حتى يأتي دورهم للصعود إلى الحلبة، كانت الحلبة محاطة بجدار بارتفاع أربعة أمتار ونصف يقترن بهذا الجدار عدة بوابات أخرى صغيرة متصلة بالدهاليز والأنفاق الموجودة بأسفلها لإدخال المقاتلين والحيوانات المفترسة إلى أعلاها، مدرجات المبنى الضخم كانت تستوعب لأكثر من ثمانين ألف متفرج، وكان لهذا المبنى ثمانون بوابة لدخول الجماهير، وكان هناك مقصورتان رئيسيتان مخصصتان للإمبراطور وحاشيته وعذارى فيستا، كانت المدرجات مقسمة لنصفين الجزء السفلي كان مخصصا للأغنياء، والثاني العلوي للفقراء، أما الحلقة الأخيرة من المدرجات كانت تقع أعلى ساحة القتال ولا تحتوي على مدرجات للجلوس لأنها مخصصة للعبيد الذين يشاهدون معارك المقاتلين وقوفا، بخلاف أماكن خاصة للجنود والكهنة والفلاسفة والمهندسين. كان الكولوسيوم مباحا لجميع أفراد الشعب عدا بعض الفئات يحرم عليهم دخوله وهم حفارو القبور والممثلون والمقاتلون المتقاعدون، ومن المشاهد المأساوية المرتبطة بالكولوسيوم أن ما يقارب نصف مليون إنسان لفظوا أنفاسهم الأخيرة على أرضيته الرملية أثناء المعارك الدامية بين المقاتلين، وكان هناك أمر عجيب جد عن الكولوسيوم وهو احتواؤه على اثنين وثلاثين من البوابات المفخخة بقنابل ناسفة تحت ساحته، وكانت البوابة الغربية للكولوسيوم

تسمى بوابة الموت، إذ كانت مخصصة لنقل القتلى من المصارعين خارج ساحة المدرج، راحت عيون فؤاد تتجول محدقة بالأثر العظيم، الذي لم يتصور أن تطأ قدماه ساحته يوما ما حتى هبت ريح عاصفة جعلته يغمض عينيه بصعوبة وافترش الأرض وتصلب جسده من هول تلك الرياح العاتية، وبدأ يسمع صوت موسيقى جنائزية سوداء قاتمة وصاخبة ويزداد صخبها باستمرار، وإذ بالرياح تهدأ تماما وأضواء القمر أظلمت ولملمت خيوطها وأعتم المكان تماما، الموسيقى كانت صاخبة بشكل منفر جدا أرهقته وزادت من توتره، وظهرت إضاءات خافتة في الظلام فاستدار تجاهها فرأى بوابات الكولوسيوم السفلية تفتح، كان لها صرير تقشعر له الأبدان ودلف منها إلى الداخل آلاف الرجال، كانوا يرتدون سترة سوداء وقلنسوات سوداء تخفي وجوههم، يحملون المشاعل ويتقدمون ويأخذون أماكنهم في المدرجات، ينتشرون في كل أرجاء المكان والموسيقى الصاخبة السوداء لم تكف عن العزف، الكولوسيوم كله أصبح مضاء بأنوار المشاعل.وعلي حين غرة فتحت أبواب الدهاليز بأسفل الحلبة وخرج منها حيوانات لا أظن أن رأيتها من قبل فهي على الأغلب كائنات شيطانية أشكالها عجيبة ومخيفة، منهم حيوان كان ذو أربعة أرجل وليس له ذيل وله جلد بني فاتح سميك مثني عدة ثنيات يشبه في حجمه الخنزير ولكنه ذو وجه أدمي دميم أصلع الرأس، وله آذان وعيون وفم يشبه المسخ، حاولت الابتعاد بنظري عنه فرأيت حيوانا آخر كان يجاوره يشبه الحصان المجنح أو التنين الطائر له أجنحة تحترق ويتساقط منها لهب حارق، له ذيل طويل وأجنحته عملاقة تتعدى العشرة أمتار، له وجه تمساح وقرون



طويلة متعددة يتعدى طولها المتران وكان لها لون الذهب الخالص، كان يتبعهم حيوان غريب يبدو كجسد خروف ضخم ولكن رأسه كانت بمثابة عدة ثعابين طويلة تتلوى بشكل مخيف، ومن الحيوانات أيضا كان هناك نمر جسده لا يكسوه الشعر ظهره ممتلئ بالحراشف والعظام في شكل قرون بارزة لأعلى، وحوافره تصل كل منها لنصف متر وجهه كان مطموس تماما لا تعلوه أي ملامح كان لونه كقطع الليل، وتتوالى الكيانات الشيطانية من أبواب كثيرة، حيوان آخر يدلف من باب آخر له جسد إنسان ولكن وجهه كالخفاش، وله أكثر من عشرة أزرع لها حوافر كالسكاكين اللامعة. وليست له أقدام يقف على حوافر أذرعه في شكل مرعب، تراصت تلك الحيوانات الغريبة على جدران حلبة القتال من أعلى السور بشكل مقبض، ودخل بعدها عدد هائل من العبيد الأذلاء عراة الأجساد أجسامهم سمراء نحيلة جدا، يجثون على ركابهم كالكلاب وفي أعناقهم سلاسل حديدية، يقتادهم بالسياط كائنات نصف آدمية عمالقة أشداء، ولهم وجوه السباع توجهوا بهم لأعلى المدرجات وظلوا يضربونهم بالسياط في شكل متوال في تلذذ دون توقف لا يأبهون لصرخات العبيد المترجية التي اختلطت مع أنغام الموسيقى الجنائزية التي ملأت المكان كآبة ورعبا، وهنا برق المكان بنور قوي يعمي الأبصار، واقتحم المكان صوت أشد قسوة من الرعد، وظهر بعيدا في الأفق مركب خشبي ضخم في السماء يشبه مراكب الشمس عند المصريين القدماء لونها ذهبي تبرق من اللمعان وكانت محملة بالكثير من الكيانات الغريبة، واقتربت من الأماكن المخصصة في المدرجات للإمبراطور وحاشيته، وهبطوا منها الكيانات المريبة جدا

وجلس بتلك المقاعد كيانات عملاقة مرعبة هم بالفعل شياطين ومنهم ملوك من الجان، وصفهم يستعصي على بشري مثله ربما استطاعت عيناه أن تخترق الهالة السوداء التي كانت تحدهم من كل مكان، قرون متعرجة عيون حمراء دموية ذيول طويلة حراشف وحوافر مدببة وطويلة، أشباه حيوانات وأنصاف آدميين، رائحة كريهة تعصف بالمكان بأسره لم تصل عين فؤاد لوصف دقيق فكانت الهالة السوداء كبالون هلامي قبيح يصعب على النظر اختراقه.وصوت متحشرج مدوٌ له نبرة الخوار يأتي من السماء، صوت ليس بغريب على فؤاد يتردد صداه قائلا:

- أحمق خلق من طين ظن نفسه قادرا على مواجهة آلهته، لن تبرح مكانك حتى تراق دماؤك لتعود للطين مجددا، أردت أن تراني في هيئتي الحقيقية التي حذرتك منها كثيرا، سألبي طلبك لكن أولا عليك أن تعلم من أنا.

الموسيقى الجنائزية توقفت عن صخبها، والرجال الملثمون المتشحون بالسواد أطفأوا المشاعل التي كانت في أيديهم، وظهرت السماء في هيئة شاشة عرض عملاقة، وبدأت الصور تتوالي، امرأة جميلة تضع عددا من المواليد التوائم بشكل متوالٍ لكن أطفالها جميعا مشوهون، ولها رأسان بين كتفيها ولكل مولود كف به عشرة أصابع ينتهي كل أصبع بمخالب طويلة معقوفة بشكل مخيف، ثم تلد هذه المرأة ابنة منفردة اسمها شادن، كبرت هذه الفتاة واستباحت الزنا والبغاء ومارستهم مع كل من قابلها من الرجال ونشرت الفجور، كانت الرجال التي تظهر في الصورة



لقوم جبارين عمالقة أشداء، مارست شادن السحر وأشاعت في الأرض الفساد، أنجبت هذه المرأة طفلا أسمته خسراف، أصلع الرأس له عين واحدة في منتصف جبهته، وذات يوم هاجم شادن أسدا في حجم الفيل بعد قتال دام لدقائق على الشاشة، وقتلها هذا الوحش وافترسها، وانتهت ذكراها إلى دون رجعة، كبر خسراف وكبر حجمه وظل يتضاعف ويصبح عملاقا مثل بني قومه، بل وتعداهم حتى بلغ طوله أكثر من ألف وخمسمائة متر، وعرضه تعدى الثلاثمائة متر، لم يبلغ قوته أحد، وظهرت الصورة التالية لخسراف وهو يصيد حوتا بيده من البحر ويرفعه بيد واحدة لعين الشمس فيشوي هذا الحوت ثم يلتهمه في قضمة واحدة كوجبة شهية، فإن عطش استوقف سحابة مارة بيده ليشرب منها، كان جبارا فخورا بقوته...

وصل عمره ثلاثة آلاف سنة، لم يكن بشرا أو ملاكا فقط هو شيطان عملاق أراد القوة والجبروت، هرب قديما من بناء الهيكل مع الشياطين المسخرة لسليمان وطرد من المملكة، كانت له زوجة تعيش معه على الأرض حيث كان يعيش في أرض كنعان، وكانت القبائل المجاورة لا تستطيع الاقتراب من قبيلة الجبارين التي يقطن بها خسراف، وذات يوم ضل الطريق جماعة من قبيلة مجاورة لأرض الجبارين وكان عددهم يصل لمائة رجل، فأسرهم خسراف وربط كل رجل منهم في عود حطب وحمل الأعواد وذهب بهم لزوجته وقال لها:

- هؤلاء الحمقى يريدون غزونا سألقيهم أرضا وأسحقهم بقدمي.

فأجابته:

- لا تفعل بل دعهم يعودون إلى قبيلتهم ليخبروا أهلها عن قومنا، فلا يجرؤ أحد على الاقتراب من قبيلتنا.

ونفذ خسراف وصية زوجته ولكن عندما علم بالواقعة عدد من القوم الجبارين عاتبوا خسراف قائلين:

- نحن الآن في نظر هؤلاء الأقزام ضعفاء خائفون منهم.

وأمروه بقتلهم وسحقهم كي تعود لهم هيبتهم، وتناقلت الأخبار وعلمت القبائل المجاورة بأن خسراف سيحاربهم ن فأعدوا له جيشا قوامه ستمائة ألف مقاتل ليردوه عن قراره، وهنا استشاط خسراف غضبا من هذه القبائل المتربصة به وأطل على القبائل المجاورة وهو ممسك بصخرة عملاقة تكفي لسحقهم جميعا، وقبل أن يلقيها عليهم تفاجأ خسراف بأسراب من الطيور غريبة الشكل نقروا الصخرة من فوق رأسه حتى نقبوها وأسقطوها فوق رأس خسراف العملاق، فانحبست رأسه وعنقه في جسده بين كتفيه، وهوى أرضا صريعا، ولكنه سقط على ممر مائي ضخم فكان الناس يعبرون فوقه حيث اعتبروا جسده جسرا ينقلهم إلى البر الآخر من الممر، سنة كاملة يفعلون ذلك حتى سقط جزء من جسده في الماء وعمل ذلك على انسداد المياه، فبدأوا في جر جسده بعيدا إلى الصحراء مستعينين بذلك ولمدة سنة كاملة يوميا بألف ثور حتى تمكنوا من ذلك، ولكني لم أقتل بل فارقت جسدي وعدت إليه بعد سنين طويلة.

وهنا انطفأت إضاءات السماء التي أدارت تلك المشاهد وعاد القمر لطبيعته وعادت الموسيقى الجنائزية الصاخبة للعزف، وأضاء الملثمون

المتشحون بالسواد المشاعل وهبط خسراف إلى أسفل ساحة الكولوسيوم والتي وقف بساق واحدة بها فقط فإن هبط بالثانية حطم المبنى بكامله وأشار لفؤاد بأصبعه من أعلى وكأنه أصبع أتى من السماء قائلا:

ـ أردت مبارزتي أم رؤيتي فقط؟

ارتعد فؤاد من هول ما رأى وسقط أرضا عندما اقترب مخلب خسراف من أن يسحقه أرضا، وظل يرتجف ولم ينبس ببنت شفة، فضحك خسراف ضحكة رجت أرجاء المكان فتهدمت بعض أجزاء من الكولوسيوم، وأشار لخسراف على تمثال أبي الهول قائلا:

ـ أعددت لك مفاجأة سارة ستعجبك حقا، اقترب منه لا تقلق...

فسار فؤاد في توءدة يملأه الرعب المطبق حتى اقترب من التمثال، فوجد طفلا يلبس عباءة سوداء يغطي رأسه بقلنسوة حمراء وكشف له عن وجهه فوجده أخاه سامر فاحتضنه فؤاد بقوة وجنون، وهنا نظر له سامر نظرة خالية من المشاعر كتمثال من الرخام قائلا:

ـ ذات يوم ألقيت بقصتك في ترعة بلدتنا والتي لن يستكملها سوى أول من يقرأها، وكنت أتتبعك في ذلك اليوم والتقطها وكنت أنا من أصابه القدر، فلا تقلق فأنا خير من يمثلك،

وحدق سامر بأخيه بنظرات غادرة وأتبع:

ـ معذرة أخي فلن تكون أغلى عندي من أبي وأمي، فإن مزيج دمائكم الثلاثة هي اكسير الحياة الذي طلبه خادم سر الكون

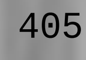
الأعظم، والذي أتى لي في عالمي الآخر وأخذ علي عهدا بأن أكون أول من يعلم هذا السر مقابل هذا القربان الدموي.

وباغت سامر فؤاد بنصل خنجره ليشق عنقه وتنفجر منها الدماء ويكشف عن زجاجة كان يخفيها بين طيات عباءته بها دماء لأبيه وأمه والآن يستكملها بدماء فؤاد، ويسقط فؤاد أرضا متأثرا بجراحه يحملق بعينيه الجاحظتان في سامر الذي كان يجره من خصلات شعر رأسه الطويلة حتى اقترب من حجر كبير خلف أذن أبي الهول، ووضع زجاجة الدماء أمام ذلك الحجر وقام بترديد قسم غريب غير مفهوم:" أقسمت عليك بحق بندش وهيطيعطائيل وبرقان تأتي لي بمفتاح القرون وبرهان العصور، وسر الأسرار وملاذ الأبرار عبدك الصالح وفى دينه وقضى حاجتك"

كررها ثلاثة مرات ففتح الباب الحجري الكبير خلف أذن أبي الهول، ودلف سامر وهو يجر أخاه فؤاد من رأسه والذي كان مازال يلفظ أنفاسه الأخيرة، وبرقت عينا فؤاد مما رآه بالداخل وازدادت شخوصا، وابتسم سامر قائلا لأخيه:

- أعدك أن تكون أول من يعود للحياة...

وأغلق خسراف الباب الحجري بمخلبه خلفهم ليعود لمكانه خلف أذن أبي الهول، وتحول الكولوسيوم لقطعة من جهنم إثر احتفاء الشياطين بابنهم المخلص خسراف، الذي ظل يضحك ويضحك ضحكات كثيرة مرعبة لن تنتهي ليوم الدين...





أخبرني يا صديقي، هل هناك من لا يهوى الفنتازيا والاراضي الاخرى وحكايات العوالم المفقودة.. وماذا لو اقترن هذا بجو مثير من الألغاز والعوالم الشيطانية وجو مقبض من الرعب النفسي. طالما كل هذا موجود فانت على مبعدة خطوات من رواية مثيرة جيدة.. حسنا لنفتح الاوراق سويا ونستمتع سويا باحداثها الرائعة

د. حسين السيد

طفل غريب لديه من القدرات الخارقة ما سيثير دهشتك، وحياة أخرى في المريخ لا ينفك يتحدّث عنها

حادث اختفاء غامض، حادث نصب ذكي، وحادث قتل بشع.. تربطهم صلة غريبة وتجمعهم ظروف غامضة

شخص يُقرِّر أن ينتقِم من جسده، وأن يُعذِب حياته البائسة، يسعى للموت بين أنياب السِباع

أرض مو.. قارة ماما.. وحضارة المايا ورابط غريب يجمعهم ببعضهم البعض

مقولة ستسمعها كثيرًا: " يا رب يا رع مو أنقذ عبادك الطيبين "

ألغاز كثيرة.. أليس كذلك؟

حسنًا، كُل هذه الألغاز موجودة داخل هذه الرواية، في الحقيقة رغم غرابة الفكرة إلا أنني إستمتعت للغاية بقراءتها، وأعتقِد أنك ستستمتِع بدورك بقراءة هذا العمل

محمد عصمت